

INTERNATIONAL ISLAMIC
UNIVERSITY

ISLAMABAD - PAKISTAN

Faculty of Usuluddin

Dept. of Tafseer & Quranic sciences



الجامعة الإسلامية العالمية

إسلام آباد - باكستان

كلية الدراسات الإسلامية (أصول الدين)

قسم التفسير وعلوم القرآن

تفسير أم الكتاب للشيخ أبي الكلام آزاد رحمه الله (دراسة وتعليق)

بحث مقدم لنيل درجة ماجستير الشرف (MS) في التفسير وعلوم القرآن

بإشراف:

الأستاذ مصعب افتخار خان دراني

المحاضر في قسم التفسير وعلوم القرآن بكلية أصول الدين

إعداد الطالب:

محمد بشير "فرقاني" بن الحاج حضرت علي

رقم التسجيل: 1090-FU/MSTQS/F15

العام الدراسي: 2017-2018 م

999
K



10/6/19

no.

TH19862

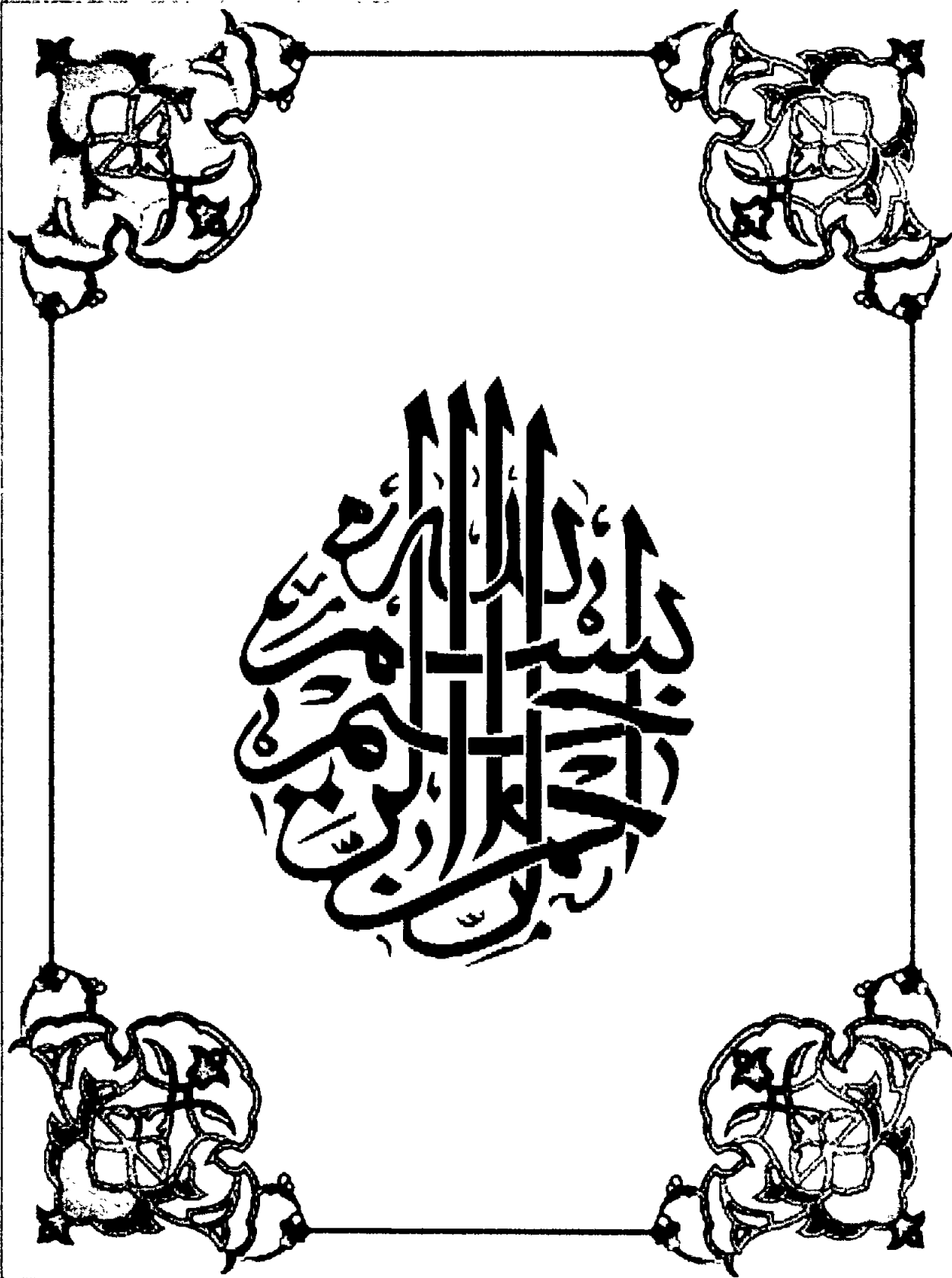
MS

۲۹۷، ۱۲۲۰۷

م ح ت

قرآن کریم - بحوث
قرآن کریم - تفاسیر
قرآن کریم - أم الكتاب
قرآن کریم - أبو الکلام آزاد

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ



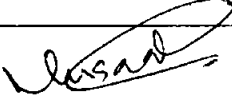
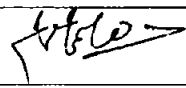
لجنة المناقشة لرسالة الماجستير

بكلية أصول الدين (قسم التفسير وعلوم القرآن) الجامعة الإسلامية العامة إسلام آباد

أجريت مناقشة البحث بعنوان : تفسير أم الكتاب للشيخ أبي الكلام آزاد (دراسة وتعليق)

بتاريخ 11 رجب 1439 هـ الموافق 29 /03/2018 يوم الخميس

أسماء أعضاء لجنة المناقشة الأفاضل وتوقيعاتهم

رقم	لجنة المناقشة	الأسماء	التوقيعات
1	المشرف	ا.. مصعب افتخار دراني حفظه الله	
2	المناقش الداخلي	أ. د . شاه جنيد أحمد الهاشمي حفظه الله	
3	المناقش الخارجي	أ. د . طاهر محمود حفظه الله	

قَالَ تَعَالَى:

﴿ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ① الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ
الْعَالَمِينَ ② الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ③ مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ
④ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ⑤ اهْدِنَا الصِّرَاطَ
الْمُسْتَقِيمَ ⑥ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ
الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ ⑦ ﴾

[الفاتحة: ١ - ٧]

الإهداء

- إلى من بلغ الرسالة وأدى الأمانة، ونصح الأمة، إلى نبي الرحمة ونور العالمين سيدنا محمد -صلى الله عليه وسلم-.
- إلى من أحمل اسمه بكل افتخار، أرجو من الله أن يمد في عمره ليرى ثماراً قد حان قطافها بعد طول انتظار، وستبقى كلماته نجوم أهتدي بها اليوم وفي الغد وإلى الأبد -إن شاء الله تعالى- (والسدي العزيز).
- إلى ملاكي في الحياة، إلى معنى الحب وإلى معنى الحنان، إلى بسملة الحياة وسر الوجود، إلى من كان دعائها سر نجاحي وحنانها بلسم جراحي إلى أغلى الحبايب (أمي الحبيبة).
- إلى جميع إخواني ورفقاء دربي، وهذه الحياة بدونهم لا شيء، الذين ساعدوني عند كل ضيق وعسر في الحصول على مرامي والوصول إلى بغيتي، وغادرتهم طوال الفترة الدراسية، اللهم اجعلهم من عبادك الصالحين.
- إلى جميع أساتذتي ومشايخي الأجلاء، وأصحاب الفضل عليّ من الكرماء النبلاء الذين أضاءوا لي الطريق، وكانوا على درب العلم خير معين وصديق.

كلمة الشكر والتقدير

الحمد لله الذي أنار لنا درب العلم والمعرفة وأعاننا على أداء هذا الواجب ووفقنا إلى انجاز هذا العمل، ولم نكن لنصل إليه لو لا فضل الله علينا، وأصلي وأسلم على نبينا محمد، وعلى آله وأصحابه أجمعين ومن سار على نهجه، وتمسك بسنته، واقتدى بهديه، وأتبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

ثم أما بعد:

- فأولا أشكر الله ربّي الذي أنعم عليّ بآلائه التي لاتعدّ ولا تحصى، وأكرمني بنعمة العلم ومنّ عليّ بإتمام هذا البحث المتواضع.
- ثم أتوجه بالشكر والتقدير إلى أستاذي المشرف على الرسالة فضيلة الأستاذ مصعب افتخار خان دراني - حفظه الله ورعاه - (المحاضر في قسم التفسير وعلوم القرآن بكلية أصول)، الذي بذل جهده وأوقاته الثمينة في الإشراف على بحثي والتعاون معي حتى تمّ البحث بهذه الصورة، فجزاه الله أحسن الجزاء.
- كذلك نخص بالذكر فضيلة الأستاذ الدكتور المقرئ تاج أفسر - حفظه الله ورعاه - (رئيس قسم التفسير وعلوم القرآن) الذي شجّعني بالعلم والمعرفة، ووجّه نظري إلى عنوان البحث وشخصية عبقرية "الشيخ أبو الكلام آزاد" (رحمه الله) من بين شخصيات الهند، فجزاه الله خير الجزاء.
- كما أقدم الشكر والتقدير والامتنان إلى جميع الأصدقاء الذين ساعدوني من قريب أو من بعيد على انجاز هذا العمل المتواضع، وفي تذليل ما وجهني من صعوبات، فجزى الله الجميع عني خير الجزاء.
- وفي النهاية أقدم أسمى آيات الشكر والامتنان والتقدير والمحبة إلى جميع أساتذتنا الأفاضل الذين مهدوا لنا طريق العلم والمعرفة، كما أتوجه بالشكر إلى جميع القائمين بالجامعة الإسلامية العالمية بإسلام آباد، وأخص بالشكر كلية أصول الدين، ثم قسم التفسير وعلوم القرآن، فجزاهم الله خير ما يجزي به عباده الصالحين.

الطائب : محمد بشير "فرقاني"

كلية أصول الدين - قسم التفسير وعلوم القرآن

الجامعة الإسلامية العالمية - اسلام آباد

المقدمة^١

الحمد لله الذي أخرجنا بالإسلام من ظلمات الجهل والوهم إلى أنوار المعرفة والعلم، ومن وحول الشهوات إلى جنات القربات، والحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب ولم يجعل له عوجاً، وشرع الإسلام وجعل له منهجاً، وأعز أركانه على من غالبه، فجعله أمناً لمن تمسك به، وسلاماً لمن دخله، وبرهاناً لمن تكلم به، وشاهداً لمن خاصم عنه، ونوراً لمن استضاء به، وفهماً لمن عقل، ولباً لمن تدب، وآية لمن توسم، وتبصرة لمن عزم، وعبرة لمن اتعظ، ونجاة لمن صدق، وثقة لمن توكل، وراحة لمن فوض، وجنة لمن صبر.

أما بعد!

ومألاً لشك أن قيمة كل شيء مرتبطة بقيمة موضوعه ومادته ولا يوجد على وجه البسيطة أشرف وأحل وأعظم من كلام الله عز وجل المتمثل في كتابه وقرآنه المجيد الذي قال الله تعالى فيه: {إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ* فِي كِتَابٍ مَكْنُونٍ} ^(١)

وقد حاولت الأمة الإسلامية فهم كتاب الله عز وجل معرفة معانيه منذ فجر الدين الحنيف فقد كان أول من فسر هذا الكتاب الجليل وهو نبينا محمد -صلى الله عليه وسلم- كمال قال الله عز وجل: {وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ} ^(٢)

ومن ثم الصحابة رضي الله عنهم الذين تابعهم علماءنا الكرام حتى وصلنا إلى عصرنا الحاضر، ولكن التراث التفسيري يختلف بعضه عن بعض في اتجاهاتها اختلافاً واضحاً، لأن التنوع في مناهج الكتابة تتحدد بحسب حاجة الناس وأحوالهم، فمهم من غلبت عليه النزعة الدينية وتوسع في شرح العقيدة وأركان الإسلام، ومنهم من غلبت عليه الناحية اللغوية من بلاغة وبيان، ومنهم من غلب عليه لون الفقه، ومنهم من ركر على القضايا الاجتماعية والمعاصرة حسب المجتمع الذي يعيش فيه.

الشيخ أبو الكلام آزاد كان من المفسرين الذين رعى في تفسيره القضايا المعاصرة التي يواجهها المسلمون في المجتمعات الحديثة والغربية والبلدان الإسلامية، و يسمى تفسيره — "أم الكتاب".

(١) سورة الواقعة الآيتان ٢٧ - ٧٨ .

(٢) سورة السجدة الآية ٤٤

ولما انتهيت عن الدراسة المنهجية في الجامعة الإسلامية العالمية إسلام آباد بكلية أصول الدين قسم التفسير وعلوم القرآن وحان مرحلة البحث والتحقيق لإعداد رسالة الماجستير فاخترت "تفسير أم الكتاب" للشيخ أبو الكلام آزاد (دراسة وتعليق) كموضوع من موضوعات التفسير وذلك للأسباب التالية :

أسباب اختيار الموضوع :

- ١- إن المؤلف لهذا التفسير من العلماء الكبار وصاحب منزلة الرفيعة، وعلم الهدى في شبه القارة الهندية الذي له باعٌ طويلٌ في خدمة الإسلام وتحرير الوطن. هذا هو الأمر الذي يجعل هذا البحث حديراً بالبحث فأردت أن أبرز جهوده التفسيرية.
- ٢- الشيخ أبو الكلام آزاد كان مفسراً بارعاً من ناحية، ويعمل قائداً للحركة الوطنية لتحرير شبه القارة الهندية من سيطرة الاستعمار من جهة أخرى، ولذا قد غلب على تفسيره لون الدعوة العامة على مستوى البشرية بدون التفرقة بين طائفة وأخرى.
- ٣- من ميزة تفسيره -أيضاً- أنه يدعو كافة أهل الوطن (الهندوس والبودية والنصارى وغيرهم) إلى الأصول المشتركة بين جميع الديانات؛ منها الإطاعة للذات الواحد، والتجنب عن الطاغوت، والجهد لقيام العدل، والقضاء على الظلم، وأداء حقوق الناس، ومخالفة السيطرة على الآخرين والظلم عليهم.
- ٤- يعتبر الشيخ القرآن الكريم كتاب هداية وإرشاد للناس جميعاً، ويخالف من يُصرُّ على كونه كتاباً للمسلمين فقط، ولذلك قد تكلم علي مظاهر الربوبية مفصلاً تحت قول الله تعالى "الحمد لله رب العالمين" وعلى عموم رحمته تعالى للناس عامة.
- ٥- لم يوجد بعد دراسة علمية شاملة لهذا الجزء من التفسير رغم شهرته وأهميته، فبادرتُ إلى القيام بهذا العمل الخير انطلاقاً من قول الله تعالى : { فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ }^(١)

٦- لهذا التفسير (أم الكتاب) بعض المزايا التي اختصَّ بها عن غيره بأسلوبه الرائع، عذب وسهل، والتركيز على القضايا الاجتماعية، والعلمية، والتاريخية، وخاصة القضايا المعاصرة التي يواجهها المسلمون في المجتمعات الهندية والغربية والبلدان الإسلامية.

٧- تفسير "أم الكتاب" مكتوب باللغة الأردية حيث لا يتمكن غير الناطقين بها من الاستفادة به؛ مع أنه يحتوي على مزايا جديرة بإبرارها، فأردت أن أكتب عنه حتى يطلع عليه أهل اللغة العربية.

٨- التزام الشيخ بمنهج أهل السنة والجماعة في تفسيره.

٩- إقبال عامة الناس والعلماء المعاصرين على هذا التفسير.

١٠- شعفي بالإطلاع على التفسير المعاصرة، وكيفية تعرضها للقضايا المعاصرة.

١١- كون الموضوع جديداً فيما أعلم حيث لم يسبق إليه أحد.

منهج البحث في تناول الموضوع:

سيكون منهجي في البحث "تحليلياً" حيث أقوم بترجمة البصوص الأردية ترجمة تحليلية، ثم أعلق عليها تعليقا علميا، وسأذكر لها الأقوال المفسرين الآخرين إن أحتيج إليه، وأخرج الأحاديث التي استدل بها الشيخ في تفسيره، مستشهدا في ذلك كله بالأمثلة من "أم الكتاب".

خطوات البحث:

سأعتمد في هذا البحث على الخطوات الآتية:

- ذكر الآيات القرآنية إثارة إلى رقمها و سورها في الهامش.

- تخريج الأحاديث النبوية الشريفة التي أوردت في الرسالة من مصادرها الأصلية مع ذكر اسم المؤلف، والكتاب والباب وأرقام الآحاديث.
- ترجمة النصوص الأردية إلى العربية ترجمة تحليلية.
- البحث عن التراكيب العربية المناسبة للتراكيب الأردية المستخدمة في تفسير "أم الكتاب" حسب استطاعتي، وإن عجزت عنها في بعض الأماكن أعبر عن معانيها.
- محاولة أن تكون الترجمة متقاربة لما أراده المؤلف لفهم القاري.
- ذكر المواضع التي يمكن التعليق عليها تعليقا علميا.
- ذكر الأسماء الإنجليزية بين القوسين () وأقوم بترجمته في الهامش.
- الالتزام بذكر المصادر والمراجع في الهامش بالمهجع التالي: ذكر اسم الكتاب والاسم المشهور للمؤلف بتمامه، وزمن الطبع ومكانه، مع ذكر الجزء والصفحة، وبيانات الكتاب عند ذكره لأول مرة، وفي المرة الثانية وما بعدها ذكر اسم المؤلف والكتاب مع الجزء والباب والصفحة فقط.
- شرح الكلمات الغامضة في الهامش.
- ذكر التراجم للأعلام الغير المشهورين في تفسير "أم الكتاب".

الدراسات السابقة:

لم أحد حتى الآن أي مرجع أو كتاب أو بحث يستوعب تفسير سورة الفاتحة من جهة الدراسة والتعليق لأي الكلام أراد بتشكيل علمي، ونظرا لهذا وقع اختياري على دراسة عنه راحيا من الله السداد والتوفيق.

وأما المصادر التي تناولت الموضوع بصورة مبثّرة هي كالآتي :

- تفسير ترجمان القرآن لمولانا أبي الكلام آزاد "ترجمة وتعليق" (سورة البقرة وآل عمران) للطالب سميع الله رسالة ماجستير في الجامعة الإسلامية العالمية بإسلام آباد .
- اعتنى بروفيسور عبداللطيف بترجمة تفسيره ترجمان القرآن إلى الإنجليزية وهي موجودة في المكتبة المركزية للجامعة الإسلامية العالمية اسلام آباد.

مشكلة البحث :

وهي تشتمل على ثلاثة أسئلة وهي كالتالي:

➤ هل التزم الشيخ بمنهج مفسري أهل السنة والجماعة أم لا ؟

➤ هل عالج الشيخ المسائل المتعلقة بالقضايا المعاصرة ؟

➤ هل فسر الشيخ القرآن تفسيراً تقليدياً محضاً أم راعى فيه أحوال زمانه ؟

هذه كانت بعض التساؤلات التي سأقوم بالبحث عن أجوبتها في دراسة تفسير الشيخ أبي الكلام آزاد

بتفسير سورة الفاتحة المسمى "بأم الكتاب".

خطة البحث:

تتكون هذه الدراسة من مقدمة وتمهيد وأربعة فصول أما المقدمة: فتشتمل على أسباب اختيار الموضوع ومنهج البحث والدراسات السابقة ومشكلة البحث وتحديد الدراسة وموضوعات البحث المقترحة.

أما التمهيد فيشتمل على مبحثين:

المبحث الأول: التعريف بالشيخ أبي الكلام آزاد: حياته، وعصره، آثاره، وجهوده، العلمية والعملية.

المبحث الثاني: ويشتمل على أربعة مطالب الآتية.

المطلب الأول: التعريف المفصل لتفسير "أم الكتاب".

المطلب الثاني: ميزات تفسير سورة الفاتحة المسمى بـ "أم الكتاب".

المطلب الثالث: منهج الشيخ أبي الكلام آزاد في تفسيره "أم الكتاب".

المطلب الرابع: ثناء العلماء على تفسير "أم الكتاب".

الفصل الأول: خصائص سورة الفاتحة وأسلوب منهجيتها. ويشتمل على

ثلاثة مباحث وهي كالتالي:

المبحث الأول: أهمية سورة الفاتحة وخصائصها. ويشتمل على أربعة

مطالب الآتية:

المطلب الأول: أهمية سورة الفاتحة.

المطلب الثاني: تناول السورة لمقاصد الدين على سبيل الإجمال.

المطلب الثالث: بيان منهجية وأسلوب سورة الفاتحة.

المطلب الرابع: مهام دين الحق.

المبحث الثاني: نظام الربوبية، وأنظمة الكون، وعناصره. ويشتمل على أربعة مطالب الآتية:

- المطلب الأول: الكلام في تحقيق كلمة "الحمد".
- المطلب الثاني: الكلام في لفظ الجلالة "الله".
- المطلب الثالث: الكلام في تحقيق الربوبية، وأنظمة الكون وعناصرها.
- المطلب الرابع: الكلام في الربوبية المعنوية، والتقدير، والهداية.

المبحث الثالث: مبدأ الاستدلال للبراهين القرآنية. ويشتمل على ثلاث مطالب الآتية:

- المطلب الأول: مبادئ الاستدلال وخلاصتها.
- المطلب الثاني: الاستدلال ببرهان الربوبية.
- المطلب الثالث: الاستدلال بنظام الربوبية على التوحيد، وضرورة الوحي، ووجود المعاد.

الفصل الثاني: مظاهر الرحمة الإلهية في الكون، وحقيقة اختلاف الشرائع.

ويشتمل على أربعة مباحث وهي كالتالي:

المبحث الأول: مظاهر الرحمة في الكون، وقانون بقاء الأنفع. ويشتمل على مطلبين:

- المطلب الأول: مفهوم الرحمة، ومظاهرها في الكون.
- المطلب الثاني: الجمال الفطري والمعنوي، وقانون بقاء الأنفع.

المبحث الثاني: بيان التدرج والإمهال، والحكمة في تغيير الكون. ويشتمل على مطلبين:

- المطلب الأول: التدرج والإمهال، ومفهوم الأجل.
- المطلب الثاني: تغيير الأشياء والأيام والحكمة في تغييرها.

المبحث الثالث: برهان الرحمة والاستدلال به في القضايا بين الحق والباطل.

ويشتمل على مطلبين:

المطلب الأول: برهان الفضل والرحمة والاستدلال به.

المطلب الثاني: قانون القضاء بالحق، والاستعجال بالعذاب.

المبحث الرابع: مفهوم العقائد الدينية وحقيقة اختلاف الشرائع. ويشتمل

على مطلبين:

المطلب الأول: مفهوم العقائد الدينية في ضوء الرحمة.

المطلب الثاني: اختلاف الشرائع، وحقيقة دعوة المسيح عليه السلام.

الفصل الثالث: بيان العدل الإلهي، مع ذكر الأديان المختلفة قديما

وحديثا. ويشتمل على أربعة مباحث وهي كالتالي:

المبحث الأول: بيان العدل الإلهي وقانون الجزاء والعقاب. ويشتمل على ثلاث

مطالب الآتية:

المطلب الأول: تحقيق كلمة "الدين" وحقيقة الجزاء والعقاب.

المطلب الثاني: قانون العدل الإلهي والعناصر المعنوية في تحسين الكون.

المطلب الثالث: وضع الميزان والعمل الصالح في اصطلاح القرآن.

المبحث الثاني: تصور الإله في الديانات المختلفة القديمة، والدراسات المعاصرة.

ويشتمل على ثلاثة مطالب الآتية:

المطلب الأول: ارتقاء الديانة والدراسات الحديثة.

المطلب الثاني: الأديان المختلفة قديماً وحديثاً، والدراسات المعاصرة.

المطلب الثالث: التصور البدائي للإنسان وشهادة القرآن الكريم.

المبحث الثالث: الديانات والأفكار العامة عند نزول القرآن الكريم. ويشتمل على

خمسة مطالب الآتية:

المطلب الأول : ديانة أهل الصين، ونظرية الشمسية في الصين .

المطلب الثاني: تصور الديانة في الهند ونظريات الهندوس.

المطلب الثالث: الديانة المجسوسة ونظريات الزرادشتية .

المطلب الرابع: التصورات اليهودية والمسيحية.

المطلب الخامس: فكرة فلاسفة اليونان وفلسفة الأفلاطونية المحدثة.

المبحث الرابع: خصائص القرآن الكريم وبيانه لصفات الإلهية. ويشتمل على خمسة

مطالب الآتية:

المطلب الأول: التزيه الكامل والفرق بين التزيه والتعطيل.

المطلب الثاني : بيان الصفات الإلهية، ومفهوم المحكم والمتشابه.

المطلب الثالث: منع جميع الصور الشركية، وبيان التوحيد في الصفات.

المطلب الرابع: بيان مقام النبوة، وتصور الواحد للعوام والخواص.

المطلب الخامس: التفكير في خلق الله سبحانه، ومراتب الدين.

الفصل الرابع: بيان مفهوم الهداية والصراط المستقيم في ضوء القرآن الكريم. ويشتمل على ثلاثة مباحث وهي كالتالي:

المبحث الأول: أقسام الهداية، والفرق بين الدين والشرع في ضوء القرآن الكريم. ويشتمل على ثلاثة مطالب الآتية:

المطلب الأول: بيان الهداية ومراتبها.

المطلب الثاني: الأصل وحدة الدين، والقرآن الحكيم.

المطلب الثالث: الفرق بين الدين والشرع، ومنع التحزب في الأديان.

المبحث الثاني: التحزب والتفرق في أهل الكتاب، وأساس السعادة في القرآن الكريم. ويشتمل على مطلبين:

المطلب الأول: حقيقة التشيع والتحزب في اليهود، والرد عليهم.

المطلب الثاني: معاملات اليهود مع غير اليهود، وقانون السعادة في القرآن الكريم.

المبحث الثالث: أسباب عداوة المنكرين للقرآن، ومفهوم الصراط المستقيم في ضوء القرآن الكريم. ويشتمل على مطلبين:

المطلب الأول: دعوة القرآن الكريم، وطرق معرفة الله تعالى.

المطلب الثاني: أسباب عداوة المنكرين للقرآن، ومفهوم الصراط المستقيم.

الخاتمة

ذكرت فيها أهم التوصيات والنتائج التي وصلت إليها خلال دراستي لهذا الموضوع.

التمهيد فيشتمل علي مبحثين :

المبحث الأول : التعريف بالشيخ أبي الكلام آزاد، حياته وعصره
ومشائخه وجهوده العلمية والعملية .

المبحث الثاني : ويشتمل على أربعة مطالب الآتية.

المطلب الأول : التعريف المفصل لتفسير أم الكتاب .

المطلب الثاني : ميزات تفسير سورة الفاتحة المسمى بأم الكتاب .

المطلب الثالث : منهج الشيخ أبي الكلام آزاد في تفسيره "أم الكتاب" .

المطلب الرابع : ثناء العلماء على تفسير أم الكتاب .

مَهْيَدٌ

في التعريف بالشيخ أبي الكلام آزاد وتفسيره "أم الكتاب". ويشتمل على المباحث التالية:
المبحث الأول: التعريف بالمفسر مولانا أبو الكلام آزاد، حياته وعصره، آثاره، وجهوده العلمية والعملية.

أ- إسمه ومولده:

اسمه الحقيقي محي الدين أحمد بن حيدر الدين، واسمه التاريخي عند الولادة فيروز بخت، أما لقبه "أبو الكلام"، فقد أُطلق عليه كونه خطيباً بارعاً ومشوقاً، وكلمة "آزاد" تعني باللغة الأردية "الإنسان الحر"^(١). وُلد بمكة المكرمة في نوفمبر ١١ سنة (١٨٨٨م) وفي عام (١٨٩٠م) قدم أبوه إلى كلكتة^(٢) برفقة العائلة بأجملها^(٣).

(١) يقول مالك رام بأن "آزاد" لقبه نه أستاذ الشاعر في البداية وتكنى نفسه بأبي الكلام. أنظر: خطوط آزاد، مرتبة: مالك رام. ط: ١٩٨٨م دهلي. ص ٤٣.

(٢) كلكتا مدينة هندية تقع شرق الهند عاصمة ولاية البنغال الغربية اتحادية لسهالديس. وتعد رابع أكبر مدينة في الهند والمدينة الرابعة عشرة في العالم، تقع مدينة كلكتا على شاطئ خليج البنغال. تم إنشاء مدنها كلكتا في عام ١٦٩٠ ميلادي على يد شركة إنجليزية تسمى شركة الهند الشرقية. وفي عام ١٧٧٣ ميلادي اتخذت الهند مدينة كلكتا عاصمة لها، ولكنها تخفت عنها في عام ١٩١٢ ميلادي وأصبحت دلهي عاصمتها، يوجد في مدينة كلكتا مراكز علمية ومراكز أبحاث خاصة بالدراسات الحديثة. بالإضافة إلى ثلاث جامعات يسم فيهم تبادل الثقافات وتعلم اللغات ومكتبة العلم والمعرفة. كذلك تمتاز مدينة كلكتا بعدد الصناعات فيها. فكثر الصناعات التكنولوجية. ومساعدتها. ومعروفه لتعدد أحيائها. ونسج الخشبي. والترون. ومسحور. أنظر: موسوعة اللغة الأردية (جامع اردو اسايكلو بيديا). تحت إشراف: المجلس الوطني للتاريخ وتعزيز اللغة الأردية دهلي - الهند، (قومي كونسل برائ فروغ اردو رمان، حكومت هند - دهلي). ص: ٢٦٢.

(٣) آزادي هند (India Wins Freedom - الهند تظهر بالحرية) لمولانا أبي الكلام آزاد. الناشر: مكتبة الخيال اردو بازار لاهور. الطبع: نايا سنز لاهور. سنة الطبع: ٢٠١٦. ص-١٢.

ب- نشأته و أسرته:

لم تكن أصول أسرته من الهند، بل موفدة على الهند من ولاية هرات^(١) الأفغانية أيام الإمبراطور الهندي عهد ظهير الدين بابر^(٢) المغولي في الهند سنة (١٥٢٦م)، واستقرت أسرته أولاً في مدينة "آغرا"^(٣) ثم انتقلت إلى دهلي^(٤).

كما تحدث آزاد عن نفسه قائلاً: "جاء أسلافي إلى الهند من "هرات" في عهد بابر، واستقروا في البداية بمدينة "آغرا"، ثم انتقلوا إلى مدينة دهلي للعيش، كانت عائلتي بيت علم، وفي عهد جلال الدين محمد أكبر، حاز مولاي جمال الدين شهرة كبيرة باعتباره عالم دين، بعد ذلك انشغلت عائلتي بأمور ديوية، وشغل العديد من أفرادها مناصب مدنية مرموقة، وفي أيام شاهجهان عين محمد هادي حاكماً على قلعة "آغرا"، وعمل بعض أفراد عائلتي في مناصب كبيرة علمية وإدارية وحظوا بالقرب من أباطرة

(١) هرات - وهي من أكبر المدن الحراسان السابقة والأفغانستان حالياً، افتتحها الأحف بن قيس في خلافة عثمان بن عفان رضي الله عنه، وإسمها التاريخي آرية، والنسب المروي، تقع غربي البلاد قرب الحدود الإيرانية، يمر منها نهر هريود الذي يتدفق من وسط البلد، تحدها بادعيس شمالاً وفراه جنوباً وغور شرقاً وإيران غرباً. مدينة هرات فيها مديرية حمركان، عملاقان بستورعدي قرب حدود تركمانستان والآخر في بلدة إسلام قلعة على مقربة من الحدود الإيرانية، مساحتها حوالي ٥٤٧٧٨ كيلو متر مربع. أنظر: أكاد المرحان في ذكر المذائ المشهورة في كل مكان. لإسحاق بن الحسين المنعم. الناشر: عالم الكتب، بيروت. الطبعة: الأولى، ١٤٠٨ هـ. ص-٧٧.

(٢) السلطان ظهير الدين محمد بابر شاه، وأشتهر في الأتراك باسمه المشهور بابر شاه، وهو أول ملك من معول في الهند ولد في (١٤٨٣ م) وشأ في مهد السلطة، وتلقى الفنون الحربية، وكان ذكياً فطناً حاد الدهن، سريع الإدراك، قوي الخفظ، فتبحر في كثير من الفنون لا سيما الشعر والإستاء والعروض والألعاب والخط، وحلّس على سرير الملك (١٥٢٧م) في أندحان من بلاد ما وراء النهر، وله ميراث في السياسة والحكومة، توفي سنة (١٥٣٠ م) ودفن في كابل (أفغانستان). أنظر: الإعلام عن تاريخ الهند من الأعلام، لعبد الحفي بن فخر الدين الحسيني الطائفي. ط: دار ابن حرم - بيروت. لبنان (١٩٩٩م). ٣١٤/٤.

(٣) هي المدينة التي تقع في شمال الولاية من ولاية أتر برديش. الهند تقع جنوب العاصمة نيودلهي بحوالي ٢٠٠ كيلومتر. تأسست المدينة عام ١٤٧٥، وجعلها سلطان إسكندر عاصمة لبلده في سنة ١٥٠٦. وحقت شهرة علمية من حيث راس المال في الهند المعول أباطرة من ١٥٢٦ حتى ١٦٥٨ لا يزال وجهة سياحية رئيسية نظراً للكثير من روائعها في عهد المعول والمسلم، أهمها تاج محل. وكانت كانت تعرف الأجرة في العهد المعول بأكثر آزاد. أنظر: دائرة معارف إسلامية، بإشراف: شعبة التحقيق جامعة سحاب، لاهور. ١٩١١.

(٤) دهلي هي ثاني أكبر مدينتي هندية بعد مومباي والثامنة عالمياً من حيث الكثافة السكانية وهي العاصمة السياسية للدولة، تقع دهلي في شمال الهند على ضفاف نهر يما ويقطعها حوالي ١٣ مليون نسمة وهي مقر جامعة دهلي، تتمتع دهلي باستقلال ذاتي ولها برلمان منذ سنة ١٩٩١. توحد في دهلي المباني المشهورة مثل القلعة الحمراء (لال قلعة) المسجد الأحمر (لال مسجد) -سيار القطب وغيرها. أنظر: اردو دائرة معارف إسلامية. ٢٩٤/٩.

المغول، وقد كان جدِّي منور الدين^(١)، من أحد "ركن المدرسين" في عهد المغول وهي وظيفة يشرف بها على التعليم (كوزير المعارف) في الدولة، وكان ذلك في عهد الإمبراطور العظيم "شاه جهان"^(٢) الذي تولى الحكم سنة ١٦٢٨ م -، في هذه الظروف توفي جد مولانا آزاد لأبيه، وترك ابنه خير الدين^(٣) (والد آزاد) صغيراً فكفله جده لأمه و رباه تربية دينية^(٤).

ج- نشأته العلمية :

كانت نشأة مولانا آزاد العلمية وتربيته موافقة للبيئة التي كان يعيش فيها والده، حيث صُحِب والده جده لأمه في هجرته من الهند إلى مكة، واحتماله أن يرى من الإنجليز يتمكنون من شؤون البلد، ويتصرفون فيها بحرية تامة، ويمنعون من انتشار النفوذ الإسلامي به، فبدأ والده بالرحلة إلى مكة ولم يكملها جده لأمه لأنه توفي في ممباي، وكان والده آنذاك في سن الخامسة والعشرون من عمره، بعد أن قضى في مكة زمناً طويلاً ما يقارب ثلث قرن ولم يكن يحب أن يقيم في الهند بعد تمكن النفوذ الإنجليزي فيها، لولا أن أصحابه ومريديه ألخوا على العيش فيها، رغم أن العيش في الوطن الأصلي بجانب الأصدقاء والمريدين أحب للإنسان من كل شيء.

وقد كانت بيئة "كلكتا" متلوثة بالفساد لذا والد آزاد لم يرسل أولاده للتربية خارج حدود البيت، فقام بتعليمهم وتربيتهم بجانب رعايتهم ومراقبة شؤونهم عليهم بالتربية والتعليم، واختار له أساتذة مهرة والصالحين وقد تعلم الأولاد على الطريقة التقليدية حيث يتفرد معلم أو معلمان بتربية أولاد

(١) مولانا منور الدين هو جد مولانا أبي الكلام آزاد، ولد في سنة (١٧٨٧ م) وكان مذهباً حنيفياً، وكان عالماً مشهوراً في الهند، وتوفي سنة (١٨٥٨ م). أنظر: أبو الكلام آزاد "ادبي و شخصي مطالعة"، لـ أفصل حق قريشي. طبع ١٩٩٦ م. ص ٥٨.

(٢) شاهجهان هو ملوك المغول ولد سنة (١٥٩٢ م)، وحكم الهند في سنة (١٦٢٨ م)، وهو كان منتوقاً لساء المبادئ المخرفة، فلما أمر ببناء المبنى المشهورة في الهند مثل: تاج محل، المسجد الجامع لدهلي، الحصن الملكي - وتمكن المسلمون من الإردهار والتطور في ربه. أنظر: تاريخ بحار لـ سيد محمد لطيف، الناشر: المكتبة سلك ميل لاهور سنة الطبع: ١٩٨٦ م.

(٣) خير الدين ولد سنة (١٨٣١ م) وتفرغ من العلوم الإسلامية وعمره ثمانية عشرة، وتزوج بآسة شبيحة محمد بن طاهر و تولى في المندية المنورة وتوفي يوم ١٥ أغسطس سنة (١٩٠٨ م). أنظر: أبو الكلام آزاد ادبي و شخصي مطالعة لـ "أفصل حق قريشي". ص - ٦٧.

(٤) آزادي همد مولانا أبو الكلام آزاد. ط - مكتبة جمال لاهور. ص - ١١.

الأشراف، ومن شاطر الشيخ خير الدين في تعليم وتربية أولاده هم الشيخ محمد عمر، والشيخ محمد يعقوب الدهلوي، والشيخ ندير الحسن الأميثوي، والشيخ سعادت حسين الآروي^(١).

يقول مولانا آزاد في مجموع رسائله: "كان أبي رجلاً كثير التمسك بالتقاليد، لذلك لم يكن يؤمن بجدوى الفكر الغربي، ولم يفكر أبداً في أن يمنحني تعليماً عصرياً، وأصرّ أبي على أن يكون تعليمي تقليدياً، وكان يعتقد اعتقاداً جازماً أن التعليم العصري من شأنه أن يعصف بعقيدتي الدينية، وكان من تقاليد المسلمين القدامى من اهنود توحيه الأولاد إلى تعلم اللغة الفارسية قبل تعلّم اللغة العربية، وما إن يتمرس الأولاد ببعض قواعد هذه اللغة حتى يتم الشروع في تلقينهم علوم الفلسفة والهندسة والرياضيات والجبر باللغة العربية، ولاستكمال هذا التعلّم، كان لا بد من تلقي الدروس في الشريعة الإسلامية، وقد لجأ أبي إلى تدريسي في البيت، لأنه لم يشأ أن ألتحق بأي مدرسة، وعلى الرغم من أن أبواب مدرسة كلكتا كانت مفتوحة، فإن موقف أبي منها كان سلبياً، فقد عمد أبي في البداية إلى تدريسي بنفسه، ثم جاءني بمدرسين، وأوكل إلى كل واحد منهم مهمة تدريسي مادة من المواد التي كان عليّ تعلّمها، فتعلّمت في بيئة أحاط بها الجو التقليدي البحت، فلم أخرج عن حدوده الضيقة، والأساتذة الذين علموني دون والذي قد أمتحنوا من قبل أبي، وهم اعترفوا لي بأنه لن يبلغ هذا المستوى سوى القلائل من معاصريه، ولم أوفق والذي للخروج خارج البيت أثناء مرحلتي الدراسية، وأما الحياة خارج بيتي فمارستها بعدما فرغت من دراساتي النهائية، وهذه الحياة الخارجية قد اكتشفتها بنفسي، وبالجملة فلم تتجاوز حياتي التعليمية خمس عشرة سنة"^(٢).

وفي عام ١٩٠٣م دخل مولانا آزاد الس الخامس عشر حينما فرغ من تعلم العلوم الإسلامية، وكان قد بدأ بتعليم الطلاب. حيث ما نصه: "كان الطلاب الذين يدرسون على الطريقة التقليدية ينتهون دروسهم ما بين سنّ العشرين أو الخامس والعشرين، بما فيها فترة يقوم فيها التلاميذ بتدريس تلاميذ أصغر منهم سنّاً حتى يُتوا أن المعارف التي تعلّموها قد ترسّخت في أذهانهم، كذلك لما بلغت سنّ السادس عشر حتى أكملت التعليم وفرغت من دراسة العلوم الإسلامية، بدأت بتعليم الطلاب في البيت"^(٣).

(١) آزاد كي كهان (حود نوبت سوانح) لمولانا آزاد. ضع: مكتبة حمال لاهور، سنة ١٩٢١م - ٢٠٠٥م. ص: ١٨٧.

(٢) مجموع الرسائل باسم "عمار حاطر" الذي رتبها استاد "مالك رام". ط: ساهتية اكادمي، بنو دهلي - (طبعة الرابعة) سنة ١٩٩١.

رقم الرسالة: ١٠. ص: ٨٦-٨٥.

(٣) عمار حاطر لمولانا آزاد. ص: ٩٠-٩٢.

ثم يضيف قائلاً: "بعد ذلك بقليل تعرّفت على كتابات السيد أحمد خان (١) وتأثرت كثيراً بمواقفه من التربية الحديثة، وعلمت أنه لا يمكن للمرء في عالمنا الحديث أن يكون متعلّماً بالفعل ما لم تكن لديه معرفة بالعلوم الحديثة والفلسفة والأدب، فقررت أن أتعلّم اللغة الإنجليزية، وحدثت مولاي محمد يوسف بالأمر، لأنه كان في ذلك الوقت المسؤول الأوّل عن سير الدروس الشرقية، فعلمني أجنبية اللغة الإنجليزية وأعطاني بعض الكتب الإنجليزية، وما إن تعلّمت اللغة قليلاً حتى شرعت في قراءة الإنجيل، كنت أضع النسخ الإنجليزية والفارسية والأردية جنباً إلى جنب وأقرأها بالتوازي، وقد ساعدني هذا كثيراً في فهم النصّ، وفي هذه الفترة شرعت أيضاً في قراءة الجرائد المكتوبة باللغة الإنجليزية مستعيناً بالمعجم، وهكذا سرعان ما صرت قادراً على قراءة الكتب المكتوبة باللغة الإنجليزية كرّست كل جهودي لتعلّم التاريخ والفلسفة، وكانت تلك الفترة ازمة نفسية حقيقية بالنسبة لي، فقد ولدت في عائلة مثقلة بالتقاليد الدينية، وكان علينا اتباع التقاليد كلها دون السؤل عنها، ولم يكن باستطاعتي أن أتأقلم مع هذا الوضع، وكان قلبي مفعماً بإحساس ثوريّ جديد ولم تعد الأفكار التي تشرّبتها من عائلتي من خلال فترة دراسي الأولى تكفي، فقررت أن أصل إلى الحقيقة بنفسي وبشكل شبه حدسي، احترت طريقة متغيرة عن تقليد عائلتي وأشق لي طريقاً خاصاً" (٢).

د- مولانا آزاد والجامعة الأزهر الشريف:

كثير من الباحثين يسببون آزاد إلى جامعة الأزهر ولكن هذا ليس بصحيح، فلما كان مولانا يصدر صحيفة "الهلل"، بلغه رسالة من ناقدة مقنعة، طرحت فيها ستة أسئلة بالترتيب، فكانت الفقرة الأولى للبند الثالث: لو تبين سماحتك ما يلي يكون أحسن: في أي جامعة من جامعات الشرق أو الغرب وجد سماحتك الفرصة للتعلّم فيها؟ (٣).

(١) السيد أحمد خان ولد سنة ١٨١٧م - هو من أكر رجال الإصلاح الإسلامي في القرن التاسع عشر الميلادي، ومؤسس جامعة عليكرة بالهند، نشأ في أسرة كان لها اتصال وتيق بالملوك المعول الدين حكموا الشبه القارة الهندية قبل الاحتلال البريطاني، ألّف العديد من الكتب ردّ فيها على بعض المعرّضين من المستشرقين، ودعى فيها إلى تجديد الفكر الإسلامي، وله آراء تعدد لها، توفي عام ١٨٩٨م. أنظر: سر سيد احمد خان، لراهد حوهدري. ط: مكتبة مطالعة لاهور، تاريخ الطبعة: ١٩٩٩م. ص: ٤٢.

(٢) عبار خاطر لمولانا آزاد. ورتها استاد "مالك رام". رقم الرسالة: ١١. ص: ٩٥.

(٣) الهلّال، ٢٢ - ستمبر ١٩١٢م

نشر مولانا الرد على هذه الرسالة في حلقات، وطبق البنود فقال في الرد على البند الثالث:

"هذا السؤال يتعلق بالشخصية في مصطلحكم، وهذا لا يجوز، ولكنه ليس بديدي، فأرد على سؤالكم هذا: أحمد لله بأني لم أتعلم في أي جامعة شرقية ولا غربية، واستفدت من مدرسة رب المشرقين والمغربين الذي قال: [قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ * يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُم مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ]^(١).
التي يعلم فيها من يلي: [لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ]^(٢).

وبما أن هذه المدرسة قد فتحت لي أبوابها، فقد استغنيت عن أي مدرسة أو كلية أو جامعة^(٣).

وعلى الرغم من هذه الأقوال الواضحة، بدل العديد من الباحثين جهدهم لكي يتبتوا انتسابه إلى الجامع الأزهر.

هـ - أبو الكلام آزاد وأدب المقالة الهندية:

تعليم آزاد الأولى كان باللغة العربية، فقد ورت الأردية عن أبيه، ودرس الفارسية فرع في اللغات الثلاث: العربية والأردية والفارسية، عشق الشعر فشر مجموعة شعرية وعمره لانهجوز الحادية عشرة، وحين بلغ الخامسة عشرة أصدر محله "لسان الصدق" وربطته علاقة بأبناء الهد الكبار آنذاك، إلا أن أهل الهد عرفوا أبا الكلام آزاد من خلال مقالاته العلمية التي نشرها في المحلات الأردنية المعروفة آنذاك: مخزن. ولسان الصدق، والوكيل، والدوة، ودخل ميدان السياسة بمقالاته في مجلة الهلال التي أسسها نفسه كما أسس البلاغ وخريك خلافت. وتعد مقالاته التي نشرها في الهلال والبلاغ أهم ما كتب وهي مقالات لها صلة بالفضائل والأحداث التاريخية وقد ضمت أبحاثاً قيمة وإن كانت تتعلق أساساً من ناحية الموضوع بالأمور السياسية، بالإضافة إلى مجموعة من المقالات التي نحا فيها محي الإصلاح الاجتماعي. فقد أوضح البصوات الإسلامية الأساسية للمجتمع وهي تمثل بالضرورة الفكر الديني لأبي الكلام آزاد، اهتم آزاد في

(١) سورة المائدة، الآية: ١٦٦.

(٢) سورة آل عمران، الآية: ١٦٤٤.

(٣) افلال، ١/ ٣/١١.

مقالاته بالحديث عن العلوم والآداب الإسلامية، وكشف للمسلمين وللعرب خاصة أنهم وإن كانوا أصل الحضارة إلا أنهم اتعدوا عن هذا الأصل بابتعادهم عن تعاليم الإسلام وعن لغتهم العربية، وهكذا جعل آزاد فن المقال في الأدب الأردني فنا مقروءا علي جميع المستويات^(١).

(١) الثقافة والفنون بقلم: د. سمير عبد الحميد إبراهيم. طبع في: مجلة الإهرام من مصر. العدد: ٤١٧٠٣. الجمعة ٩ فبراير

و- رحلة آزاد إلى خارج الهند والاتصال بزعماء الحركات:

وقد سافر مولانا آزاد -رحمه الله- إلى مختلف مناطق العراق وقد حضر إلى مصر في السنة - ١٩٠٨-، وكلما كانت الحركة الوطنية يشتد ساعدها في مصر ضد المستعمرين، كانت الحركات الوطنية في البلاد العربية الأخرى تسعى إلى التحرر من استبداد الأتراك، بل كان الأتراك أنفسهم في بلادهم يقاومون السلطان عبد الحميد حتى نجحت "جمعية الاتحاد والتنمية" في إجباره على إعلان الدستور عام (١٩٠٨م) ثم عزله بعد ذلك في إبريل سنة (١٩٠٩م) وإيداعه في السجن حيث توفي سنة (١٩١٨م) ومما لا شك فيه أنه عني وهو يتنقل في هذه البلاد بفكرة حركتها الدينية والوطنية واتصل بمن أمكنه الاتصال بهم من زعماء هذه الحركات، وأخذ خبرة واستمد القوة كل من رآهم وسمع منهم، وكان من هؤلاء الذي رآهم وسمع منهم وتأثر بهم السيد محمد رشيد رضا^(١).

وقد اتصل كذلك برجال الأزهر في ذلك الوقت، ووقف على سير الدراسة في جامعة الأزهر ومناهجها ولكنه لم تجذبه إليها، بل انتقدها في مذكراته حين تناول هذه الفترة من حياته قائلا: "وكان النظام السائد في الأزهر حينما زرت القاهرة (١٩٠٨م) ناقصا غير واف، فلم يكن يثقف العقول أو يساعد على تحصيل معلومات وافية عن اللغة العربية القديمة، وحاول الشيخ عبده إصلاح النظام، لكن العلماء المحافظين أحبطوا جميع جهوده، وعند ما قنط الشيخ من إصلاح الأزهر أسس مدرسة جديدة سماها "كلية دارالعلوم" وهي باقية الى يومنا، وإذا كانت الأمور تجري في الأزهر هذا المحرى فمالي أن أذهب اليه للدراسة؟!"^(٢).

وبعد أن زار مولانا آزاد -رحمه الله- البلاد العربية قام بزيارة "تركيا"، والبلاد الغربية "فرنسا وإنجلترا"، ووقف على سير الحياة فيهما، وحال بينه وبين رحلته إذ تلقى وهو في باريس نأ مرض والده، فعاد سريعا إلى الهند في سنة (١٩٠٨م)، ليكون بجانبه، وقد تزود بمعارف وتجارب جديدة ولا شك أنها كانت ذات أثر كبير في مسيرة حياته، وتكوين شخصيته العلمية^(٣).

(١) التاريخ الإسلامي، للدكتور أحمد سلي. ص- ١١٦.

(٢) عبار حاضر، لمولانا آزاد. ص: ٩٧.

(٣) أنظر: حودرتت سوانح (السيرة الذاتية)، لمولانا آزاد. ص: ٣٢٣-٣٢٥.

ز- ثورة الحرية، تأسيس جماعة "حزب الله" وإصدار مجلة "الهلال" ثم "البلاغ":

وكانت صيحة السيد جمال الدين الأفغاني^(١) أخذت تؤتي ثمارها، وأيقظت عليها الشرق وارتكزت على الدين ودعوته للنهوض والتحرر من الاستعمار والا استبداد، وحملها بعد وفاته تلامذته وفي مقدمتهم الإمام الشيخ محمد عبده^(٢) وتلامذته الذين واصلوا السير على منهجه في دعوته الإصلاحية، وكان أبرز من هؤلاء في مقام الدعوة والتربية السيد محمد رشيد رضا^(٣) الذي اتخذ من مجلة "المنار" منبرا قويا لدعوته، ثم امتد أثر هذه الدعوة حتى وصل للهند وكان لها أثر البالغ في بث الحركة في المسلمين، أو في إشعالهم لطلب التحرر لبلادهم من الاستعمار الانجليزي، ومست شرارة هذه الدعوة قلب شاب تخرج من المعاهد الهندية، ثم جاء إلى مصر يزورها، ويتعرف على الحركات الدينية والوطنية بها سنة (١٩٠٨م)

(١) جمال الدين محمد بن صعدر الحسيني (١٨٣٨-١٨٩٧م)، فيلسوف الإسلام في عصره، وأحد الرجال الأعداء الذين قامت على سواعدهم نخبة الشرق الحاضرة، ولد في أسعد آباد (مركز محافظة كير نأفغانستان) ونشأ بكابل، وتلقى العلوم العقلية والقلبية، وبرز في الرياضيات، وسافر إلى الهند، ورجع (سنة ١٢٧٣ هـ) وعاد إلى وطنه، فأقام بكابل، وانتظم في سلك رجال الحكومة في عهد (دوست محمد خان) ثم رحل مارا بالهند ومصر، إلى الآستانة (سنة ١٢٨٥) فحجج فيها من أعضاء مجلس المعارف (وزارة التعليم)، ونفي منها (سنة ١٢٨٨) فقصده مصر، ففتح فيها روح النهضة الإصلاحية، في الدين والسياسة. أنظر: الأعلام، لخير الدين بن محمود الرركلي الدمشقي. ط: دار العلم للملايين (٢٠٠٢م). ١٦٩\٦.

(٢) محمد عبده بن حسن حير الله (١٨٤٩ - ١٩٠٥م) من آل التركماني، مفتي الديار المصرية، ومن كبار رجال الإصلاح والتحديد في الإسلام، ولد في شنرا (من قرى العربية بمصر) ونشأ في محلة نصر (بالبحيرة) وأحب في صباه الغروسية والرماية والساحة، وتعلم بالجامع الأحدي بطنطا، ثم بالأهر، وتصوف وتفلسف، وعمل في التعليم، وكتب في الصحف ولا سيما حريدة (الوقائع المصرية) وقد تولى تحريرها، وسافر إلى باريس فأصدر مع صديقه وأستاذه جمال الدين الأفغاني حريدة (العروة الوثقى) وعاد إلى بيروت فاشتغل بالتدريس والتأليف. وسمح له بدخول مصر، فعاد سنة ١٣٠٦ هـ (١٨٨٨) وتولى منصب القضاء، ثم جعل مستشارا في محكمة الاستئناف، واستمر إلى أن توفي بالإسكندرية، ودفن في القاهرة. أنظر: الأعلام، لخير الدين الرركلي. ٢٥٢\٦.

(٣) محمد رشيد بن علي رضا (١٨٣٥-١٩٠٥م) البعادي الأصل، الحسيني النسب، صاحب مجلة (المنار) وأحد رجال الإصلاح الإسلامي، من الكُتّاب، العلماء ناخذيت والأدب والتاريخ والتفسير. ولد ونشأ في القلمون (من أعمان صرابلس الشام) وتعلم فيها وفي طرابلس، وتسلك. ونظم الشعر في صباه، وكتب في بعض الصحف، ثم رحل إلى مصر سنة ١٣١٥ هـ فلامر الشيخ محمد عبده وتعلم له، وكان قد اتصل به قبل ذلك في بيروت، ثم أصدر مجلة (المنار) لث آرائه في الإصلاح الديني والاجتماعي. أنظر: الأعلام، للرركلي. ١٢٦\٦.

بعد وفاة الإمام محمد عبده - وهو في سن العشرين، والتقى بالسيد رشيد رضا، وأعجب بمنهجه، وطريق دعوته، ومدرسة الدعوة والارشاد التي افتتحها، ولم يمكث بمصر طويلاً، ولكن العلاقة توطدت بينه وبين السيد رشيد. وكانت المراسلات العلمية والإسلامية الوطنية بينهما متواصلة، وهذا الشاب هو مولانا أبو الكلام آزاد، الذي صار فيما بعد صاحب الإمامتين، - كما كان يدعى في الهند - إمامة في الدين، وإمامة في السياسة، حين قاد حركة التحرير في أشد أوقاتها أثناء الحرب العالمية الثانية، وتولى المفاوضات مع الانجليز، باسم الهند والحزب الوطني، الذي كان يرأسه طوال مدة الحرب.

ومع أن مولانا آزاد - رحمه الله - زار تركيا، وبلاداً عربية أخرى، إلا أن الشرارة التي مست عقله وقلبه كانت من مصر، من مدرسة الإمام الدينية، فعاد للهند متأثراً بهذه المدرسة، ومنهج الشيخ رشيد رضا وبجلته المنار، وأدرك دور مجلة "العروة الوثقى" التي أصدرها جمال الدين الأفغاني ومحمد عبده في إلهاب شعور المسلمين ضد الاستعباد والاستبداد، فقام بتأسيس جماعة دينية سماها "حزب الله"، ثم أسس مدرسة سماها "دار الرشاد"، ثم أخذ يعد العدة لإصدار مجلة "الهلal" التي اتخذها منبراً لدعوة المسلمين إلى التحرر العقلي والسياسي، وترجمة معاني القرآن الكريم إلى اللغة الأردية حتى يفهمه المسلمون في الهند، ولا يعيشوا في عزلة عن معانيه. وصدرت الهلال أسبوعية، وصدر عددها الأول من كلكتا في (١٢ يونيو ١٩١٢م) وأنشأ مطبعة خاصة لها، وحققت قبولاً واسعاً في أوساط المسلمين، وبلغت كمية توزيعها ألف نسخة أسبوعياً، وهو عدد ضخم جداً في تلك الفترة، ونشرت الهلال اسم أبو الكلام آزاد في أرجاء الهند، وظنه الناس كهلاً كبيراً حنكته الحياة والتجارب حتى أخرجت منه هذا الرحيق من الأفكار البديعة البیان، ولم يعلموا أنه شاب في مقتبل العمر. وكانت مجلة الهلال نقطة تحول في تاريخ الصحافة في الهند، وفي واقع المسلمين؛ فكانت مدرسة في التدين القويم والوطنية والحرية، يقول عنها كبار علماء الهند وهو "محمود حسن"^(١): "كدنا ننسى مهمتنا فذكرتنا بها الهلال". ولم يستطع الإنجليز أن يسكتوا طويلاً على

(١) الشيخ العلامة محمود حسن الديوسدي اس الشيخ دو الفقار علي الديوسدي. الملقب بشيخ الهند، ولد عام (١٨٥١م)، وكان على رأس الدفعة الأولى من الطلاب التي التحقت بمدرسة دار العلوم ديوسد (٣٠ - مايو ١٨٦٦)، وتخرج منه عام (١٨٧٣م)، تخرج عليه كبار العلماء في الهند، وقد تشرف رحمه الله سقل ترجمة معاني القرآن الكريم إلى اللغة الأردية وهي من أحسن التراجم الأردية وأكثرها قبولاً، كان آية ناهره في جميع العلوم العقلية والنقلية، وله جهود في سبيل تحرير الهند من براثن الإنجليز وفي هذه السلسلة سجن في حرية مألطة عام (١٩١٦م) لمدة ثلاث سنوات وشهرين واطلق سراحه عام (يناير ١٩٢٠م)، وكان ظل يرور ويحول في أرجاء البلاد يدعو الشعب إلى الصال ضد الإنجليز ومقاطعتهم، من خلال خطبه ومحاضراته، وفي هذه الحالة سافر إلى عليجراود ووضع حجر الأساس للحامعة المليية الإسلامية عام (٢٩ - أكتوبر ١٩٢٠م) وقد اسقأت فيما

النهضة الفكرية والروحية التي أحدثتها مجلة "الهلل" فقررُوا إغلاقها في (يونيو ١٩١٥م)، لكن آزاد لم يحطم قلمه، ولم ينكسر قلبه العاشق للحرية، فلم تمض إلا شهور قليلة حتى أصدر مجلة "البلاغ" في (١٢ نوفمبر ١٩١٥م)، لكنها سرعان ما أغلقت بقانون الطوارئ بعد عدة أشهر من صدورها، ثم أبعد عن كلكتا ومنع من دخول ولايات "البنجاب" و"دلهي" و"بومباي"، فقصده البغال، واستقر بمدينة "رانشي" التي كتب فيها تفسيره للقرآن الكريم^(١)، ولم يمض وقت طويل حتى اعتقل وزج به في عياهب السجن، وقضى به ٣ سنوات ونصف حتى أخرج في (يناير ١٩٢٠م)^(٢).

ح- حركة الخلافة والعصيان المدني (ترك الموالات):

كانت البلاد في ذلك الحين تشتعل قلقاً واضطراباً بتأثير ما حدث في ممتلكات الدولة العثمانية وسياسة الخلفاء، وفي مقدمتهم الحكومة البريطانية في قضية العثمانيين والبلاد الإسلامية كلها؛ فالمسلمون غاضبون لدور بريطانيا في هزيمة دولة الخلافة العثمانية في الحرب العالمية الأولى، وأسسوا "جمعية الخلافة" برئاسة "محمد علي جوهر"^(٣) لمساندة الدولة العثمانية في محتها، ونشأ "حزب المؤتمر الوطني" الذي جمع في عضويته بين المسلمين والهندوس، وفي تلك الفترة أصدر الإنجليز "قانون رولات" (Rowlatt Act) الذي يبيح لهم الاعتقال والقمع دون تحقيق، فأثار هذا القانون غضب الهنود بجميع طوائفهم.

فخاض أبو الكلام في هذه الحركة وأشعلها بخطاباته الساحرة، ومقالاته البليغة القوية، ورافقه غاندي الذي كان قد احتضن حركة الخلافة وفكرها بحارة لعواطف المسلمين، وتأييداً لقضية عادلة، وأيد أبو الكلام مبدأ ترك موالات الحكومة الإنجليزية، ومقاطعة البضائع الأجنبية، ومبدأ "لا عنف ولا

بعد إلى دلهي، وتوفي -رحم الله تعالى- سنة (٣٠ - نوفمبر ١٩٢٠م) ودفن في المقبرة القاسمية بديوسد. أنظر: نقش حيات للشبح حسين أحمد المدي. ط: مكتبة الديوبند - اتر برديش. ١٣٧ ١٢.

(١) باسم "ترحم القرآن".

(٢) أنظر: علم التفسير كيف نشأ وتطور حتى انتهى إلى عصرنا الحاضر، للدكتور عبد المعصم الممر. ط: دار الكتب الإسلامية - القاهرة- ١٤٠٥ هـ. ص: ١٣٨.

(٣) محمد علي جوهر (١٨٧٨م - ١٩٣١م)، قائد وسياسي وصحفي وشاعر مسلم هندي، كان من أبرز الشخصيات الرائدة في حركة الخلافة التي قدمت المساعدة للحليفة العمالي في آخر أيامه وقد بدل مسلموا الهند كل ما يوسعهم وهاجروا وتطوعوا وقدموا أموالهم لمساعدة الخلافة قبل أن تنهار، وحل الرئيس السادس للمؤتمر الوطني الهندي فقط لضعة أشهر، كذلك كان هو من أحد مؤسسي العصبة الإسلامية لعموم الهند وأحد رؤسائها السابقين. أنظر: مولانا محمد علي جوهر، شخصيت اور خدمات، للدكتور طر بري. ط: أدبي سكيم ٢٠٠٢م. ص ١٨٥.

اعتداء" المبادئ التي دعا إليها "غاندي" فأقام عليها الدلائل الشرعية، وحال فيها وصال، فكان لها الرواج والقبول في الأوساط الإسلامية، واضطربت لها الحكومة الإنكليزية، وقام بجولات واسعة مع "غاندي" وزعماء الخلافة في أنحاء الهند، وألقى الخطب الرنانة في المحافل الكبيرة، ثم انضم آزاد إلى "حزب المؤتمر" الذي يتزعمه "غاندي" وتربطه علاقات قوية بزعماء المسلمين، ونشطت حركة مقاطعة المستعمر من قبل المسلمين والهندوس وتلاقت فكرة غاندي التي سماها بالهندية "ساتيا جراها" وتعني: الحق المنطوي على المحبة والصلابة، أو "المقاومة السلبية" مع سياسة المسلمين في عدم طاعة المستعمرين أو التعاون معهم؛ لذا نشأت حركة عصيان مدني واسعة في الهند، ودعا مولانا آزاد -رحمه الله- المسلمين الهنود وغيرهم في خطاباته التورية إلى عدم طاعة الإنجليز، وطاف أرجاء الهند وهو يدعو إلى "الحرية للهنود واللاتعاون مع الإنجليز"، فقبض عليه في عام (١٠ ديسمبر ١٩٢١م) ضمن ٥٠ ألف معتقل في كلكتا وحدها، وقدم للمحاكمة بتهمة إلقاء الخطب التي تثير المشاعر وتحرض الشعب على كراهية الحكومة، وحكم عليه بالسجن عاما واحدا^(١).

ط- جهوده لتحرير الوطن من براثن الإنجليز:

يتميز مولانا آزاد عن غيره من قادة الهند الحديثة الكبار، بأنه كان في مقدمة الزعماء المسلمين الهنود الذين دعوا بقوة وصلابة إلى وحدة الهندوس والمسلمين، على أساس قومي هندي جامع، رافعته دولة القانون والمؤسسات والديمقراطية المستدامة، التي وحدها تحمي الدين من العبث به واستغلاله في سومة السياسات على اختلافها، وحظي أبو الكلام آزاد بثقة قطاعات عريضة من الشعب الهندي، بطوائفه الدينية واتجاهاته الفكرية والإيديولوجية المختلفة، وخير دليل على ذلك ترؤسه حزب المؤتمر الوطني الهندي دا الأغلبية الهندوسية في العام ١٩٢٣، وكذلك إعادة انتخابه رئيساً للحزب نفسه في العام (١٩٤٠م) وحتى العام (١٩٤٦م)، وقد كان في المؤتمر الوطني الهندي كثير من المسلمين البارزين كانوا يهاجمون

(١) أنظر: السيرة الذاتية لباسم "تخاري مع الحقيقة" لموهانداس كرماساند غاندي، وهذه ترجمة العربية من الكتاب

الإنجليزي الذي كتبه غاندي باسم: "THE STORY OF MY EXPERIMENTS WITH TRUTH", by

Mohandas K. Gandhi. ط: كلمات عربية للسر والترجمة. مكان الطبع: شارع ابن قتيبة ٤٣، القاهرة مصر (طبع

الأولى). ص: ٦.

التقسيم بعنف، وعلى رأسهم في ذلك الوقت "محمد علي جناح" (١) الذي غير وجهته السياسية بعد ذلك فصار زعيم التقسيم وقيام باكستان. مولانا آزاد كان يرى أن الكفاح لتحرير الوطن من المحتلين أمر مفروض على المواطنين جميعاً، والمسلمون في مقدمتهم باعتبارهم أمة الإسلام، الذي يفرض الجهاد عليهم في مثل هذه الظروف، ولا بد أن المستعمر سيرحل في يوم من الأيام، ولا يليق بالمسلمين أن يسجلوا في تاريخهم قعودهم عن المشاركة في إخراج المستعمر، وأكد آزاد في خطبه أن الهدف الحقيقي هو تحرير البلاد، مع إعطاء حرية لكل فريق في أن ينفذ البرنامج الذي يراه مناسباً للهدف، وبذلك استطاع الحفاظ على تماسك الحزب من خلال تحديد إستراتيجيته مع إعطاء مساحة واسعة لتحقيق هذه الإستراتيجية، لكنه لم ينجح هو وكبار زعامات الهند في تطويق الانقسام الطائفي بين المسلمين والهندوس، فشأت الجماعات الدينية في كلتا الطائفتين، ونشأت معها الشكوك، فبدأت كثير من الزعامات المسلمة في حزب المؤتمر تفصل عنه لعدم إخلاصه لقضايا المسلمين، حسب اعتقادهم، إلا أن آزاد رفض أن يكون حزب المؤتمر مؤسسة هندوسية يتحكم فيها متطرفو الهندوس، ويمثلون من خلاله الشعب على اختلاف طوائفه، ولهذا قرر أن يبقى في الحزب، كأحد زعاماته البارزة، وظل متمسكاً بوجهة نظره حتى بعد تحرير الهند سنة (١٣٦٧هـ = ١٩٤٧م)، ثم انفصال المسلمين في البنجاب والبنغال وتشكيلهم دولة باكستان المسلمة. وشارك آزاد في حركة العصيان الثانية سنة (١٩٣٠م)، وتعرض للسجن وقضى فيه أكثر من عام، وشارك في انتخابات (١٩٣٥م) التي جرت على أساس قانون الحكم الذاتي، وحقق فوزاً كبيراً، وكان يرى ضرورة المشاركة في هذه الانتخابات وعدم التجاوب مع الدعوات الحماسية لمقاطعتها، وفي بداية الحرب العالمية الثانية اختير آزاد رئيساً لحزب المؤتمر، فقبل الرئاسة بعد ضغوط من غاندي، واستمر في رئاسة الحزب عشر سنوات متتالية وهذه كانت من أخطر السنوات في تاريخ الهند، أعيد انتخابه للرئاسة كل سنة، وتولى المفاوضات مع الإنجليز باسم الهند حتى ظفرت باستقلالها، وكان يرفض التحدث بالإنجليزية رغم

(١) محمد علي جناح (١٨٧٦م - ١٩٤٨م) محام وسياسي ومؤسس دولة باكستان. ولد في كراتشي. وتدرّب على المحاماة في "لكول إن" في لندن. ارتقت مكانة جناح في حرب المؤتمر الوطني الهندي في العقد الأول من القرن العشرين ليحتل مكانة بارزة، وبرغم جناح عصه مسلمي عموم الهند من ١٩١٣ إلى غاية استقلال باكستان في ١٤ أغسطس ١٩٤٧، لبصير بعدها أول حاكم عام لباكستان من استقلاله وحتى وفاته، وتوفي جناح في سبتمبر ١٩٤٨ عن عمر ناهز ٧١ سنة، أي أريد من العام بقليل عن تاريخ استقلال باكستان عن الحكم البريطاني، فإنه لا يزال أعظم قائد في باكستان وأحد من تاريخ ميلاده عيداً وطنياً. أنظر: جناح محمد علي (موسوعة السياسة). ط: المؤسسة العربية للدراسات والنشر. ٩٧/٢.

تصله فيها، واستمر في رئاسة الحزب حتى عام (١٩٤٦م). وبعد الاستقلال شغل منصب وزير المعارف (التعليم) مدة ١٠ سنوات، ووصف بأنه أحد الأعمدة الأربعة للهند^(١).

ي- وفاته:

بعد حياة حافلة بالكفاح الوطني والإصلاح التعليمي توفي آزاد -رحمه الله- في فبراير ٢٢ عام ١٩٥٨ في الدلهي ودفن هناك.

ك- آثار الشيخ أبي الكلام آزاد.

ترك الشيخ أبي الكلام أبي الكلام آزاد الآثار العلمية الوافرة في مختلف العلوم والفنون، وفيما يلي ذكر المؤلفات التي ألفها رحمه الله تعالى:

أولاً: الكتب:

- ١- آزادي هند (الهند تطفر بالحرية) ط: مكتبة جمال غربي ستريت، اردو بازار لاهور، عام ٢٠٠٤م.
- ٢- خود نوشت (السيرة الذاتية). الطبع: مكتبة جمال لاهور سنة ١٩٢١م- و ٢٠٠٥م.
- ٣- ارکان اسلام، طبع: مكتبة جمال لاهور. الطبع في سنة: ٢٠٠٥م.
- ٤- اسلام اور جمهوريت "الإسلام والديموقراطية". الطبع: مكتبة مكي دار الكتب لاهور، سنة: ١٩٩٥م.
- ٥- اسلام مين آزادي کا تصور "تصور الحرية في الإسلام" الطبع: مكتبة جمال لاهور. سنة ٢٠٠٤م.
- ٦- اسلام کا نظرية حنک "نظرية الحرب في الإسلام". الطبع: بشنک هاوس دهلي، سنة: ١٩٨٨م.
- ٧- انسانيت موت کی دروازي بر "الإنسانية على باب الهلاكة". الطبع: كوشة آباد لاهور، سنة ١٩٨٤م.
- ٨- تحريك آزادي (حركة الحرية) طبعة في سنة: ١٩٥٩م. مذكرات ألفها بروفييسور همايون كبير برواية وإذن المولانا آزاد. (طبعة بعد وفاة المولانا).

(١) أبو الكلام آزاد وتَشكَّل الأمة افنديّة (في ماهصة الاستعمار والسياسات الطائفية). للباحث والأكاديمي الهندي د. رصوان قيصير، أستاذ التاريخ في الجامعة المليّة الإسلامية في بيودهي. ط: مؤسّسة الفكر العربي بيروت. ١٥٥١.

- ۹- ثورة الهند السياسية، (اثر تاريخي و وصف حقيقي). الطبعة: مكتبة المنار قاهرة. سنة: ۱۳۴۱ھ۔
- ۱۰- تذكرة (سيرة الذاتية) (كتبها في رانجي في سنة ۱۹۱۹م)، وهو كان في السجن إذا كان في شبابه آنذاك).
- ۱۱- حقيقت الصلوة. الطبع: مكتبة جمال، اردو بازار لاهور.
- ۱۲- خطبات آزاد. الطبع: مكتبة ساهتية دهلي، طبع عدة مرات بالهند وفي باكستان.
- ۱۳- ذوالقرنین (كتاب حول قصة أصحاب الكهف وذی القرنین، هذا بحث لم يسبق أحد في إليه). الطبع: مكتبة لاهور، اول مرة سنة ۱۹۵۲م. وطبعت عدة مرّة منه هذه المكتبة.
- ۱۴- رسول اکرم (صلی اللہ علیہ وسلم) اور خلفاء راشدین کی آخري لمحات. (الأنفاس الأخيرة للرسول والخلفاء \ أحوال الخلفاء). الطبع: مكتبة جمال، اردو بازار لاهور. سنة ۱۹۹۹م.
- ۱۵- شهداي اعظم اور اسود حسين (رضي الله عنه). ادارة اسلاميات، لاهور. ۱۴۰۲ھ۔
- ۱۶- قرآن کا عروج وزوال. الطبع: مكتبة جمال، اردو بازار لاهور. سنة ۲۰۰۵م.
- ۱۷- قرآن کریم کی تین سورتیں (ثلاث سور من القرآن) -یس، القدر، العصر- (في هذا الكتاب ملاحظات تفسيرية لمولانا آزاد). الطبع: مكتبة القاسم لاهور. سنة: ۱۹۸۳م.
- ۱۸- قول فيصل (بيان الاستغاثة الذي قاله المولانا أمام المحكمة في السجن). طبعه البلاغ كلكتا.
- ۱۹- مسئلة خلافت (كتاب يستوعب قضية الخلافة ومفهومها مفصلاً وجامعاً). الطبع: داتا بيلشرز لاهور، سنة ۱۹۸۷م.
- ۲۰- مسئلة خلافت اور جزيرة العرب. طبع في كلكتة، سنة: ۱۹۲۰م.
- ۲۱- مسلمان عورت (حقيقة حرية النسوة وحقوقها وواجباتها). الطبع: داتا بيلشرز لاهور، سنة ۱۹۷۸م.
- ۲۲- مقام دعوت، لاهور، ۱۳۶۴ھ۔ (كتاب يفخم مسئولية الدعوة ومكنتها العظمي).
- ۲۳- البيروني اور جغرافيه عالم- طبع: اردو اكيدي سده، كراتشي سنة ۱۹۸۱.
- ۲۴- صداي حق (امر بالمعروف ونهي عن المنكر). الطبعة: مكتبة جمال، اردو بارر لاهور.
- ۲۵- عيد الضحى (حقيقت قرباني). الطبع: محبوبة انجيسي لاهور. سنة: ۱۹۴۰م.

ثانيا: التفسير

- ١- تفسير ترجمان القرآن (ترجمة القرآن بلغة أردية) ط: مكتبة ساهتية اكيدي - دهلي سنة ١٩٧٦ م.
- ٢- أم الكتاب - تفسير سورة الفاتحة. ط: اسلامي اكاديمي اردو بازار لاهور، سنة ١٩٧٥. و مكتبة جمال لاهور، سنة: ٢٠٠٤ م.

ثالثا: المجلات والجرائد

- ١- اخلال، طبع: اتربر ديش اكيدي، لكهنو. سنة ١٩٨٨ م.
- ٢- آزاد نمردهلي - (مجلة شهرية استوعبت فيها المعلومات مفصلة حول آزاد وفكرته). ط: أولا من مدينة عليكر، ثم من لاهور تحت رعاية مكتبة جتان.
- لسان الصدق - (جريدة أصدرها في أوائل شبابه سنة: ١٩٠٣ م ثم تركها بعد سنتين).
- ٣- المخزن - (مجلة عمل المولانا في ادارتها سنة: ١٩٠١ م ثم تركها).
- ٤- المصباح - جريدة أصدرها في سنة: ١٩٠٦ م.
- ٥- الندوة - عمل آزاد في ادارة الندوة تحت رعاية مولانا شبلي نعماني لسنة واحدة: ١٩٠٥ م، ثم ترك.
- ٦- نيرنك عالم - جريدة شهرية - ابتدأت في سنة: ٢٢ يناير ١٨٩٩ م. من كلكتة - عمل مولانا آزاد مديرا لها لستة أشهر.
- ٧- أحسن الأخبار - جريدة أصدرها سنة: ١٩٠٢ م من كولكتة.
- فيعام - عمل في جريدة أسبوعية، بإسم "فيعام" أي (الرسالة)، لبضعة أشهر ثم ترك. سنة: ١٩٢١ م.
- ٨- جريدة وكيل - كانت تصدر بعد كل ثلاثة أيام من مدينة امر تسر. عمل المولانا كمدير الجريدة الوكيل في مدينة امر تسر لستين.

رابعاً: الرسائل والخطوط:

- ۱- خطوط آزاد- مراتبه مالك رام، الطبعة: مكتبة بك ستاك لاهور، سنة: ۲۰۰۵م.
- ۲- غبار خاطر- مجموع رسائل التي كتبها لصديقه حبيب الرحمن شيرواني، في السحن "قلعة احمد نكر، وهو كتاب معروف في الأدب الأردية. الطبعة: مكتبة جمال، اردو بازر لاهور. سنة: ۲۰۰۵م.
- ۳- كاروان خيال- (مجموع رسائل) هذا كتاب مستوعب لأحوال الأشخاص الكبار في الهند من بينهم آزاد (رحمه الله).
- ۴- مكاتيب ابو الكلام آزاد، لابي سلمان شاهجهانپوري، ۱۹۶۸م سندر اردو اكيديمي.
- ۵- ملفوظات آزاد - (مولانا ابو الكلام آزاد كي نام ادبي خطوط وجوابات، ۱۹۶۶م). مرتبة: حكيم محمد اجمل خان.
- ۶- تيركات آزاد، مجموعة خطوط، مرتبة غلام رسول مهر - لاهور.

خامساً: مقالات:

- ۱- ولادت نبوي (صلى الله عليه وسلم). الطبعة: طارق اكيديمي فيصل آباد. سنة: ۲۰۰۱م.
- ۲- ايمان اور عقل- مرتبه: محمد رفيق جودهمري. طبع: مكتبة قرآنيات لاهور، ۲۰۰۴م.
- ۳- جامع الشواهد في دخول غير المسلم في المساجد، (رسالة قصيرة). طبع في سنة: ۱۹۱۹م.
- ۴- رسول رحمت، مرتبه غلام رسول مهر. الطبع: مكتبة الشيخ غلام علي، انيد سنتر لاهور، سنة ۱۹۷۰م.

المبحث الثاني: تعريف لتفسير أم الكتاب وأهم خصائصه. وفيه مطلبان:

المطلب الأول: التعريف لتفسير أم الكتاب:

عن تاريخ بداية كتابة التفسير ما وجدت شيئاً وما كتب مولانا آزاد عنه، أما تكميل كتابته لأول مرة هو (٣ مارس ١٩١٦م)، لكن الشيخ عندما أعلن في مجلة البلاغ عن طبع التفسير والترجمة، فبعد مدة يسيرة (ثلاثة أشهر تقريباً) اصدرت حكومة البنغال أمرها العسكري بإحراج الشيخ من مدينة كلكتا، وحظرت صدور البلاغ وكل مطبوعاته وأغلقت المطبعة، وذهب الشيخ إلى مدينة رانشي بولاية بهار المجاورة لولاية البيعال.

كما حدث الشيخ أبو الكلام آزاد بنفسه قائلاً: وعندما أعلنت في البلاغ سنة ١٩١٦م عن نشر الترجمة والتفسير لها، كنت قد اتممت ترجمة وتفسير نحو خمسة أجزاء حتى سورة النساء، وحين غادرت كلكتا (٣ مارس ١٩١٦م) كان قد تم بعض الصفحات من التفسير، وسرت في العمل حتى ترجمت الأجزاء المفقودة لدى الحكومة وأكملت عدي ترجمة القرآن كله وأصبحت صالحة للنشر.

لكن في ٨ يوليو سنة ١٩١٦م صدر الأمر بإعتقالي فمات الأمل في نفسي، حيث انقعت علاقاتي تماماً بما وراء السجس ولم يبق أمامي إلا عمل التصنيف، ولم يبق في قانون المعتقل ما يعني من ذلك وشعرت بأنني في غاية السعادة بهذا العمل، لكنني للأسف الشديد لم يمض على نحو ثلاثة شهور حتى حرموني هذه اللذة التي بها داخل السجن وأفقدوني صوابي.

ولما تم قرار القبض على بعثت الحكومة رجالاً يعتشون منزلي، وحمل المفتشون جميع ما وجدوا من الأوراق المكتوبة، وكان فيها مسودة الترجمة والتفسير، ومن سوء الحظ أنه لم يكن منهم أحد يعرف العربية أو الفارسية أو الأردية، فلذا ضلوا بما وجدوا أنه مواد ضد الحكومة وأعمالها، فحملوا جميع ما وجدوا حتى أنهم لم يتركوا نسخ تفسير (ترجمان القرآن) إلا قد حملوها، وحمل رجالها كل ما وحدود من أوراق مكتوبة في أكوام مكدسة، واختلط بعضها ببعض، وتركوا الورقة فقط كان مكتوباً عليها: "أخذنا بعض الأوراق المكتوبة". وهكذا ضاعت كل جهودي ولم سهل علي أن أبدأ من جديد في إعادة ما كتبت من قبل، وهذا أمر يحسه كل كاتب مثلي. وقد مرت سنوات لكن لم أستطع أن أروض نفسي

١٤١٦/٦/٢٩

عليها، وكنت أحيانا أبدأ العمل وأكتب عدة صفحات لكن عندما كان يقع بصري عليها يعاودني الإكتئاب فأترك ما كتبت.

سنوات قاسية مرت عليّ وأنا بين هذا الصدود والإكتئاب، وكان ذلك من أصعب الصعوبات وأمرها، لكنني لم آلو أن أقبلها فشربت ذلك الكأس المقبل على شفتي طوعا وكرها، وبين شعوري بأن هذا العمل من أقصى الضرورات المسلمين، وكنت أخشى أن يمر الوقت دون اتمامه وتضيع الفرص كلها من يدي.

ثم جاء الفرج في نهاية سنة ١٩٢٧م تقترب إذ دبت في نفسي فجاءة الحركة التي همدت مدة طويلة، ولم أستطع أن أوقف القلم عن تدوين ما يفيض الله من خواطر، وسرت في العمل، وبدأت بسورة الفاتحة التي وقفت معها طويلا بإعتبارها أم الكتاب، ثم أخذت في الترجمة بين الظروف السياسية التي كانت سائدة في ذلك الوقت، وبين ما كنت أشعر به من ضعف في الصحة، ومع تأرجح العمل بين القلق والكثرة، وفرغت من ترجمة وترتيب آخر سورة من القرآن في تاريخ (٣٠ يوليو سنة ١٩٣٠) بحمد الله تعالى^(١).

التفسير "أم الكتاب" للشيخ أبو الكلام آزاد مكتوب باللغة الأردية سهل ورائع، وقد طبع في مجلد مستقل ما يناهز حجمه "٣١٢" صفحات من اسلامي اكاديمي لاهور في عام ١٩٧٥م، ثم ضم ملخصه بتفسيره "ترجمان القرآن" ما يشتمل علي "٢٢٤" صفحات وفق طبع اسلامي اكاديمي لاهور في عام ١٩٧٦م.

كما حدث الشيخ بنفسه قائلا: الآن ريد في مجلد الأول لترجمان القرآن ملخص سورة الفاتحة، لأن ذلك التفسير أي تفسير سورة الفاتحة هي مقدمة طبيعية لترجمة القرآن الكريم، وكان ينبغي أن يمر القاري بهذه المقدمة قبل الخوض في الترجمة^(٢).

(١) أنظر: مقدمة تفسير ترجمان القرآن لمولانا أبو الكلام آزاد. ط: اسلامي اكاديمي، اردو نارار لاهور. ٣٩\١.

(٢) مقدمة ترجمان للآزاد. ص ٥٥. (١٦ نوفمبر سنة ١٩٣٠م سجن ميرت الهند).

تفسير "أم الكتاب" كتجربة عملية للشيخ أبي الكلام آزاد:

يعتبر التفسير أم الكتاب تجربة عملية حية لحياة عاشها الشيخ أبو الكلام آزاد في مجتمع الهند، وأخرج فيه ما يحس به ويستشعره في نفسه من غايات التزول، وهذا هو الكتاب الذي عاشه صاحبه بروحه وفكره وشعوره وكيانه كله، وعاشه لحظة لحظة، وفكرة فكرة، وأودع فيه خلاصة تجربته الحية في عالم الإيمان.

كما حدث هو بنفسه قائلاً: "كان أول شيء أذهلني هو تركيز المذاهب الإسلامية على نقاط اختلافها، لم يكن بوسعي أن أستوعب وجود كل هذا الكم من الاختلافات بينها ما دامت كلها تعلل أنها تنحدر من المصدر نفسه، ولم يكن بإمكانني أن أتفهم اقتناع كل مذهب من هذه المذاهب بأن أتباع المذهب الآخر محطون وكفرة.

بدأت هذه التساؤلات حول المذاهب الدينية تُثير في نفسي شكوكاً حول الدين في حد ذاته، بأنه إذا كان الدين يعبر عن حقيقة كونية فلماذا نجد كل هذه الفوارق والخلافات بين من يعتقدون ديانات مختلفة؟ ولماذا يدعي كل دين أنه يمتلك الحقيقة كلها ويدون بقية الأديان ويعتبرها على خطأ؟. دام هذا الاضطراب النفسي سنتين أو ثلاث سنوات كاملة كنت خلالها أتوق إلى أن أجد حلاً يُنهي شكوكي. فمررت بمراحل عديدة، وفي كل مرحلة أمرّ بما كانت القيود التي زرعتها عائلتي في ذهني ورسختها التربية التي تلقيتها تتلاشي تماماً، وكانت هذه تقريبا هي الفترة التي اتخذت فيها قراراً بأن أطلق على نفسي اسماً مستعاراً هو "آزاد" ومعناه "الحر" لأبين أنني لم أعد أقيّد بالمبادئ الموروثة. فالتيحة التي وصلت إليها خلال هذه الفترة جمعت خلاصتها في تفسير سورة الفاتحة باسم أم الكتاب^(١).

(١) أنظر: عمار حاضر (مجموع رسائل)، مولانا آزاد. ص - ٧٧.

إنتساب الكتاب:

في إنتساب الكتاب قد أشار مولانا آزاد -رحمه الله- في مقدمة تفسيره إلى واقعة مؤثرة، وكانت هذه الواقعة سبب لتأليف هذا التفسير، وكان الشيخ أبو الكلام موثق ديني في نفوس أهل الهند جميعا وخاصة عند المسلمين، وقد حدثت هذه الواقعة في صدر شبابه وكان محدود الإقامة آنذاك في بلدة "رانشي" (Ranchi) في ديسمبر سنة ١٩١٨ م.

فيقول مولانا آزاد: "حينما خرجت من المسجد بعد صلاة العشاء فشعرت كأن أحدا يقتضي أثري، فترثت، فإذا برجل ملتف بتوبه رأيته ماثلا أمام عيني. فقلت: هل لك من حاجة ؟ قال الرجل: نعم يا سيدي، وأنا قاصد إليك من أبعد الحدود -من وراء (سرحد) شمال الهند- وقد وصلت اليوم مساء وأنا رجل فقير، غادرت "قندهار" راجلا حتى صادفت بعض التجار قادمين إلى "أغرة" (Agra) فعملت لهم خادما، وها أنذا قادم إليك من (Agra) ماشيا على قدمي. قلت له: وما الذي دعاك لأن تتعب نفسك هكذا ؟

قال الرجل: لأفهم بعض المواضع من القرآن الكريم، وقد قرأت ما نشرته في مجلتي "الحلال والبلاغ" حرفا حرفا. يقول مولانا آزاد: "لبت الرجل معي بضعة أيام، (وعلمته بعض المواطن من القرآن). ثم انصرف فجأة من غير داع محافة أن أقدم له بعض مصاريف الذهاب، إنني لا أذكر اسمه الآن، ولا أدري هل مات الرجل أو لا يزال حيا، ولو كنت أذكر اسمه الآن لأهديت كتابي إليه^(١).

(١) تفسير ترجمان القرآن لمولانا أبو الكلام آزاد. ط: اسلامي اكاديمي، اردو نارار لاهور. ٣٨١.

المطلب الثاني: أهم المزايا والخصائص لتفسير أم الكتاب.

١- الشيخ أبو الكلام آزاد كان مفسراً بارعاً من ناحية، ومن جهة أخرى يعمل قائداً للحركة الوطنية لتحرير شبه القارة الهندية من سيطرة الاستعمار، لذا قد غلب على تفسيره لون الدعوة العامة على مستوى البشرية بدون التفرقة بين طائفة وأخرى.

٢- من ميزة تفسيره -أيضاً- أنه يدعو جميع مواطنيه (الهندوس والبوذية والنصارى وغيرهم) إلى التمسك بالأمور المشتركة بين جميع الديانات؛ منها الإطاعة للذات الواحد، والتجنب عن الطاغوت، وبدل الجهد لقيام العدل، والقضاء على الظلم، وأداء حقوق الناس، ومخالفة السيطرة على الآخرين، والظلم عليهم.

٣- يعتبر الشيخ القرآن الكريم كتاب هداية وإرشاد للناس جميعاً، ويخالف من أصرَّ على كونه كتاباً للمسلمين فقط، ولذلك قد تكلم في تفسيره على مظاهر الربوبية مفصلاً تحت قول الله تعالى "الحمد لله رب العالمين" وعلى عموم رحمته تعالى للناس عامة.

٤- صاحب الكتاب يركز على القضايا الاجتماعية، والعلمية، والتاريخية، وخاصة القضايا المعاصرة التي يواجهها المسلمون في المجتمعات الهندية والغربية والبلدان الإسلامية، لأنه ألف تفسيره في عصر قد أصب المسلمون بالإحباط وعدم التحضر والضعف الديني وفي مثل تلك الأحوال برز لهم تفسير يخل مشكلات أهل عصره ويبين ضم حرور الفتى ومنهج التعامل معها.

٥- الشيخ ينتقد المذاهب الوضعية مثل المحوسية والهندوسية والمذاهب البوذية، وأبرز دلائله في إثبات الاعتقاد الحق، وتضنيذ الأديان والمذاهب المنحرفة بخواشيه طويلة، فعلى سبيل المثال، وضع الشيخ "تصور الأبنشد" للهندوسية ورفع أساس هذه العمارة (أي توضيح ذلك الديانات) على تحقيق دقيق حيث يبرز لنا مأخذ ومصادر بعض الأفكار والاعتقادات كذلك.

٦- تكلم الشيخ عن أصل وحدة الدين بأن الدين واحد منذ أول يوم إلى يوم القيامة، والاختلاف وقع في الشرائع والفروع، وجميع الرسل والأنبياء قد أرسلوا بتلقين ذلك لأنه اختلف الشرائع في عهودها المختلفة ولم يختلف الدين لأنه واحد، ولا يتعدد لأن أصل الدين توحيد والتوحيد عقيدة مستقلة واحدة.

٧- ربط الشيخ أبو الكلام آزاد العلاقة بين الآيات القرآنية وواقعها اليوم، وحاول تطبيق تلك الآيات على قضايا المعاصرة، وهذا يريد من ثقتنا ويقيننا في القرآن من ناحية، ومن ناحية أخرى ثابتة أن القرآن كلام الله وأنه صالح لكل زمان ومكان.

المطلب الثالث: منهج الشيخ أبي الكلام آزاد في تفسيره "أم الكتاب".

يكون لكل مفسر أسلوب ومنهج خاص الذي يتميزه عن الآخرين، فالمولانا آزاد هو من المفسرين الأدباء الهندية وله أسلوبه وميزاته، يمكن أن نوضح منهج الشيخ في تفسيره من خلال النقاط التالية:

١- كما ذكرنا آنفا في ميزات التفسير بأن الشيخ أبو الكلام آزاد كان مفسرا بارعا من ناحية، ومن جهة أخرى يعمل قائدا للحركة الوطنية لتحرير شبه القارة الهندية من سيطرة الاستعمار، لذا قد غلب على تفسيره لون الدعوة العامة على مستوى البشرية بدون التفرقة بين طائفة وأخرى، حيث هو يدعو كافة أهل الوطن (الهندوس والبوذية والنصارى وغيرهم) إلى وصول المشتركة بين جميع الديانات منها الإطاعة للذات الواحد والتجنب عن الطاغوت والجهد لقيام العدل والقضاء على الظلم وأداء حقوق الناس مخالفة السيطيرة علي الآخرين والظلم عليهم.

٢- الشيخ آزاد لا يذكر الأحاديث إلا نادرا، ويركز على الآيات القرآنية في معالجة القضايا عصره.

٣- الشيخ لا يذكر المسائل الفقهية ولا يخوض في خلافات المذهبية أبدا، بل يركز على القضايا اجتماعية عامة.

٤- يذكر الشيخ المعاني اللغوية للكلمات القرآنية كما ذكر في اسم الفاتحة معاني عديدة للأمم، وأحيانا يستشهد بالأشعار الأردية، والعربية، والفارسية لتأييد المعنى الكلمة.

٥- الشيخ ينقل بعض الأحياء عن كتب أهل الكتاب عبارات لتأييد بيانه وتوضيح المعنى كما فعل في حقيقة دعوة المسيح عليه السلام.

٦- ينتقد الشيخ نقدا شديدا على التقليد الأعمى والجامد من غير دليل ولا علم ويتعدد في هذا الأمر.

٧- يرد الشيخ أبو الكلام آزاد على الأفكار الجديدة من المستشرقين والمكري الحديث وأهل البدعة والهواء، الذين فسروا الآيات القرآنية جريا مع أهوائهم.

٨- يستخدم الشيخ الأدلة العقلية والنقلية لإثبات وجود الله تعالى.

- ٩- أثبت الشيخ من خلال المقارنات بين الأديان المختلفة قديما وحديثا بأن التصور الوحدانية تصور قديم خلال جميع العصور القديم، وأثبت من كتب الفلاسفة العربيون بأن نظرية الارتقاء فشلت واصبحت غير فعالة في إثبات وجود الإله.
- ١٠- تكلم الشيخ عن مهج القرآن الكريم في بيان صفات الله تعالى بأنه مبني على التنزيه الكامل من التشبيه والتجسيم، خلاف التصورات الأخرى التي مبنية على التجسيم كاليهودية، وعلى التشبيه كالنصرانية، أو التعطيل كالهندوسية وغيرها من الديانات.
- ١١- يرد الشيخ على التحزب والتفرق بين أهل الكتاب وخاصة تكلم عن معاملات اليهود مع غير اليهود وذكر عن استشهاد القرآن بشخصية إبراهيم عليه السلام حيث قال تعالى: [مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَكِنْ كَانَ حَنِيفًا مُسْلِمًا...] (١)، وأثبت أن أساس السعادة هو الإيمان والعمل الصالح دون التحزب والتفرق.
- ١٢- يرد الشيخ على التفاسير التي مليئة بالفلسفات والآراء المنطقية وذكر التفسير الكبير للرازي نموذجاً.
- ١٣- لا يخل إلى المصادر والمراجع إلا نادراً كما ذكر في مناقشة عقائد الهندوسية عن كتاب البيروني ورادها كرشا نموذجاً.
- ١٤- للشيخ من خلال استعراض القضايا العقيدة ومباحثها أهداف فهو لم يستعرضها ليعطي فيها رأياً يؤيد من خلاله مذهبا على مذهب، وإنما له أهداف عملية تربوية وحركية يلفت نظر الدعاة إليها، وقد ذكرت من أهدافه ما يلي:
- أولاً: تركيزه على نصوص هذا الدين وجمال عقيدته التي تعرضها البصوص القرآنية التي تناوّلها ببساطة والوضوح من غير تعقيد، ويرد من خلاله على أصحاب الأفكار والعقائد المنحرفة.
- ثانياً: يوجه أنظار الدعاة إلى أهمية هذه العقيدة في ساء الفرد الصالح الذي بؤرة المجتمع الصالح، ويستعين على تصوير أهميتها بتصوير اهتمام السلف واقتنائهم للعقيدة في حياتهم ونظرهم إلى دقائقها.
- هذا ما وجدت وفهمت من مهج الشيخ أبي الكلام آزاد في تفسيره أم الكتاب، ولا أقول أنني أكملت العمل إنما أبدلت جهدي القصير والكمال لله وحده.

المطلب الرابع: ثناء العلماء على كتابه:

١- يعرف سيد سليمان ندوي عالم كبير من علماء الندوة في الهند عن تفسير آزاد ومعالجته القضايا العصرية قائلاً: لله در الشيخ آزاد أنه عرف روح عصره وتبع أثره ابن تيمية وابن القيم -رحهما الله- في عهدهم، وكما أن الإمامين المذكورين اختاروا لأنفسهما منهجاً ضد التتار في عهدهم، كذلك أعد الشيخ أبو الكلام (مؤلف أم الكتاب) الفلسفة والمنطق خارجاً هالكا لتطور المسلمين لهم واقترح على المسلمين أن يحاولوا فهم القرآن وإدراك معانيه عن طريق السنة النبوية على صاحبها الصلوة والتسليمات^(١).

٢- يقول المولانا سعيد أكبر آبادي: "إن جميع ما أغرس أبو الكلام من الأزهار في بستان الأدب جميلة ومثمرة، لكن من حيث الشمول والإستيعاب، تفسير الشيخ (أم الكتاب وترجمان القرآن) من أحسن المجموعة المؤلفة ومن أعرفها شدي"^(٢).

٣- يقول السيد آغا شورش كاشميري في كتابه المسمى "أبو الكلام آزاد": إن الشيخ ألف تفسيره في عصر قد أصب المسلمون بالإنحطاط وعدم التحضر والضعف الديني وفي مثل تلك الأحوال برز لهم تفسير يحل مشكلات أهل عصره وبين لهم جزور الفتى، ومنهج التعامل معها، ومولانا آزاد هو أول من أنشأ طلب قراءة القرآن في أذهان المثقفين من بين اليهود والسيخ والنصارى".

٤- ويؤيد ذلك الدكتور ذاكر حسين (رئيس السابق للهند) قائلاً: "لا نجد أي ترجمة القرآن تجذب نفوس أتباع الأديان الأخرى إليها قبل ظهور تفسير أبي الكلام للقرآن"^(٣).

(١) مولانا أبو الكلام آزاد أدبي و تحقيقي مطالعة، ابو سلمان شاهجهان بوري. ص ٤٤٥ .

(٢) آئيه آزاد - (مجموعة مقالات) مرتبه: عبيق صديقي. ط: الخمس ترقى اردو هند ١٩٧٦ م. ص ٢٢.

(٣) انظر: أبو الكلام آزاد لـ آغا شورش كاشميري. ط: مطبوعات حنا، لاهور. ص ٣١٤.

الفصل الأول : في بيان خصائص سورة الفاتحة ، ومظاهر الربوبية .
ويشتمل على ثلاثة مباحث وهي كالتالي :

المبحث الأول : أهمية سورة الفاتحة وخصائصها .

المبحث الثاني : نظام الربوبية ، وأنظمة الكون ، وعناصره .

المبحث الثالث : البراهين القرآنية والإستدلال بها .

المطلب الأول: بيان أهمية سورة الفاتحة:

المولانا آزاد - رحمه الله - تناول أهمية سورة الفاتحة في مقدمة كتابه "تفسير أم الكتاب" حيث قال ماملخصه :

سورة الفاتحة هي أول سورة القرآن الكريم لذا تسمى بـ "فاتحة الكتاب"، وبالطبع فإن المهم من الكلام يحتل الصدارة والبرور وبما أن هذه السورة لها أهمية خاصة بين سائر السور القرآنية وبالتالي فإن القرآن وصفها بألفاظ تعرف منها أهمية السورة قال تعالى: [وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِنَ الْمَثَانِي وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ] (١)، وقد ثبت من الأحاديث والآثار بأن المراد من السبع المثاني، هي سورة الفاتحة لأنها مجموع أياتها سبعة، وتكرر دائماً في الصلاة ويقال لها السبع المثاني أيضاً (٢).

(١) سورة الحجر، الآية: ٨٧.

(٢) ذكر مولانا آزاد - رحمه الله - في الحواشي عدّة أحاديث بأن المراد من السبع المثاني، هي سورة الفاتحة حيث قال: أخرج الإمام البخاري وأصحاب السنن عن أبي سعيد بن المعلى - رضي الله عنه - {الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وَهِيَ السَّبْعُ الْمَثَانِي، وَالْقُرْآنُ الْعَظِيمُ الَّذِي أُوتِيَتْهُ}.

أنظر: الجامع الصحيح لمحمد بن إسماعيل أبو عبد الله البخاري الجعفي. ط: الأولى، ١٤٢٢هـ. كتاب: التفسير. باب: ما جاء في فاتحة الكتاب. رقم الحديث: ٤٤٧٤. ١٧/٦.

وروى الإمام الترمذي في سننه عن أبي هريرة - رضي الله عنه - أن النبي - صلى الله عليه وسلم - لقن أبي بن كعب - رضي الله عنه - سورة الفاتحة {مَا أَنْزَلَ اللَّهُ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ مِثْلَ آيَةِ الْقُرْآنِ، وَهِيَ السَّبْعُ الْمَثَانِي}. صححه الإمام الترمذي في جامعه.

أنظر: الجامع السنن، لمحمد بن عيسى الترمذي، (النتوق: ٢٧٩هـ). رقم الحديث: ٣١٢٥. ١٤٨/٥.

تفسير أم الكتاب لمولانا آزاد - رحمه الله -، ص- ١٥.

وقد جاء في الأحاديث والآثار أسماء أخرى أيضاً لهذه السورة التي تُعرف منها خصائص السورة كأم القرآن (١) الكافية، الكثر، أساس القرآن (٢). ويطلق كلمة "الأم" (٣) على تلك الأشياء التي فيه نوع من الشمولية، أو التي لها تقدم والبروز من بين الأشياء وتطلق على الأصل التي تحته توابع كثيرة، لذا يقال لوسط الرأس "أم الرأس" لأنه مركز الدماغ - هكذا يقال لعلم الجيش أو العسكر أيضاً "أم" لأن الجيش تجتمع تحته - ويقال لمكة المكرمة "أم القرى" لأنها مكان اجتماع سكان العرب لقصد بيت الله و أداء الحج. ولذا يقال للفتحة أم القرآن، لأن فيها الشمولية لجميع المطالب القرآنية ومركزية لها أو التقدم والأهمية بين سائر سور القرآن الكريم (٤).

(١) وروى الإمام المسلم في صحيحه أن عادة بن الصامت - رضي الله عنه - أحبره أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "لَا صَلَاةَ لِمَنْ لَمْ يَقْرَأْ بِأَمِّ الْقُرْآنِ". أنظر: المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، لمسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري البيسانوري (المتوفى: ٢٦١هـ). ط. دار إحياء التراث العربي - بيروت. رقم الحديث: ٣٩٤. ١/٢٩٥.

(٢) وروى الشعبي عن ابن عباس أن سماها الفتحة "أساس القرآن" قال: وأساسها بسم الله الرحمن الرحيم، وسماها سفيان بن عيينة "النواقية"، وسماها يحيى بن أي كثير "الكافية" لأنها تكفي عما عداها ولا يكفي ما سواها عنها. أنظر: تفسير القرآن العظيم (اس كثير).

المؤلف: إسماعيل بن عمر بن كثير. ط: دار الكتب العلمية، بيروت. (الأول) - ١٤١٩ هـ. ١٨/١. ويقال لها سورة الصلاة والكثرة أيضاً. أنظر: اكتشاف عن حقائق عوامص التنزيل، لمحمود بن عمرو الرمحي حار الله. ط: دار الكتاب العربي - بيروت. ١/١.

(٣) قال أبو عثمان الأشنادي سمعت الأحفش يقول: كل شيء انضمت إليه أشياء فهو أم لها، وبذلك سمي رئيس القوم أمًا لهم قال التفسير - يعني تأبط شرًا: (وَأُمُّ عِيَالٍ فَدُ شَهِدَتْ تُقَوُّهُمْ - إِذَا أُطْعِمْتَهُمْ أَحْتَرَتْ وَأَقْلَتْ)، وذلك أنه كان يقوت عليهم الراد في عروهم لثلا يعذ.

وأم الدماغ: مجتمع، وأم الحوم: المنحرة هكذا جاء في شعر دي الرمة لأنها مجتمع الحوم. وأم الكتاب: سورة الحمد لأنه يسأ لها في المصاحف وفي كل صلاة. وأم القرى: مكة لأنها توسطت الأرض. أنظر: المهر في علوم اللغة وأنواعها، لعد الرحمن بن أبي بكر، حلال الدين السيوطي. تحقيق: فؤاد علي مصور. ط: دار الكتب العلمية - بيروت. ٥٠٦/١.

(٤) أم الكتاب مولانا آزاد - رحمه الله - ص- ١٧.

المطلب الثاني: تناول السورة لمقاصد الدين على سبيل الإجمال:

عند التأمل في مطالب السورة يتضح بأن هذه السورة وبين باقي أجزاء القرآن ارتباط كيربط الإجمال والتفصيل، بمعنى أن أهداف دين حق التي بينت في جميع سور القرآن الكريم في سورة الفاتحة جاءت بنفسها مجملة فاذا لم يستطع إنسان أن يقرأ شيء من القرآن واستظهر مطالب هذه السورة متى ما أراد معرفة المقاصد الأساسية لدين الحق والألوهية، وهذا هو النتيجة تفاصيل ماجاء في القرآن . وبا الإضافة إلى ذلك فإنه لو ألقى النظر إلى هذا الجانب وهو أن السورة في سياق الدعاء وتقرر جعلها جزء لازما فانه يبرز من خلاله خصوصياتها ويتبين بأن وراء هذا الإجمال مصلحة عظيمة وكانت المقصود منها أن يكون لتفاصيل القرآنية خلاصة سهلة أن يقرأ هذه الخلاصة كل شخص بالسهولة ويفهمها، ثم يتكررها في دعواته وعباداته دائماً، وبهذا يكون له دستوراً لحياته الدينية وخلاصة لعقائد الألوهية ويكون له هدف لمفاهيم الروحية.

وهذا هو السبب بأن القرآن الكريم عند ذكرها سماها بـ " السبع المثاني " وأشار بذلك إلى ميزاتها بأن الحكمة تكمن في تكرارها وتردادها فإنه لا يصعب عليه حفظ أربع أسطرها وفهم معناها البسيط مهما بلغ شخص غاية السفاهة والأمية، فمن تعلم السورة الفاتحة من القرآن فقد حصل الدرس الأساسي من دين الحق، ولهذا السبب كان تعلم هذه السورة وقرائنها ضروريا لكل مسلم^(١).

ولم يكتمل دعائه في الصلاة بدونها كقول النبي - صلى الله عليه وسلم -: { لَا صَلَاةَ لِمَنْ لَمْ يَقْرَأْ بِفَاتِحَةِ الْكِتَابِ }^(٢)، ولذا كانت الصحابة يدعون هذه السورة باسم "سورة الصلاة" يعي السورة التي لا تصح الصلوة بدونها^(٣) . فاذا يقرأ الإنسان من القرآن كثيراً يزداد معرفته وعلمه، ولكن اذا يقرأ اقل من الفاتحة لا يمكن أن يحصل له شيئاً من ذلك.

(١) المرجع السابق. ص: ١٧-١٨.

(٢) أخرج الإمام البخاري في صحيحه في كتاب الأذان. باب: وحوب القراءة للإمام والمأموم في الصلوات كلها... رقم الحديث: ٧٥٦. ج- ١- ص- ١٥١. والإمام المسلم في صحيحه ، كتاب: الصلاة. باب: وحوب قراءة الفاتحة في كل ركعة... رقم الحديث: ٣٤ - (٣٩٤). ٢٩٥/١.

(٣) ذهب الجمهور من المالكية، والشافعية والحنابلة إلى أن قراءة الفاتحة ركس في كل ركعة، لقوله عليه الصلاة والسلام: { لَا صَلَاةَ لِمَنْ لَمْ يَقْرَأْ بِفَاتِحَةِ الْكِتَابِ }، إلا أن الشافعية قالوا: هي ركس مطلقاً، والراجح عند المالكية: أنها فرض لغير المأموم في صلاة جهرية.

المطلب الثالث: بيان أسلوب ومنهجية سورة الفاتحة.

الإستنتاج وخلاصة دين الحق:

ثم اذا تأملنا فإن خلاصة دين الحق لا تخرج عن أربعة اشياء:

١ - الرؤية الصحيحة لصفات الله تعالى: ما زلّ الإنسان في سبيل العبودية إلا في فهم صفات الله تعالى.

٢ - الاعتقاد بقانون الجزاء والعقاب: يعني كما في حياة الدنيا لكل عمل تأثير خاص، كذلك خواص معنوي ونتائج لاعمال الإنساني، فجزاء العمل الصالح خير، وجزاء العمل السيئ سيئة .

٣ - الإيمان بالمعاد ويوم القيامة: يعني حياة الانسان لا تنتهي في هذه الدنيا بل بعد ذلك حياة التي يلقي فيه جزاء العمل.

٤ - معرفة طريق الفلاح والسعادة (١).

أسلوب ومنهجية سورة الفاتحة:

تأمل الآن ، كيف أجملت هذه الأمور الأربعة في سورة الفاتحة بطريقة رائعة ، فمن جانب واحد وردت كلمات مختصرة جدا حيث الفاظها معدودة، ومن جانب آخر جأت الالفاظ على النحو التي تولد منها الوضوح في معانيها وأوقع في القلب، وفي نفس الوقت كان الكلام في غاية الاستقامة والسلاسة من غير إغوجاح فيه أو تعقيد.

ينبغي أن نتذكر أن في الدنيا كل شيء اذا كان أقرب للحقيقة يكون أسهل وأوقع في القلب لفطرة الإنسان وليس فيه أي تشابك ، والتشاكل والتعقيد يأتي بسبب التكلف، فالكلام إذا كان صدقا وحقيقيا

ودهب الحمية إلى أن قراءة الفاتحة في الصلاة ليست بركن، ولكن الغرض في الصلاة عندهم قراءة ما تيسر من القرآن. لقوله تعالى: [فَاقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنَ الْقُرْآنِ]. ووجه الاستدلال هذه الآية أن الله تعالى أمر بقراءة ما تيسر من القرآن مطلقا، وتقييده بماتحة الكتاب ريادة على مطلق النص، وهذا لا يجوز؛ لأنه مسح فيكون أدى ما يطلق عليه القرآن فرصا لكونه مأمورا به. تنصرف يسير. المبسوط، لمحمد بن أحمد بن أبي سهل شمس الأئمة السرخسي (المتوفى: ٤٨٣هـ). ط. دار المعرفة - بيروت. ١٩/١.

(١) تفسير أم الكتاب لمولانا آزاد رحمه الله، ص-١٨-١٩.

هكذا ذكر الإمام فخر الدين الرازي في تفسيره أربعة أشياء: الإلهات، وانعادات، والسوات، وإتات القصاء والقادر. ١٥٦/١

ينبغي أن يكون عذباً وسهلاً بحيث إذا سمعه كل واحد لا يحس فيه الغربة والوحشة، ويقبله السامع كما أنه مألوف عنده من قبل، ويشتاق للسماع هذا الكلام .

تأمل الآن، وفيما يتعلق بالألوهية ومفاهيمها فهو ليس إلا كما بُيِّت في هذه السورة، وليس أحمل طريق للبيان وأعذب أسلوب للكلام إلا طريقة وأسلوب هذه السورة، لأن فيها جُمْل قصيرة كل جملة لا تتجاوز عن خمسة الفاظ، وكل جملة مجموعة من معاني عذبة ورائعة، مثل الدرر التي أظمت في سلك واحد، ووُصف الله تعالى بالصفات الذي يأتي أمام الإنسان يومياً، ولكن الإنسان بسبب عفلة لا يتفكر فيها، ثم بعد ذلك إقرار بعبودية الله تعالى [إِيَّاكَ نَعْبُدُ]، واعتراف بالإستعانة به [إِيَّاكَ نَسْتَعِينُ] (١).

ثم طلب الهداية بأن يرشده إلى طريق الحق وأن يجتنبه من طريق المصلين [اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ] (٢)، وباعتبار الظاهر لا نطن بأنه يوجد فيها أي فكرة صعبة ولا سرعجيب، لانا نقرأ هذه السورة كل يوم منذ زمن لذا نطنها شيئاً قليلاً، ولكن هذا الشيء القليل قبل بجيئه إلى الدنيا يعتبر شيئاً عظيماً، وكانت مشكلة لاينحل، وهذا هو الحال كل حقيقة في الدنيا عندما لم تأت بين أيدي الناس فهم يظنوها مشكلة كبيرة، ولكنه إذا وقع بين أيديهم يفهمون بأنه هذا أسهل شيء في الدنيا، فهكذا مفاهيم الفاتحة أيضاً (٣).

متى ما ظهرت هداية وحي الله تعالى في العالم فهو لم يعلم الإنسان أشياء جديدة، لأنه لا يمكن تعليم أمر غريب فيما يتعلق بالألوهية الله تعالى، فوظيفة وحي الله هي أن يعلم الإنسان تعبيراً صحيحاً للعقائد الوجدانية عن طريق العلم والإعتراف، وهذه هي حاصية سورة الفاتحة، فهذه سورة رُبِّت لنوع الإنسان مفاهيم بديهية حيث ظهرت كل العقيدة وكل الفكرة بشكلها وكنهها الأصلي، وكما أن هذا التعبير

(١) سورة الفاتحة، الآية: ٥.

(٢) سورة الفاتحة، الآيتان: ٥ - ٦.

(٣) كما ذكر مولانا أراد رحمه الله أربع أشياء في أسلوب الفاتحة هكذا، يقول الإمام إس العاسور - رحمه الله - إن سورة الفاتحة مما تقرر منزلة من القرآن مرلة الدياحة للكتاب أو المقدمة للحظة، وهذا الأسلوب له شأن عظيم في صاعة الأدب العربي وهو أعون للفهم وأدعى للوعي. أنظر: التحرير والتوير لانس عاشور ١/ ١٥٣.

هو تعبير صادق لحقيقة الحال لذا حينما الإنسان اذا يتفكر فيها بالصدق فيفهم أن كل جملة هذه السورة وكل لفظها هو صوت فطري لقلبه وروحه (١).

المطلب الرابع: مهام دين الحق:

ثم تأمل في هذه السورة ليست ألاً دعاء، وهمسة قلبية لكل تقي ولكم مع ذلك تتضح و تظهر من كل جملتها ولفظها واسلوبها المقاصد المهمة لدين الحق وتظهر الحقائق والمعاني المهمة من ألفاظها كما يلي:

الأول - من الخطأ الكبير الذي وقع فيه الإنسان في تصويره للإله : هو أنه جعل الخوف مكان المحبة، فأول كلمة الفاتحة ردّ على هذا الخطأ، لأن بدء السورة بالحمد ومعنى "الحمد" هو الثناء الجميل، ولا يجتمع مفهوم الخوف والدهشة مع الحس والجمال، فالذات المحمود لا يمكن أن يكون مخوفا ومرعبا. وذكر بعد الحمد الربوبية العالمية والرحمة، والعدالة، ثم بعد ذلك ذكر صفات الله تعالى على طريق التشبيه الذي يعطي للإنسان كل شئ الذي يحتاج إليه الإنسان في نشأته وتطوره، ويحفظ الإنسان من جميع الضلالات التي يمكن أن تتعرض له في هذا السبيل .

الثاني - [رَبِّ الْعَالَمِينَ] (٢) فيه اعتراف بربوبية الله تعالى التي هي لكل فرد وقوم وبلد وجماعة، ورد على الناس الذي كانوا يحسبون بأن رحمة الله وبركاته هو تختص بهم وليست للآخرين فيها حظ، فردّ الله هذه النظرية بقوله **[رَبِّ الْعَالَمِينَ]** .

الثالث - [مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ] (٣) في كلمة "الدِّين" اعتراف بقانون الجزاء والعقاب، وفي التعبير عن الجزاء بكلمة "الدِّين" اشارة إلى أمر مهم وهو أن الجزاء يترتب عليها النتائج الطبيعية لأعمال الإنساني ليس هناك غضب ولا انتقام الذي ينتقم الله من عباده ويعذب به لأن معنى "الدِّين" هو المكافأة (٤) .

(١) تفسير أم الكتاب لمولانا آزاد رحمه الله، ص: ١٩-٢٠.

(٢) سورة الفاتحة، الآيات: ٢-٤.

(٣) سورة الفاتحة، الآية: ٤.

(٤) مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ أي مالك يوم الحساب والمكافأة والجزاء على الأعمال، والأمر كله في قصته يوم القيامة، ومن عرف أن الله ملك يوم الدين، فقد عرفه بأسمائه الحسنى وصفاته المتلى. أنظر: التفسير المير في العقيدة والتريعة والمهجع. للدكتور وهبة بن مصطفى الرحبلي. ط: دار الفكر المعاصر - دمشق. ٥٣١١.

الرابع - ي ذكر "ملك يوم الدين" بعد الربوبية والرحمة إشارة إلى أن في الكون مع صفات الرحمة والجمال يظهر الغضب والجلال أيضاً، وهذا لا يدل على أن الله قهار ومنتقم، بل يدل بأن الله تعالى عادل والحكيم ومن حكمته أن الأعمال يترتب عليه النتائج، والعادل لا ينافي الرحمة بل العدل عين الرحمة .

الخامس - لم يقل في العبادة: "نعبدك" بل قال بالحصص "إياك نعبد" يعني فقط أنت تستحق للعبادة ونحن نعبدك فقط، وذكر الاستعانة أيضاً بطريق الحصص "إياك نستعين" أي لا نطلب الاستعانة إلا منك . وبهذا الأسلوب والبيان حصلت جميع مقاصد التوحيد وأغلقت جميع طرق الشرك، وهذا هو المقصود من نزول القرآن.

السادس - عبر عن طريق السعادة والفلاح بـ[...الصِّراطُ الْمُسْتَقِيمُ] (١) أي الطريق القويم ولا يمكن أن توجد ثمة تعبير أحسن وأقرب إلى الفطرة منه وهذا هو تعبير طبيعي، لا يوجد عاقل إلا وهو يميز بين الطريق القويم من غيره، وليس عاقل إلا هو يريد الطريق الأول يعني الطريق القويم والمستقيم .

السابع - ثم وضع للإنسان طريقة رائعة جداً وهي أن المقصود بالصرط المستقيم هو طريق المنعمين، فكل واحد يعرف بأنه توجد للناس طريقان: طريق الهداية، وطريق الضلالة، ومن أسهل أساليب المعرفة هو أن يشير إلى الشيء باليد و أسلوب الفاتحة أيضاً هكذا، وكما وضع من كلام الفاتحة هو يكفي للهدية، لأن الكلام الزايد يجهل الشيء مزيداً، ثم اختير للسورة أسلوب الدعاء، لأن لو اختار لها أسلوب التعليم فيزيل تأثيره وإذن لا يؤثر كالآن. فهذا الأسلوب الدعائي يعلمنا أن كل إنسان صادق إذا سار على طريقة العبودية هذا يكون حاله، وفي الحقيقة هذه السورة تذكر حال قلب الطالب الصادق والورع الذي يجري على لسانه هذا الكلام (٢) .

(١) سورة الفاتحة، الآية: ٦.

(٢) تفسير أم الكتاب لمولانا أراد رحمه الله، ص-٢١-٢٢-٢٣.

المبحث الثاني : نظام الربوبية، وأنظمة الكون، وعناصرها. ويشتمل على أربعة مطالب الآتية:

المطلب الأول: الكلام في تحقيق كلمة "الحمد".

المطلب الثاني: الكلام في لفظ الجلالة "الله".

المطلب الثالث: الكلام في الربوبية، وأنظمة الكون وعناصرها.

المطلب الرابع: الكلام في الربوبية المعنوية، والتقدير، والهداية.

المطلب الأول: الكلام في كلمة "الحمد".

بيان معنى كلمة "الحمد":

معنى الـ "حمد" (١) في اللغة العربية هو الثناء بالجميل بمعنى ذكر صفات حسنة، فإذا ذكرت صفات سيئة لأحد لا يسمى "الحمد"، الحمد معرف بالألف واللام، ويجوز أن يكون للحس والاستغراق كذلك، فيكون معنى أن كل ما يقال وكيفما من الحمد والثناء يكون جميع ذلك محتصاً بالله تعالى، وإذا كان الحس موجوداً فلم لا توجد نظرة العشق، وإذا كانت ذات الحمد متحلية فكيف لسان الحمد والثناء يبقى صامتاً؟! (٢).

الحكمة في كلمة "الحمد" في بداية السورة الفاتحة:

ثم تتساءل المؤلف: لماذا ابتدأت السورة بـ "الحمد"؟ وأجاب قائلاً: لأن هذا هو الانطباع الأول للإنسان في سبيل معرفة الألوهية، يوضحه بأن الإنسان الصادق متى ما يرفع خطوة في سبيل معرفة الإله فإن ما يطرأ على فكره ووجدانه في أول وهلة عبر عنه هما بالحمد والثناء.

ثم تسأل ما الطريقة لمعرفة الحق للإنسان؟ وأجاب قائلاً: يقول القرآن بأنه طريقة واحد فحسب وهو أن يتفكر ويتدبر في خلق الكون فتأمله في المصنوعات يوصله إلى الصانع (٣)، كما قال الله تبارك وتعالى: [الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ] (٤).

(١) يقول ابن مطبوع الإفريقي في لسان العرب: الحمد في اللغة مصدر حمِدَ، وهو صد الدم ومنه المحمودة خلاف المذمة. وعُرف بأنه: "الثناء باللسان على الخليل الاختياري". فيقال: حمِدْتُ الرَّحْلَ أَيِ أَتَيْتُ عَلَيْهِ فَعَمِلَهُ الْجَمِيلُ الصَّادِرُ عَنْ احْتِيَارِهِ.

أنظر: لسان العرب، لمحمد بن مكرم ابن مطبوع الإفريقي. ط: دار صادر - بيروت. (الثالثة - ١٤١٤ هـ). ١٥٦/٣.

(٢) أم الكتاب، مولانا آزاد - رحمه الله - ص: ٢٤.

(٣) السؤال: هل يجوز أن يطلق على الله حل وعلا وصف الصانع؟

الجواب: لا، وهذا من باب الخبر، وباب الخبر أوسع من باب الوصف عند أهل العلم، فيذكر عن الله بأنه صانع، بأنه شئ، وأنه ذات، كقوله تعالى: {قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْثَرُ شَهَادَةً قُلِ اللَّهُ} [الأعام: ١٩]، يحذر عن الله بأنه موحود، ولكن لا يقال: إن من أسماء الله الموحود أو الصانع أو الذات. فالقاعدة عند أهل العلم أن الخبر أوسع من باب الصفة؛ لأن الصفة توقيفية وكذلك الأسماء، فلا يسمى الله إلا بما سمي به نفسه، وأطلقه على نفسه كالعليم، السميع، البصير. أما الإحراز عن الله بأنه صانع، أو بأنه ذات، أو بأنه شيء، فهذا من باب الخبر لا من باب الوصف فيجوز. أنظر: شرح كتاب الإيمان الأوسط لاس تيمية، لعبد العزيز بن عبد الله الراجحي. السامر: موقع الشبكة الإسلامية. ١٨/٩.

(٤) سورة آل عمران، الآية: ١٩١.

الرجل الصادق إذا يرفع أول خطوة في طريق تفكير خلق الكون ويعرف مظاهر خلقها، فالشيء الأول الذي يؤثر على قلبه وعقله هو اعتراف بأن وجوده وجميع أشياء الكون هي حكمة لذات الحكيم ، ومدير تقدير الذي يظهر آثار ربوبيته ورحمته في جميع المخلوقات، اداً طبعاً روحه بملأ بتعريف الحمد والجمال ويصرخ فحاة [الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ] (١).

في طريق معرفة الألوهية فإن ضلال الفكر الإنساني الكبير كان أن نظره كان مشغولاً في تفكير المصنوعات ولا يتوجه إلى الصانع، فهو يشغل برؤية جمال ظاهري ولكن لا يحاول إلى الذات الذي كان صانعاً لهذا الجمال الحقيقي، والتعبد لمظاهر الفطرة في الحقيقة نتيجة لتقصير نظر الإنسان .

ف_____ الحمد لله اعتراف بهذه الحقيقة بأن كل هذا الفيض والجمال بأي جانب كان وفي أي شكل فإنما هو مظهر لصفات الصانع الوحيد الحقيقي، فلذا جميع تعريفات الحس والجمال، ومدح الجودة والكمال ، وإعتراف المغفرة والفيض جميع هذه الأمور ليس للمخلوق والمصنوع، بل كلها للصانع والخالق فقط كما قال الشاعر :

"عِبَاراً تَنَا شَتَّى وَحُسْكَ وَاحِدٌ - وَكُلٌّ إِلَى ذَلِكَ الْجَمَالِ يُشِيرُ" (٢).

(١) سورة الفاتحة، الآية: ٢.

(٢) أنظر: تزيين الأسواق في أحبار العشاق، لداود بن عمر الأبطاكي، المعروف بالأكمه. ص- ١٥٢.

أم الكتاب، لمولانا آراد - رحمه الله-. ص- ٢٥.

المطلب الثاني: الكلام في لفظ الجلالة "الله":

إن لفظ "الله" كان يستعمل قبل نزول القرآن أيضاً كإسم الذات كما يظهر من كلام الشعراء الجاهليين^(١)، ذلك بأن جميع صفات الألوهية كانت تُنسب إليه ولم يكن يستعمل لصفة خاصة، واختار القرآن الكريم عند نزوله هذا اللفظ "الله" لاسم الذات ونسب جميع الصفات إليه، قال تعالى: [وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا]^(٢).

ويتسأل المؤلف: هل أختار القرآن هذا اللفظ لمجرد أنه كان يقتضي ذلك طبقاً للغة أم كان فيه مستتر زنة معنوية أكثر من ذلك؟؟

فيجيب بنفسه: إذا نفكر في الدلالة المعنوية لهذا اللفظ فنعلم أن لهذا الغرض (أي لاسم الذات) كان هذا هو اللفظ الأليق والأنسب، لأن الأفكار الدينية للإنسان في عهد قديم هي عبادة مظاهر الطبيعة، وبالتدرج أخذت هذه النوع من العبادة صورة عبادة الأصنام وبالتالي وحدثت أسماء كثيرة للآلهة وكلما حصل التوسع في العبادة حصل التنوع في الألفاظ أيضاً.

ولكن لما كان هذا الأمر على خلاف فطرة الإنسان هو أن يخلو ذهنه عن تصور الذات الأعلى الذي هو خالق كل شيء، فإنه مع تعبد الآلهة الأخرى قد وجد على الأقل تصور الكيان الأعظم والحاكم الأعلى أيضاً، و مع أسماء الآلهة الأخرى هناك وجد اللفظ الذي يشير إلى الذات الأعلى والكيان الغير المرئي.

(١) ومن الأدلة القوية الدالة على أن هذه التسمية (أي الله) كانت مشهورة ومنتشرة بين العرب قبل زمن النبي محمد، أنه كثيراً ما ذكر اسم الله في سجع معلقات العرب (وهي تأليف مشاهير شعراء العرب قبل مولد محمد، أو على الأقل قبل بعثته) كما قال لبيد في ديوانه:

لَعَمْرُكَ مَا تَدْرِي الصَّوَارِبُ بِالْحَصَى ... وَلَا رَاحِرَاتُ الطَّيْرِ مَا اللَّهُ صَابِعُ .

أنظر: ديوان لبيد بن ربيعة العامري، لـ لبيد بن ربيعة بن مالك، أبو عقيل العامري (المتوفى ٤١هـ) الشاعر معبود من الصحابة . ط: دار المعرفة. ٥٧/١.

وقول النابغة الذبلي (المتوفى ٦٠٥م) في مدح النعمان بن المنذر: أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَعْطَاكَ سُورَةً ... تَرَى كُلَّ مَلِكٍ دُونَهَا يَتَذَبْتُ. وأيضاً: وحسبي لديه سَأَلَ اللَّهَ حُلْدَةً يَرُدُّ لَهَا مُلْكاً وللأرض عامراً ... ونحس برحى الخلد إن فارقدحاً وبرهت قدح الموت إن حاء فاهراً .

أنظر: عيار الشعر، لأبو الحسن محمد بن أحمد (المعروف بن طباطبائي)، تحقيق: عبد العزيز بن ناصر المنيع. ط: مكتبة الخانجي - القاهرة. ٣٤/١.

(٢) سورة الأعراف، الآية: ١٨٠.

وكما يعلم من خلال دراسة اللغات السامية (١) أن هناك تركيباً خاصاً للحروف والأصوات التي كانت تستعمل في معنى العبودية، و توحد الخاصية اللغوية بهذا اللفظ في العبرانية، والسريانية، والآرامية، والكلدانية، والحميرية، والعربية وغيرها من جميع اللغات .

ومادة هذا اللفظ تتكون من (الف، لام، هـ) واشتقت من أشكال مختلفة ففي الكلدانية والسريانية جاءت "الاهيا"، في العبرانية "ألوه"، وفي العربية كلمة "إله" كلها من تلك المادة، وبدون شك أن كلمة "إله" هي نفسها صارت كلمة الجلالة (الله) بعد إضافة حرف التعريف إليها، وجعل التعريف بهذه الكلمة محتصاً بخالق الكون (٢) .

(١) يطلق مصطلح (اللغات السامية) على لغات الأسرة التي تنتمي إلى الفصيلة السامية الحامية؛ طبقاً لتقسيم علماء اللغة للمصائل اللغوية في العالم. وأول من أطلق اسم (اللغات السامية Semetic Languages) على هذه الأسرة؛ هو اللغوي الألماني شلوتسر Schlzer. وذلك في أواخر القرن الثامن عشر الميلادي سنة ١٧٨١م. وقد استقى هذه التسمية من جدول تقسيم الشعوب؛ الموجود في العهد القديم حيث نسب هذه اللغات إلى سام بن نوح عليه السلام. وتصم هذه الأسرة اللغوية لغات الشعوب التي تسكن الآن وسكنت قديماً، شبه الجزيرة العربية، واليمن، والحشة، وبلاد الشام، والعراق.

وقد قسم العلماء هذه اللغات إلى قسمين رئيسيين هما: القسم العربي، ويقسم بدوره إلى قسمين أحريين؛ هما: القسم الجنوبي العربي، الذي يصم اللغة العربية، والمعينية، والسبئية، والحميرية، والحشية؛ التي تصم اللغة الحمرية، والأمهرية. أما القسم الشمالي العربي فيضم اللغة الكنعانية والآرامية ولكل منها أقسام. فاللغة الكنعانية تنقسم إلى قسمين؛ شمالي، ويضم اللغة الأوجاريتية، وجوبي، ويضم اللغة العربية، والفينيقية واللغة الآرامية تضم اللغة المداعية، والسريانية. وقد كانت اللغة المصرية القديمة (المبروغليسية) من اللغات السامية، ولكنها (انفصلت في زمن مكر حداثاً، وسارت منذ آلاف السنين في طريقها الخاص). أن القدماء المصريين كانوا يستعملون اللغة الأكادية في علاقاتهم الخارجية مع دول المنطقة الممتدة بين الفرات والبحر المتوسط. أنظر: تاريخ اللغات السامية، د. إسرائيل ولفسون. ط: لجنة التأليف والترجمة والنشر، مطبعة الاعتماد - مصر. ٢٢٣/١.

(٢) قال الخليل الله لا تطرح الألف من الاسم إنما هو الله عز ذكره على التمام قال وليس هو من الأسماء التي يحور منها اشتقاق فعل كما يحور في الرحم والرحيم. ورأى آخرون أن أصله "إلاه" كما روى المدري عن أبي الهيثم أنه سأله عن اشتقاق اسم الله تعالى في اللغة فقال كان حقه "إلاه" أدخلت الألف واللام تعريفاً فقل "أللاه" ثم حذفت العرب الحزرة استقلالاً لها فلما تركوا الحزرة جزلوا كسرته في الزلام انني هي لام التعريف ودهت الحزرة أصلاً فقالوا "أللاه" فحركوا لام التعريف التي لا تكون إلا ساكنة ثم التفتي لآمان متحركان فأدغموا الأولى في الثانية فقالوا "الله" كما قال الله عز وجل: لكانا هو الله ربي معاه لكن أنا. أنظر: لسان العرب، لسان منظور الإفريقي. ٤٦٧/١٣.

و أم الكتاب، لزلانا أراد (رحمه الله). ص ٢٧.

فاذا كانت كلمة (الله) مشتقة من إله فما معنى (إله)؟ أقوال مختلفة لعلماء اللغة والاشتقاق^(١)، ويعلم بأن أقوى الأقوال أن أصل الكلمة (أله) ومعنى (الإله) التحير^(٢).

فتقرر أهمية هذه الكلمة لخالق الكون فليس علم الإنسان وفهمه حول الإله إلا تحير الفهم وعجز العقل، وكلما يفكر في كيان الإله فيزداد تحير عقله وعجز فهمه حتى هو يعرف أنه بدأ بالتحير وانتهى أيضا به .

في جميع تلك الألفاظ والكلمات التي خرجت من لسان الإنسان لذات "الله" تعالى ليس فيها اللفظ المناسب لذات الجلالة إلا اللفظ (الله)، لأنهم اذا دعوا الله بصفاته فلا شك أن صفاته غير منحصرة، وحينما يشير إلى ذاته دون ذكر صفاته فهو ليس إلا الذات المتحير، وكل شئ الذي ينسب إليه ليس هو إلا اعتراف بالعجز والتحير، افترض أن جميع الناس اذا ارادوا أن يختاروا إسماً مناسباً لذات الجلالة في صوء ما فكروا وفهموا حول الإله وتخليق الكون إلى الآن، لا يستطيعون أن يقترحوا إسماً أفضل من هذا الاسم (الله)^(٣).

(١) قيل: أصله ولاد، فأبدل من الواو همزة. وتسميته بذلك لكون كل مخلوق والماء خود، إما بالنسحير فقط كالحمادات والحيوانات؛ وإما بالنسحير والإرادة معا كبعض الناس، ومن هذا الوجه الروح قال بعض الحكماء: الله محبوب الأتباء كلها، وعليه دل قوله تعالى [وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسْحَرُ بِهِ] وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْخِجَهُمْ [الإسراء/٤٤]. وقيل: أصله من لاه يلوه ليها، أي: احتجب. قالوا: وذلك إشارة إلى ما قال تعالى: [لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ] (الأعام/١٠٣)، والمشار إليه بالباطن في قوله: [وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ] (الحديد/٣). أنظر: المفردات في غريب القرآن، لأبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني. تحقيق: صفوان عدنان الداودي. ط: دار القلم، الدار الشامية - دمشق بيروت. ٨٣\١.

(٢) الله هو من "أله" أي تحير، وتسميته بذلك إشارة إلى ما قال أمير المؤمنين علي بن أبي طالب: (كل دون صفاته تحير الصعات، وصل هناك تصاريف اللغات) وذلك أن العبد إذا تفكر في صفاته تحير فيها، ولهذا روي: تفكروا في آلاء الله ولا تفكروا في الله، (الحديث رواه ابن أبي شيبه في مصنفه في كتاب العرش ص: ٥٩ من قوله عن ابن عباس لفظ: تفكروا في كل شئ ولا تفكروا في الله). أنظر: المفردات في غريب القرآن، للراغب الأصفهاني. ٨٢\١.

(٣) كما نظر في نقل كلمة "الله" عن وحل إلى اللغة الإنجليزية أن لفظ الجلالة يترجم عادة بـ God ولكن لاحظ أن كلمة God لا تتر في دهن القارئ الإنجليزي ما تنيره كلمة "الله" في دهن القارئ العربي: فكلمة God في الإنجليزية توت بـ Goddess، وجمع على Gods، سما الله، وهو واحد لا شريك له، كلمة ليس لها متى ولا جمع، ولا مؤنث، إن التصور الذي تشير إليه كلمة "الله"، سبحانه وتعالى، تصور يقضي على الشرك، سيما كلمة God لا تقضي على هذا التصور، ولم يوحد في الإنجليزية كلمة تقابل كلمة الله في العربية، فلا بد عيبك أن تقرر بكلمة "الله" في الإنجليزية كما هي، يترجم "نسم الله الرحمن الرحيم" بقوله:

هذا هو السبب كلما كان في هذا السبيل (سبيل معرفة الإله) اذا قيل أعظم قول حول البصيرة والعرفان فهو ليس إلا اعتراف بالعجز، ويقول أهل الزهد والورع: "رَبِّ زِدْنِي فِيمَكَ تَحِيْرًا"^(١). و تم اقرار أهل الحكمة والبصيرة بأن "اتضح أن ما وضع شيئاً".

وكما استعمل هذا اللفظ (الله) للجلالة كاسم الذات، لذا كان لهذا الاسم تفوق على جميع تلك الصفات التي تتصور لذات الله تعالى، اذا كنا نتصور "الإله" مع أي صفة من صفات الله تعالى مثل "الرب" "الرحيم" فهذا التصور محدود إلى صفة خاصة مثل الربوبية و الرحمة ولكن اذا نقول "الله" فينتقل ذهننا مباشرة إلى الذات الذي متّصف بجميع صفات الحسن والكمال الذي ينبغي أن توجد فيه ^(٢).

In The name of Allah the Beneficent the Merciful. أنظر: علم اللغة مقدمة للقارئ العربي، لمحمود

السعرا. الناشر: دار الفكر العربي. الطبعة: طعة ٢ - القاهرة ١٩٩٧. ٢٢٠/١.

(١) ما وحدث قائل هذا القول لكن يستشهد ابن عربي بهذا على أنه حديث سوي كما يقولون الصوفية. ولكن شيخ الإسلام ابن تيمية يقول عنه: "لم يرو هذا الحديث أحد من أهل العلم بالحديث، ولا هو في شيء من كتب الحديث، ولا في شيء من كتب من يعلم الحديث، بل ولا من يعرف الله ورسوله". أنظر: مصرع التصوف وهو كتابان: تنبيه الغي إلى تكفير ابن عربي. وتحرير العباد من أهل العباد سدعة الاتحاد، لإبراهيم بن عمر بن أبي بكر النقاغي ط: عباس أحمد البار - مكة المكرمة - ح- ١. ص- ٥٩. و مجموعة الرسائل والمسائل، لتقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحلّيم بن تيمية الحارثي. ط: لجنة التراث العربي. ٤٥/٤.

(٢) أم الكتاب لمولانا أراد (رحمه الله). ص- ٢٦-٢٧- ٢٨.

المطلب الثالث: الكلام في تحقيق الربوبية، وأنظمة الكون وعناصرها.

ذكر بعد "الحمد" أربع صفات على الترتيب :

١ - ربّ العلمين. ٢ - الرحمن. ٣ - الرحيم. ٤ - ملك يوم الدين .

نما أن تعلق "الرحمن" و"الرحيم" بصفة واحدة نجانيهما المختلفة (١)، لذا يمكن أن يكون التعبير عنهما هكذا بألفاظ أخرى هكذا بأنه ذكرت هذه الأوصاف: "الربوبية، الرحمة، العدالة"، ومادة كلمة الربّ كالإله في كثرة استعمالها في اللغات السامية، ففي العبرانية، والسريانية والعربية في ثلاث لغات معناها واحد وهو التربية .

وبما أن الشعور بضرورة التربية من المشاعر الأساسية للحياة الإنسان، لذا يجب أن يفهم ضمن التعبير اللغات السامية القديمة .

وبما أن الأستاذ والمعلم والسيد كانوا أيضاً يربون من وجه، لذا كلمة "الرب" اطلقت على هذه المعاني لهُؤلاء أيضاً، لذا أن في اللغة الآرامية والعبرانية أيضاً كلمة "ري" و "رباه" كانت تستعمل للمعلم، والأستاذ، والسيد. وكلمة "رابو" من اللغة المصرية القديمة (٢) أيضاً استعمل في نفس هذه المعاني، وهذا

(١) ففرق بين معنى الرحمن والرحيم في التأويل لقوله: الرحمن ذو الرحمة، والرحيم الراحم، وإن كان قد ترك بيان تأويل معييهما على صحته. ثم مثّل ذلك باللّغتين يأتیان بمعنى واحد، فعاد إلى ما قد جعله معيين، فجمعته متان ما هو معنى واحد مع اختلاف الألفاظ. فإذا كان الرحمن والرحيم اسمين مشتقين من الرحمة، فما وجه تكرير ذلك وأحدهما مؤد عن معنى الآخر؟ . قيل له: ليس الأمر في ذلك على ما ظنت، بل لكل كلمة منهما معنى لا تؤدي الأخرى منهما عنها. فإن قال: وما المعنى الذي انفردت به كل واحدة منهما، فصارت إحداها غير مؤدية المعنى عن الأخرى؟ قيل: أما من جهة العربية، فلا تمنع بين أهل المعرفة بلغات العرب أن قول القائل الرحمن عن أسية الأسماء من فعل يفعل أشدّ عدولاً من قوله الرحيم. ولا خلاف مع ذلك بينهم أن كل اسم كان له أصل في فعل يفعل، ثم كان عن أصله من فعل يفعل أشدّ عدولاً، أن الموصوف به مفصل على الموصوف بالاسم السبي على أصله من فعل يفعل إذا كانت التسمية به مدحاً أو دماً. فهذا ما في قول القائل: الرحمن من زيادة المعنى على قوله: الرحيم في اللغة. وأما من جهة الأثر والحر. ففيه بين أهل التأويل اختلاف فحدثني السري بن يحيى التميمي، قال: حدثنا عثمان بن رهم، قال: سمعت العرزمي يقول: " {الرحمن الرحيم} [الفاتحة: ٢] قال. الرحمن بجميع الخلق. الرحيم قال: بالمؤمنين". أنظر: جامع البيان في تأويل القرآن

نحمد بن حريز النظري. ١٣٢\١.

(٢) لغة مصرية قديمة هي أحد مراحل تطور اللغة المصرية المبطوقة بين عامي ٢٦٠٠ ق.م إلى ٢٠٠٠ ق.م، خلال عصر الدولة القديمة وفترة الاصحلال الأولى. وتعد بصوص الأهرام أكبر الوثائق المكتوبة هذه اللغة حجتاً. كما حملت حدران مقابر نخة المصريين خلال تلك الفترة كتابات تمثل سيرتهم الذاتية، مكتوبة تلك اللغة المصرية القديمة. من خصائص تلك اللغة المميزة ها.

يُخبر عن وحدة اللغات السامية في تلك البلدان القديمة، وعلى كل حال فإن معنى "الربوبية" هي التربية، ولكن ينبغي أن تؤخذ التربية في معنيها الواسعة والكاملة، (وهي تربية جيدة من كل الجهات) (١).

لذلك فإن بعض أئمة اللغة (٢) يقول "الرَّبُّ" في الأصل التربية (٣)، وهو "إنشاء الشيء حالاً بعد حال إلى حدّ التمام" (٤). يعني تسمية الشيء مرة بعد أخرى طبقاً لأحوالها المختلفة وضرورتها حتى يصل إلى حد الكمال .

وحدود ثلاثة أصعاف الرموز والصوتيات، ووجود الإشارات للجمع. وعموماً، فإنها لا تختلف كثيراً عن اللغة المصرية الوسطى التي كتبها معظم إنتاج الأدب المصري القديم. اللغة المصرية القديمة لغة سامية وفسر إرمات أوجه التشبه بين اللغات السامية واللغة المصرية القديمة بأن هذه اللغة قد انفصلت في وقت مبكر عن الأسرة السامية وشقت طريقها وحدها عدة آلاف من السنين. أنظر: علم اللغة العربية، للدكتور محمود فهمي حجازي. الناشر: دار عريب للطباعة والشر والتوزيع.

(١) تفسير أم الكتاب، لمولانا آزاد (رحمه الله). ص - ٣٠.

الرب بمعنى المالك أيضاً ومنه قول صفوان لأبي سفيان: لأن يربي رجل من قريش أحب إلى من أن يربي رجل من هوازن، تقول: ربه يره فهو رب، كما تقول: تمّ عليه يمّ فهو تمّ. ويجوز أن يكون وصفاً بالمصدر للمبالغة كما وصف بالعدل، ولم يطلقوا الرب إلا في الله وحده، وهو في غيره على التقيد بالإضافة، كقولهم: رب الدار، ورب الباقية، وقوله تعالى: (ارْجِعْ إِلَىٰ رَبِّكَ)، [إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ]. أنظر: الكشف عن حقائق عوامض التزويل، لأبي القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، المرحم شري حار الله (المتوفى: ٥٣٨هـ). الناشر: دار الكتاب العربي - بيروت. الطبعة: الثالثة - ١٤٠٧ هـ. عدد الأجزاء: ٤. ١٠/١.

(٢) قال ابن منظور: كلمة الرب في اللغة تطلق على عدة معانٍ، الرب يطلق في اللغة على المالك، والسيد، والمدير، والمربي، والقيم، والمعتم. وقال: ولا يطلق غير مصاف إلا على الله - عز وجل - وإذا أطلق على غيره أصيغ، فقبل: رب كذا. وقال: وقد جاء في الشعر مطلقاً على غير الله - تعالى - وليس بالكثير، ولم يذكر في غير الشعر. وقال: ورب كل شيء: مالكه ومستحقه، وقيل: صاحبه. ويقال: فلان رب هذا الشيء أي ملكه له. وكل من ملك شيئاً فهو ربه، يقال: هو رب الدابة، ورب الدار، وفلان رب البيت. وهن ربات الخجال. أما الرب من حيث إنه اسم من أسماء الله فمعناه: من له الخلق والأمر والملك، قال - تعالى -: [أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ] (الأعراف: ٥٤). وقال: [دَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمُ لَهُ الْمُلْكُ] (فاطر: ١٣). الرب: هو الله - عز وجل - هو رب كل شيء، أي مالكه، وله الربوبية على جميع الخلق لا شريك له، وهو رب الأرباب، ومالك الملوك والأملاك. أنظر: لسان العرب لابن منظور. ٣٩٩/١.

(٣) وقال ابن فارس في اشتقاق لفظ (الرب): إنه مشتق من التربية، فالله سبحانه وتعالى مربي الخلق ومربيهم، ومنه قوله تعالى: {وَرَبَّانِكُمُ الْإِلَهِ فِي حُجُورِكُمْ} (النساء: ٢٣)، فسمى رب الروح (ربوبية) لتربيته الروح بها. فعلى أنه مربي خلقه ومربيهم يكون صفة فعل، وعلى أن (الرب) بمعنى المالك والسيد يكون صفة ذات. أنظر: معجم مقاييس اللغة، لأبي الحسين أحمد بن فارس القرويني. تحقيق: عبد السلام محمد هارون. ط: دار الفكر - بيروت. ٣٨١/٢.

(٤) المفردات في غريب القرآن، للراغب الأصفهاني. ص - ٣٣٦.

فإن الإنسان إذا يطعم الجائع أو يعطي المحتاج شيئاً فيكون ذلك من كرمه وجوده وإحسانه، ولكن لا يكون ذلك من قبيل الربوبية لأن لا بد للربوبية بأن يكون تلك التربية والإعطاء دائماً ومستمرًا بالتسلسل حتى يصل إلى حد البلوغ والتكميل مع إعداد المتطلبات التي تأتي وقتاً فوقتاً أثناء التربية، ولا بد أن يكون هذه المراحل التربوية يكون بالشفقة والمحبة لأن العمل الذي يكون خالياً عن الرحمة والمحبة قد لا يكون الربوبية^(١)

النموذج الناقص للربوبية:

يمكن أن نرى النموذج الناقص للربوبية في تلك التربية التي أودعت سدتها في طبيعة الأم، الولد لما يولد فهو ليس إلا مضغة متحركة من اللحم، فهو محتاج في جميع مراحل النمو والحياة إلى التربية، وهذه التربية هي سلسلة طويلة من المحبة والشفقة والرعاية والحضانة وهذه السلسلة ينبغي أن تستمر حتى يصل الطفل إلى حد بلوغ جسده وذنه والعقل، ثم ضروريات التربية ليست واحدة أو اثنتين فهي غير منحصرة ونوعيتها تتغير دائماً، فمن الضروري أن تكون شدة المحبة وعين الرعاية وضروريات الحياة موصولة إليه وفق أي عمر وحال .

فقد جعل حكمة الإلهية في محبة الأم جميع ملامح الربوبية، ربوبية الأم التي تربي وتحمي الطفل من يوم الولادة إلى سن البلوغ، وتجهز له ضروريات الحياة وتعطي له ما يحتاج إليه في التربية في كل الوقت حسب ضرورياته، ولما كان معدة الطفل لم تكن متحملة لأي غذاء سوى الحليب فكان له الرضاع فحسب، ثم إذا كان الولد احتاج إلى أقوى من اللبن فأعطى له تلك الغذاء وفق طبيعته، ولما كان الولد لا يستطيع أن يقف على رجليه فأخذته أمه في حضنها، ولما قدر على الوقوف فأمسكته بإصبعه ومشى خطوة خطوة، فكانت المتطلبات الضرورية تستوفي كل حالة وفق الحاجة والصروة، وكانت الرقابة والحماية عملية مستمرة، هذا هو الظرف الذي يمكن أن يتصور من خلاله مفهوم الربوبية .

أعرض عن هذا المثال الناقص والمحدود للربوبية المحارية وتصوّر حقيقة الربوبية الإلهية غير المحدودة. والغرض إذا نقوم ببحث الأمتلة فهناك كثير من الحيوانات الحقيرة والصغيرة التي لا نستطيع أن نراها بالعين المجردة^(٢)، ولكن الربوبية الإلهية تعطي له كل شئ الذي يحتاج إليه في بقاء الحياة، و تعطي

(١) تفسير أم الكتاب، لمولانا آزاد - رحمه الله - . ص: ٢٩-٣٠.

(٢) (Naked Eye) العين المجردة) يستطيع كل إنسان مشاهدة العديد من الأحرام والطواهر الفلكية بالعين المجردة، يشترك في ذلك العامة والعلماء المتخصصون، فقد اهتم الإنسان منذ القدم بالسماء وما فيها من "مصابيح"، وقام قدماء المصريين و

بنفس النظام الذي يعطي به لمخلوقه العقيل كالإنسان ومخلوقه الجسيم مثل الفيل، وهذه الأشياء كلها خارجة عن نفس الإنسان فانه حينما ينظر في نفسه فحياته وكل لحظة من حياته هو النظام الكامل من مظاهر الربوبية الإلهية كما قال الله تعالى: [وَفِي الْأَرْضِ آيَاتٌ لِلْمُوقِنِينَ ، وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ] (١). (٢).

نظام الربوبية:

لكن يوجد الفرق بين منح الحياة وعمل الربوبية لا يسغي تجاهلها، فإذا توجد في الدنيا تلك العناصر أي تركيبها وصناعة تلك الأشياء التي تفيد في تنمية الحياة الإنسان فإنه لا يمكن تعبير وجودها المحض بالربوبية بل هذا رحمة للقدرة الإلهية وعظائها واحسانها، والربوبية الحقيقية هي أن في الدنيا مع وجود الأشياء المفيدة هناك نظام خاص لتقسيم الأشياء وتوزيعها لأن الرب لا يعطي فقط بل يعطي بنظام خاص والترتيب المنضبط والمناسب، وبنتيجته نحن نرى بأنه كل شئ يصل إلى النفس الذي محتاج لذلك الشئ حسب ضرورته بالكمية والمقدار المعين، وبهذا النظم والترتيب يمرّ نظام الحياة (٣) .

الباليون و الصييون برصد الأحرام السماوية، ودوروا الكثير منها. ويحب ان يكون مكان الرصد بعيدا عن ضوء المدد و خصوصاتها، ربما في منطق ريفية أو صحراوية حيث يكون التلوث الصوئي قليل جدا، ويمكن مشاهدة جميع الحجوم من القدر الخامس وما قبل ذلك ضمن ظلام وظروف رصد جيدة ويمكن لشخص حاد البصر وضمن ظلام دامس حداً وسماء صافية وظروف ممتازة مشاهدة الحجوم من القدر السادس، وهذا يعني أنه يمكنك أن ترى أكثر من ٢٥٠٠ نجمة بعينك المجردة. وأحيانا العين المجردة تعجز عن رؤية بعض الأشياء كدقائق العبار تطير في الهواء ولا تراها عين، لكن شعاع الشمس يدخل عبر النافذة، فيترى العبار الحقي للناظر،، لقد فصّح ضوء الشمس وجود دقائق العبار امام العين البشرية. أنظر: مجلة الممار (كامله ٣٥ مجلدا)، مجموعة من المؤلفين، محمد رسيد بن علي رضا وغيره من كتاب المحلة. ٥٧٧\١٣.

(١) سورة الراريات، الآيتان: ٢٠ - ٢١.

(٢) تفسير أم الكتاب، مولانا آزاد (رحمه الله). ص - ٣٢.

(٣) تفسير أم الكتاب، لمولانا آزاد (رحمه الله) ص - ٣٢.

منح المياه ونظام توزيعها:

الماء والرطوبة ضرورة للحياة ونحن نرى أن ذخائر المياه موجودة في كل الأطراف بوفرة، لكن مجرد وجود هذا المقدار لا يكفي للحياة، لأنه لا يكفي للحياة ضرورة وجود الماء فقط بل لابد أن يوجد الماء بنظام معين، وترتيب معين وبمقدار محدد فإن وجود نظام معين لإيجاد الماء وتوزيعه في الدنيا، وأن الطبيعة لا توجد الماء فحسب بل توجد على ترتيب ونسق معين وتوزعه حسب تقدير معين فذلك هي الربوبية وينبغي تصور جميع أعمال الربوبية منه .

يقول القرآن كأن هذه رحمة الله التي أوجدت أصل الحياة كالماء^(١)، ولكن هذا من ربوبيته أنه ينزل الماء من السماء قطرة قطرة، ويوصلها إلى كل جانب من جوانب الأرض ويوزع بمقدار وحالة معينة، وينزل في جو الحاص بمحل محصوص، ثم يبحث في الأرض عن ذرات العاطشة فيسقيها بتلك الماء، قال تعالى: [وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ فَأَسْكَنَّاهُ فِي الْأَرْضِ وَإِنَّا عَلَى ذَهَابٍ بِهِ لِقَادِرُونَ] ، فَأَنْشَأْنَا لَكُمْ بِهِ جَنَّاتٍ مِنْ نَخِيلٍ وَأَعْنَابٍ لَكُمْ فِيهَا فَوَاكِهُ كَثِيرَةٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ^(٢) .

تقدير الأشياء:

وهذا هو السبب الذي جعل القرآن يذكر مقادير الأشياء وقدرها بمعنى أنه أشار إلى هذه الحقيقة بأن طبيعة الكون لما يمنح فإنه يمنح بمقدار خاص وهذا التقدير موضوع تحت مقدار خاص، كما قال تعالى: [وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنْزِلُهُ إِلَّا بِقَدَرٍ مَعْلُومٍ]^(٣)، وقال [وَكُلُّ شَيْءٍ عِنْدَهُ بِمِقْدَارٍ]^(٤)، وقال [إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ]^(٥).

فعلم من هذا أن المياه لم توجد في الدنيا فحسب بل توجد بنظام وترتيب خاص، ونظامه أن أشعة الشمس أولاً تأخذ المياه من البحر ثم تنتشرها في الفضاء ثم تتحركها الهواء فتجعلها قطرات المياه ثم تنزلها من السماء في وقت خاص ومحل خاص، ثم إذا ينزل هذا الماء فيترل بترتيب ومقدار خاص، ويصل رطوبة الماء تحت الأرض بمقدار معين، وهكذا تتم تسوية أهيارات التلوج على دروة الحبال، ثم يذوب تلك التلوج

(١) [وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ] سورة الأنبياء الآية: ٣٠.

(٢) سورة المؤمنون، الآية: ١٨ - ١٩. وأبظر: تفسير أم الكتاب، لمولانا آزاد (رحمه الله). ص - ٣٣.

(٣) سورة الحجر، الآية: ٢١.

(٤) سورة الرعد، الآية: ٨.

(٥) سورة القمر، الآية: ٤٩.

بتغير الجو وبسبب ذوبان الثلج تفور نافورات المياه وبسبب تلك النافورات تدفق جداول الأنهار، ثم تلك الجداول تصل إلى الواد البعيدة وتسقيها تلك الوديان .

ثم تسأل المولانا آزاد قائلاً: لماذا حدث هذه العملية الطويلة و لماذا لم يكف وجود المياه دون هذا النظام والترتيب الخاص...؟

فيحيب قائلاً: القرآن يقول هذه لأن في كيان الكون يعمل ربوبية الله، ومقتضى الربوبية أن يوجد الماء بنفس هذا النظام ، وأن يكون بنفس الترتيب والمقدار توزيعه، وكانت هذه رحمة الله وحكمته أن خلقت الماء، ولكن ربوبيته التي جعلت الماء لمثل هذا العمل حيث قد تم به جميع متطلبات الربوبية والحماية، قال تعالى: [اللَّهُ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَّاحَ فَتُثِيرُ سَحَاباً فَيَبْسُطُهُ فِي السَّمَاءِ كَيْفَ يَشَاءُ وَيَجْعَلُهُ كِسَافاً فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خَلَالِهِ فَإِذَا أَصَابَ بِهِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ] (١).

عناصر الحياة (٢) :

ثم تأملوا في هذه الحقيقة بأن الأشياء التي هي ضرورية للحياة توجد بوفرة، وأما الأشياء التي لها ضرورة في أحوال مخصوصة فهي محدودة في تلك الأحوال .

١- في مستوى الأولى ضرورة الهواء : "الهواء" كانت ضرورية جداً لأن بقاء الحياة يمكن لفترة وجيزة بدون الغذاء والماء ولكن لا يمكن ذلك بدون الهواء، لذا يوجد الهواء كل لحظة بوفرة وكثرة في كل وقت ومكان، ففي الفضاء يوجد بحر كبير للهواء فإنك متى وحينما تتنفس فإن هذا الجوهر الضروري للحياة يتوفر لك تلقائياً .

٢- في المستوى الثاني ضرورة الماء : وتأتي الماء في الدرجة الثانية بعد الهواء كما قال الله تعالى: [.. وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ..] (٣)، لذا فإن منحه بوفرة وشموليته أقل من الهواء، ولكنه كثير من بقية الأشياء، يجري تحت الأرض أنهار من ماء عذب وفوق الأرض أيضاً الأنهار حارية من كل جانب، ثم سوى ذلك في فضاء السماء مصنع آخر الذي

(١) سورة الروم، الآية: ٤٨.

(٢) الأشياء الضرورية للحياة الإنسان مثل الهواء والماء والغذاء بالترتيب (وتفصيلها في المتن)... أنظر: تفسير أم الكتاب،

لمولانا آزاد (رحمه الله). ص- ٣٤ .

(٣) سورة الأنبياء، الآية: ٣٠.

يعمل فلى الليل والنهار وهو يسحب ملوحة البحر ويجعله عذبا صافيا، ثم يحوله إلى مدخرات الأرض حيث يستعمل حسب الضرورة .

٣- في مستوى الثالث ضرورة الغذاء : بعد الماء هناك الضرورة إلى الغذاء أقل الهواء والماء وأكثر من جميع الأشياء، ومائدته مفروشة في البر والبحر، ولا يوجد أي مخلوق إلا يوجد قوته مدخرا حوله^(١) .

نظام التربية:

ثم تأملوا الآن في النظام العالمي لأدوات التربية التي هي حاضنة الربوبية بكل جانب عملي ورأس مع الحياة هذا المصنع الذي أنشئ لحصانة استعداد الحياة، جعلت الشمس مصباحا للضوء وتنورا للحر وتترع الماء بأشعتها من البحر، وجعلت الرياح لأن يحصل بخارها وبرودتها نتائج المطلوبة، هكذا جمعت قطرات المياه وجعل منها الغمام ثم أنزلها مطرا، وجعلت الأرض أن يكون معمورة بخزائن التمنية والتشئة .

وبإيجاز فإن كل جانب من نظام الكون مشغول في العمل بأن كل قوة يبحث عن الاستعداد وكل مؤثر ينتظر للأثر المعالية، فعملية النظام الشمس، تغيرات الفضاء وكل قوات الأرض، الغرض جميع عناصر الكون يكون في الإنتظار بأن متى يولد الولد من بيضة النملة، ومتى يسقط الحبة من يد المزارع على الأرض، قال الله تعالى : [وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعاً مِنْهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ]^(٢).

الوحدة في نظام الربوبية:

الحقيقة العجيبة ولكن الثالثة هي الوحدة في نظام الربوبية بأن طريقة تربية النفس هي واحدة في كل جانب من جوانب العالم وأصله واحد، كما أن قطعة الحجر والوردة وإن كان بينهما تفاوت كبير ولكن اذا نرى في طريقة تربيتهما فيظهر أن كليتهما تحصل التربية بطريقة واحدة، هكذا ولد الإنسان

(١) تفسير أم الكتاب، لمولانا آزاد (رحمه الله). ص- ٣٦.

(٢) سورة الحاتية، الآية: ١٣. وأظر: تفسير أم الكتاب، لمولانا آزاد (رحمه الله). ص- ٣٦.

وغصن الشجرة شيثان غير متطابقتان ولكن بعد التتبع ظهر لنا أن كليهما مرتبطان في علاقة واحدة بسبب قانون الوحدة الربوبية^(١).

ثم المؤلف أورد سؤالاً فيقول: كانت صخرة الجبل أم براعم الأزهار، ولد الإنسان أم بيضة النملة لكل لها الولادة، وقبل أن تظهر الولادة في بطن الأم والبيضة يتقدم له الغذاء والتربية، ومن ولد الإنسان إلى صخرة الجبل كل نوع له عهد الطفولة حتى يصل إلى سن البلوغ ويتغير له طريقة التربية وفق أحواله المختلفة، فإذا وصل إلى سن الكمال يبدأ بعده فترة الانحطاط والإضمحلال، وهذه الفترة أيضاً سواء لكل نوع، ففي حال يسمى بالموت، وفي حال يسمى بالذيل، وفي آخر يسمى بالإنتهاك، فالألفاظ يكون متعددة والحقيقة واحدة وهي حاتمة الحياة، قال الله تعالى: [اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَهُوَ الْعَلِيمُ الْقَدِيرُ]^(٢). وقوله [أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَلَكَهُ يَنَابِيعَ فِي الْأَرْضِ ثُمَّ يُخْرِجُ بِهِ زَرْعاً مُخْتَلِفاً أَلْوَانُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَجْعَلُهُ حُطَاماً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرًا لِأُولِي الْأَلْبَابِ]^(٣).

أما بالنسبة للحيوانات فيوجد نوع من الحيوانات التي تترين أولادها على اللبن، ونوع آخر تترين أولادها بالأغذية العامة، وفي تأمل الحيوانات يتغذون على اللبن الذين يدحل فيهم الإنسان أيضاً، فأولاً الإنسان إذا تأمل في نفسه فيعلم إنه إذا ولد فكيف جهز له الغذاء الطبيعي المناسب والحاص، وقدم له هذا الغذاء من المكان الأنسب والأقرب له في حال الطفولة وهو صدر الأم، فالأم من فرط المحبة تصمم الطفل إلى صدرها فهناك يوجد أصل غذائه أيضاً ثم أنظر لما ينتهي عهد الحضانة ويقدر الولد على أكل الأغذية العامة فيحف لبن الأم، وهذا كما لو أن مه إشارة إلى ربوبية الله بأن إذا انتهت ضرورة اللبن فانتهى اللبن في ثدي الأم أيضاً، وهذه المدة الحضانة بينها القرآن في قول تعالى: [وَحَمْلُهُ وَفِصَالُهُ ثَلَاثُونَ شَهْرًا...]^(٤).

ثم تأمل في كل هذا الصنع لربوبية الله بأنه كيف أودعت محبة الولد في فطرة الأم وكيف جعل هذه العاطفة من بين عواطف البشرية ترحماً، وأي قوة في العالم يمكن أن تواجه هذا الحماس الذي يسمى

(١) تفسير أم الكتاب، لمولانا آزاد (رحمه الله). ص - ٣٧ - ٣٨.

(٢) سورة الروم، الآية: ٥٤.

(٣) سورة الزمر، الآية: ٢١.

(٤) سورة الأحقاف، الآية: ١٥.

بالأمومة؟! والتي كانت ولادة طفلها بالنسبة لها أكبر مصيبة في الكون، كما قال الله تعالى: [حَمَلَتْهُ أُمُّهُ
كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا..] (١) وحينما الولد كان لا يصل إلى سن البلوغ والكمال فأمه تريد البقاء على
قيد الحياة لولدها فقط، وتترك كل المتاع والراحة لولدها، وهذه هي علامة المحبة والشفقة التي ليس لها
نظير في الكون (٢).

(١) سورة الأحقاف، الآية: ١٥.

(٢) تفسير أم الكتاب، لمولانا آزاد (رحمه الله). ص - ٣٨ - ٤٠.

المطلب الرابع: الكلام في الربوبية المعنوية، والتقدير، والهداية الربوبية المعنوية أو الروحية :

والأعجب من ذلك هو الجانب المعنوي لنظام الربوبية، فإن تربية للحياة من الخارج قد لا يفيد فائدة تامة إن كان في داخل الجسم لا يوجد استعداد تام لأخذ الأثر، أو كان لا يساعد معه قواه الظاهرة والباطنة، فهذا من فيوض الربوبية بأن قوام الظاهري والباطني لكل مخلوق وقع بأنه كل قوته وفق نوعية تربيته، وكل شئ يعينه في بقاءه على قيد الحياة، ولا يمكن بأن يوجد مخلوق يملك ذلك النوع من الجسم والحياة الذي يخالف أحوال مقتضيات تربيته، وبهذه المناسبة فإن بين تلك الحقائق الأمران واضحا حداً، والقرآن الكريم لفت الإنباه إليه أكثر من مرة، فيعبر عن أحدهما بـ "التقدير" والآخر بـ "الهداية".

التقدير:

معنى التقدير هو "التحمين"، يعني جعل الشئ مستقراً في حالة خاصة سواء كان ذلك كمّاً أو كيفاً، لذا نرى القطرة جعل تقديرها خاصاً للبناء الجسدي من الجهد الذي لا يمكن الخروج عنها، وهذا التقدير يناسب جميع أحوال وظروف حياة الإنسان وتشتته مناسبة تامة، قال الله تعالى: [وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَرَهُ تَقْدِيرًا] (١) .

أترى أنه يوجد التطابق الخاص بين البيئة و إنتاجها وهذا قانون الخلق الذي لا يتغير ابداً، وكل مخلوق في بائه الظاهري والباطني كمتل بيئته، وكان طبيعة كل مخلوق يطابق مع محيطه، فهذا هو تقدير الذي قرره القادر الحكيم لحياة كل شئ وتكوينه (٢) .

وهذا التقدير والقانون ليس للحيوانات والنباتات فحسب، بل لجميع اشياء الكون حتى كان نظام دوران السجود مبني على أساس هذا القانون، قال تعالى: [وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ] (٣) .

(١) سورة الفرقان، الآية: ٢.

(٢) تفسير أم الكتاب، لمولانا آزاد (رحمه الله). ص- ٤٢- ٤٣.

(٣) سورة يس، الآية: ٣٨. و تفسير أم الكتاب، لمولانا آزاد (رحمه الله). ص- ٤٣- ٤٤.

الهداية:

معنى الهداية "إراءة الطريق" وإسلاك الطريق والإرشاد، وله أقسام ومراتب مختلفة يأتي تفاصيله فيما بعد هنا التذكير لتلك المرتبة للهداية التي تفتح لجميع المخلوق طرق تربيتها وتجعلها على طريق الحياة، وتؤدي إلى طلب وحصول ضروريات الحياة، وهذه الهداية هي هداية الربوبية، ولما كانت هداية الربوبية غير معينة فإنه لا يمكن إستفادة أي مخلوق من متاع الحياة والتربية، وما أمكن ظهور أنشطة الحياة في الوجود، وهداية ربوبية الله هو استعداد طبيعي للفطرة التي تبدو في كل مخلوق كالإلهام والوجدان، وبأنه في كل مخلوق يبدو أولاً إلهام الوجدان ثم يضيئ مصباح الحواس والإدراك، فهذه هي المراتب للإدراك والهداية من المراتب المختلفة للهداية^(١).

المرتبة الأولى للهداية "الوجدان":

هداية الوجدان هي أن نرى بأن في طبيعة كل مخلوق يوجد إلهام داخلي الذي يجعله سالكاً على طريق الحياة والتربية تلقائياً ولا يحتاج إلى التعليم الخارجي، كولد الإنسان أو الحيوان لما يخرج من بطن الأم فيعلم بنفسه أن غذاءه في صدر الأم، ولما يأخذ الثدي الأم في فمه فيعلم أن عليه مصّه بقوة، فهذا الولد الذي قدم الآن إلى عالم الوجود ولم يحس بالمؤثرات الخارجية كيف يعلم أن عليه أخذ الثدي في فمه وأن فيه أصل غذاءه؟ وأي ملك ينفخ في أذنه بأن يحصل غذائه بهذه الكيفية؟ حقا فإنه ملّك الوجدان، وهي نفس الهداية الوجدانية التي تجعل المخلوق سالكا طريق التربية والحياة قبل بدو نور الحواس والإدراك^(٢).

المرتبة الثانية للهداية "الحواس":

المرتبة الثانية للهداية هي مرتبة الحواس والمدرجات الذهنية وهو واضح لدرجة أنه لا يحتاج إلى شرح، نحن نرى أن الحيوانات (دون الإنسان) وإن كانت محرومة من جوهر المخ الذي يعبر بالعقل والفكر ولكن الطبيعة (الله تعالى) منحها جميع تلك القوات التي تحتاج إليها الحيوانات في الحياة والمعيشة، ومساعدتها فإنه يقوم بتأدية جميع الواجبات التي تتعلق بالعيش والطعام والشراب والتوالد والتناسل والحماية والحراسة بصورة حسنة.

(١) تفسير أم الكتاب، لمولانا آزاد (رحمه الله). ص - ٤٥.

(٢) المصدر السابق. ص - ٤٥ - ٤٦.

هداية الحواس ليست على نفس المنوال لجميع الحيوانات بل منحت لكل حيوان حسب استعداده وضروريات الأحوال والظروف، قوة الشم للنمل لها تأثير بعيد، لأنه يحصل الغذاء بواسطتها، وعين الصقر حادة، لأنه لو كانت عينه غير حادة ما استطاع أن ينظر صيده حال طيرانه عالياً في الفضاء .

ولذلك فهذه هي مرتبة الهداية التي عبر عنها القرآن بوحى الربوبية الإلهية، فمعنى الوحي في العربية هو الإيماء الخفي، فكان هذا هو الهمس الداخلي الذي يفتح لكل مخلوق طريق العمل، كما قال الله تعالى: [وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنِ اتَّخِذِي مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ الشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ]^(١).

وهذه هي هداية الربوبية التي أشار إليها القرآن حكاية على لسان سيدنا موسى (عليه السلام) لما سأله فرعون: [فَمَنْ رَبُّكُمَا يَا مُوسَى]^(٢)، قال موسى (عليه السلام) : [قَالَ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَىٰ كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَىٰ]^(٣).

وهذه هي الهداية التي عبر عنها في مقام آخر بتيسير سبيل العمل: [مِنْ أَيِّ شَيْءٍ خَلَقَهُ ، مِنْ نُّطْفَةٍ خَلَقَهُ فَقَدَرَهُ ، ثُمَّ السَّبِيلَ يَسِّرُهُ]^(٤)، وتيسير السبيل نفسه هي: هداية الإدراك والحواس التي تكون بعد التقدير، لأن الفطرة إذا لم يكن منها الهداية لما أمكن لنا الحصول على ضروريات الحياة .
و سوف تعلم فيما بعد بأن المراتب الأربعة التي بينها القرآن وإن الثالثة والرابعة من بينها هي نفس مرتبة التقدير والهداية أعني : "الحلق" "التسوية" "التقدير" "الهداية"، كما جاء في قوله تعالى: [الَّذِي خَلَقَ فَسَوَّىٰ (٢) وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَىٰ]^(٥)،^(٦).

(١) سورة النحل، الآية: ٦٨.

(٢) سورة طه، الآية: ٤٩.

(٣) سورة طه، الآية: ٥٠.

(٤) سورة عس، الآيات: ١٨ - ١٩ - ٢٠.

(٥) سورة الأعلى، آيات: ٢ - ٣.

(٦) تفسير أم الكتاب، لمولانا آزاد (رحمه الله)، ص - ٤٦ - ٤٨.

المبحث الثالث : مبدأ الاستدلال للبراهين القرآنية ، ويشتمل على
ثلاث مطالب الآتية :

المطلب الأول : مبادئ الاستدلال وخلاصتها.

المطلب الثاني : الاستدلال ببرهان الربوبية .

المطلب الثالث : الاستدلال بنظام الربوبية على التوحيد،
وضرورة الوحي، ووجود المعاد.

المطلب الأول: مبدأ الاستدلال.

استدل القرآن بنظام الربوبية في كل موطن على وجود ذات الله تعالى وتوحيده وصفاته، وهذا الاستدلال من أهم دلائله ولكن قبل شرحه فإنه من المناسب توضيح بعض مبادئ طرق استدلال القرآن الكريم، لأنه ليست هذه فرصة شرح مختلف أسبابه، وهذا الجانب من المطالب القرآنية أصبح مهجوراً فذا من الضروري أن نتفقد عن هذه الحقيقة الضائعة من جديد :

أولاً- الدعوة إلى العقل :

المبدأ الأول في طريق استدلال القرآن هي الدعوة إلى العقل والتفكير يعني أنه يؤكد في كل موطن على هذا أن الطريقة الجيدة لمعرفة الحقيقة هي أن يستفيد الإنسان من عقله وبصيرته الذي أعطاه الله إياه، فإذا يتدبر ويتفكر في جميع ما يمكن احساسه خارج كيانه فيعترف بعدم خلو سورة أو جزء من السورة عن الدعوة إلى العقل والتفكير في القرآن، قال تعالى: [وَفِي الْأَرْضِ آيَاتٌ لِلْمُوقِنِينَ، وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ] (١)، ويقول كذلك بأنه منح العقل والبصيرة للإنسان كذا هو مسؤل عن استعماله الصحيح من عدمه، قال تعالى: [إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا] (٢).

ويقول في كل شئ في الأرض، وفي كل مشهد في السماء وكل تغلب في الحياة علامات لمعرفة الحقيقة للفكر الإنساني بشرط ألا يتلى بالتغافل والإعراض، قال تعالى: [وَكَايْنٍ مِنْ آيَةِ فِي السَّمَاءَاتِ وَالْأَرْضِ يَمْزُونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ] (٣).

ثانياً : التكوين بالحق:

إذا استخدم الإنسان العقل والبصيرة وفكر في خلق الكون فأول حقيقة التي تبدوا أمامه هو التكوين بالحق، لأنه يظن أن خلق الكون وتقويم الأشياء واقع بالوسط والترتيب، ومتصل بالقانون والنظام الخاص وليس فيه أي شئ فارغ من الحكمة والمصلحة، وهو يرى أن هذه الأشياء ما خلقت بالباطل وما وجدت بدون المقصد والترتيب، لأنه لو كان كذلك فلا يمكن تكوينه بهذا النوع من الحكمة والمصلحة، فوجود الكون بالضبط والترتيب تحت نظام حاص يدل على التكوين بالحق، قال الله تعالى: [خَلَقَ اللَّهُ

(١) سورة الداربات، الآيات: ٢٠-٢١.

(٢) سورة الإسراء، الآية: ٣٦.

(٣) سورة يوسف، الآية: ١٠٥. وأنظر: تفسير أم الكتاب، مولانا آزاد (رحمه الله). ص- ٤٩ - ٥٠.

السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ بِالْحَقِّ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ^(١)، وفي آية مشهورة في سورة آل عمران الذي يخبر عن لسان حال أولي الألباب الذين يتفكرون في خلق السماء والأرض حيث قال: [رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا^(٢)]، وفي مقام آخر عبر عن الخلق بالباطل بـ "تلعب" وهي أداء أي عمل كاللعب بدون أي غرض ومقصد معقول قال تعالى: [وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَاعِبِينَ، مَا خَلَقْنَاهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ^(٣)].

وبين الخلق بالحق في كل موطن، فمثلاً في موطن نبه إلى ذلك الجانب بأن كل شيء في الكون للإفادة والنفع، وأن الفطرة إذا تريد صنع شيء فهي يصنعه حيث يكون في كيونته وحياته النفع والراحة، قال تعالى: [خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ يَكُوِّرُ اللَّيْلُ عَلَى النَّهَارِ وَيُكَوِّرُ النَّهَارَ عَلَى اللَّيْلِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُّسَمًّى أَلَا هُوَ الْعَزِيزُ الْغَفَّارُ^(٤)].

ونبه إلى إفادة ونفع الأجرام السماوية في موطن آخر على وجه الخصوص وعبر عن ذلك بـ "خلق بالحق"، قال تعالى: [هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسُ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُورًا وَقَدَرَهُ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ مَا خَلَقَ اللَّهُ ذَلِكَ إِلَّا بِالْحَقِّ يُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ^(٥)].

وفي موطن آخر أشار إلى "جمال الفطرة وحسنها" وعبر عنه بـ "خلق بالحق" يعني بأنه يعمل قانون التحسين والترين في طبيعة الكون أيًا كان الصنع فإنه يوجد فيه الحسن والجمال والتمام والكمال، قال تعالى: [خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُورَكُمْ^(٦)].

(١) سورة العنكبوت، الآية: ٤٤.

(٢) سورة آل عمران، الآية: ١٩١.

(٣) سورة النحل، الآيات: ٣٨-٣٩.

(٤) سورة الرمز، الآية: ٥.

(٥) سورة يونس، الآية: ٥.

(٦) سورة النعاس، الآية: ٣.

هكذا القرآن يستشهد بـ "خلق بالحق" على "قانون الجزاء"^(١)، مثلاً أنتم ترون بأن لكل شيء في الدنيا نتائج وخواص وكل هذه الخواص ضرورية واقعة لا محالة. فهكذا أعمال الإنسان أيضاً تشتمل على نتائج من خير وشر وتقع ضرورية، فالقانون الفطري الذي يميز بين الخير والشر في كل شيء كيف يمكن أن يغفل عن هذا التمييز في أعمال الإنسان، قال تعالى: [أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَنْ نَجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَوَاءً مَخْيَاهُمْ وَمَمَائُهُمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ ، وَخَلَقَ اللَّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ وَلِتُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ](٢).

كما استشهد عدة مرات بذلك على "المعاد" (الحياة بعد الموت) فكل شيء في الكون يوجد له مقصد وعاية، فمن الضروري أن يكون لوجود الإنسان أيضاً مقصد وغاية، وهذه الغاية هي حياة الآخرة لأنه ليس من الممكن بأن يكون هذا المخلوق الذي هو أفضل مخلوق في الأرض بأن يوجد ليخلق ويعيش أيام معدودة ثم يفني بعد ذلك، قال الله تعالى: [أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا فِي أَنْفُسِهِمْ مَا خَلَقَ اللَّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَأَجَلٍ مُّسَمًّى وَإِنَّ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ لَكَافِرُونَ](٣).

خلاصة مبدأ الاستدلال:

فالعرض بأن مبدأ استدلال القرآن هو:

أولاً - أن التصورات العامة حول التدين والعبودية التي كانت موجودة وقت نزول القرآن لم تكن خالية عن تأثير العقل فحسب بل وقفت جميع أسها على العقائد الغير العقلية، لكنها أوجدت تصورا عقليا للعبودية.

ثانياً - ان أساس دعوة القرآن مبني على التعقل والتفكر ولاسيما يدعوا إلى النظر والتدبر في خلق الكون.

(١) قانون الجزاء هو الذي يحاري به كل إنسان. فمن كان محسناً فله ثواب ما أحسن، ومن كان مسيئاً فعليه عقاب ما أساء، كل أمة تدعى إلى كتابها ويقال لها (الْيَوْمَ تُحْرَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ) أي تتأبون وتعطون أحور ما كنتم في الدنيا من حراء الأعمال تعملون بالإحسان والإحسان، وبالإساءة حراءها. أنظر جامع البيان في تأويل القرآن، لأبي جعفر محمد بن حرير الطبري. ط: مؤسسة الرسالة. ٨٣\٢٢.

(٢) سورة الحاتية، الآيات: ٢١ - ٢٢.

(٣) سورة الروم، الآية: ٨. أنظر: تفسير أم الكتاب، لمولانا آزاد (رحمه الله). ص - ٤٩ - ٥٣.

ثالثاً - ويقول (القرآن) بأن بالنظر في خلق الكون يكشف على الإنسان حقيقة الخلق بالحق، يعني بأنه يرى أن لا شئ في الكون خالياً عن الغاية والمصلحة، وكل شئ ظهر تحت القانون الأعلى للخلق، فأني شئ هنا له الوجود فإنه مرتبط بالحكم والمصالح العالمية بانتظام وترتيب خاص^(١).

(١) تفسير أم الكتاب، لمولانا آزاد (رحمه الله). ص - ٥٤.

المطلب الثاني: برهان الربوبية والاستدلال به.

وبهذه المناسبة فإن استدلال القرآن بتلك المصالح والمقاصد لطواهر الكون يمكن أن نعبّره بـ "برهان الربوبية"، ويقول بوقوع جميع الأعمال والظواهر على تلك الحالة حيث أن كل شيء له تأثير في نظام الحياة، ووجود النظام الذي يرعى كل حالة ويلاحظ كل مناسبة، هو الأسباب الذي يتيقن كل إنسان بوجود الإله الذي متصف بجميع صفات الكمال التي لا يمكن بدونها جريان هذا النظام .

ثم يطرح المؤلف بعض الأسئلة فيقول:

هل يمكن أن يتقن الإنسان أن نظام الكون وجد تلقائياً دون إرادة الخالق، هل يمكن أن توجد الربوبية بدون الرب والألوهية توجد بدون الإله، والرحمة توجد بدون الذات الرحيم، وكيف يمكن أن يقال بأنه يوجد كل شيء ولكن لا يوجد شيئاً، وهل يمكن أن يتقن الإنسان بأن يوجد النظام بدون الناظم، والقيومية موجود بدون القيوم، والعمارة موحودة بدون المعمار وهلمّ جراً..!

فيحيب الإنسان طبعاً بأنه لا يمكن أن توجد تلك الأسباب بدون المسببات، لأن فطرة الإنسان لديها قالب يوضع فيه الإيمان واليقين وليس محلاً للريب والإنكار .

وهذا الشيء محالٌ لدهاءة فطرة الإنسان بأنه يطالع نظام الكون ولا يستيقظ بداخله يقين "رب العلمين"، لأن يمكن للإنسان أن ينكر عن جميع الأشياء في هيجان التعدي ولكن لا يمكن أن يعمل خلاف فطرته .

ثم ينبغي أن نتذكر أن الأسلوب البياني للقرآن ليس مثل الأساليب الأخرى بأن يترتب الاشكال المقدمات النظرية ومسلمات العقلية ثم بعد البحث والمناقشة يجبر المخاطب على الرد أو القبول، بل في القرآن جميع خطابه إلى وجدان وتذوق فطرة الإنسان، لأن عواطف العبودية مغروسة في فطرة الإنسان فإذا استيقظ وجدانه لا ضرورة للبحث في اثبات مطلوبه، لأن وجدانه يوصله إلى مطلوبه بنفسه وهذا هو السبب أن القرآن يحتج على الإنسان بفطرة وجدانه، قال تعالى: [بَلِ الْإِنْسَانُ عَلَى نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ. وَلَوْ أَلْقَى مَعَاذِيرَهُ]^(١) .

(١) سورة القامة، الآية: ١٤ - ١٥ .

ولذا فإن القرآن يخاطب الفطرة الإنسانية باستمرار ويطلب الجواب من أعماقها، قال تعالى :

[قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَمَّنْ يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَمَنْ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَنْ يَدَبِّرُ الْأُمْرَ فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ، فَذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ الْحَقُّ فَمَاذَا بَعْدَ الْحَقِّ إِلَّا الضَّلَالُ فَأَنَّى تُصْرَفُونَ] (١).

وقال في مقام آخر: [أَمَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَتْنَا بِهِ حَدائقَ ذاتِ بَهْجَةٍ مَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُنْبِتُوا شَجَرَهَا أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِمَا تَعْمَلُونَ . أَمَّنْ جَعَلَ الْأَرْضَ قَرَارًا وَجَعَلَ خِلَالَهَا أَنْهَارًا وَجَعَلَ لَهَا رَوَاسِي وَجَعَلَ بَيْنَ الْبَحْرَيْنِ حَاجِزًا أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِمَا تَعْمَلُونَ ، أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِمَا تَذْكُرُونَ أَمَّنْ يَهْدِيكُمْ فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَنْ يُرْسِلِ الرِّيَّاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِمَا تَعْمَلُونَ عَمَّا يُشْرِكُونَ ، أَمَّنْ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَمَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِمَا تَعْمَلُونَ] (٢).

فمن خلال هذه الأسئلة نعلم بأن كل سؤال دليل مستقل في مكانه، لأنه يمكن أن يكون لكل سؤال جواب واحد فحسب وهو الإذعان للفطرة الإنسانية العالمية والمسلمة .
ولم تكن رؤية متكلميها (اصحاب علم الكلام) إلى هذا الجانب لذا لم يتضح لهم أسلوب استدلال القرآن وضلوا ضلالاً بعيداً .

بأية حال فإن المواطن الكثيرة في القرآن التي ذكر فيها الأعمال لأمر تربية الكون ونظام الربوبية فإنه في الحقيقة مبني على هذا الاستدلال، قال تعالى: [فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ إِلَى طَعَامِهِ ، أَنَا صَبَبْنَا الْمَاءَ صَبًّا ، ثُمَّ شَقَقْنَا الْأَرْضَ شَقًّا ، فَأَنْبَتْنَا فِيهَا حَبًّا ، وَعَيْنَبًا وَقَضْبًا ، وَزَيْتُونًا وَنَخْلًا ، وَحَدائقَ غُلْبًا ، وَفَاكِهَةً وَأَبًّا ، مَتَاعًا لَكُمْ وَلِأَنْعَامِكُمْ] (٣) .

تأملوا من خلال هذه الآيات على شدة " فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ "، لأنه الإنسان مهما غفل وأعرض، لكن سعة دلائل الحقيقة وعالميتها لا يمكن أن تخرج عن نظره في أي حال، الإنسان يغمص عينه عن جميع الدنيا ولكنه لا يمكن أن يغمض عيونه بأي حال من الأحوال عن غذائه اليومي، لأنه إذا بقي النظر على الغذاء الملقاة أمامه كالحبة من الحطة، يجعلها على كفه ويتأمل في حلقها ونسجها و كمالها فيعرف أن

(١) سورة يونس، الآيات: ٣١ - ٣٢.

(٢) سورة المل، الآيات: ٦٠ - ٦١ - ٦٢ - ٦٣ - ٦٤.

(٣) سورة عس، الآيات: من - ٢٤ إلى ٣٤.

هناك نظاما يعمل على هذه الأشياء فيعلم حقيقة نظام الربوبية، فاذا عرف هذا فيعلم أن هناك من ينظم النظام أيضا، وذلك الناظم هو الربّ والخالق.

وفي سورة النحل برز هذا الاستدلال بطريقة أخرى وهو قوله تعالى: [وَإِنَّ لَكُمْ فِي الْأَنْعَامِ لَعِبْرَةً نُسْقِيكُمْ مِمَّا فِي بُطُونِهِ مِنْ بَيْنِ فَرْثٍ وَدَمٍ لَبَنًا خَالِصًا سَائِغًا لِلشَّارِبِينَ ، وَمِنْ ثَمَرَاتِ النَّخِيلِ وَالْأَعْنَابِ تَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكَرًا وَرِزْقًا حَسَنًا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ، وَأَوْحَى رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنْ اتَّخِذِي مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ الشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ ، ثُمَّ كُلِي مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ فَاسْلُكِي سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلًا يَخْرُجُ مِنْ بُطُونِهَا شَرَابٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ فِيهِ شِفَاءٌ لِلنَّاسِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ] (١).

وكما استدلل القرآن مرات عديدة بخلق الكون فإنه استدلل أيضا فلي أن كل شئ مخلوق في الدنيا فلا بد له خالق أيضا، هكذا يستدل بالربوبية يعني كل شئ مربوب، فلا بد له من وجود الرب أيضا، وأن الربوبية في الدنيا أمر تام بدون عيب فلا بد أن يكون الرب أيضا كاملا بدون عيب .

وكما نرى أن كل شئ في الدنيا يحتاج إلى التربية فإنه لا بد له من مرب أيضا (لأن التربية بدون مرب لا يمكن)، ولابد لهذا المربي عدم احتياجه إلى تربية نفسه وليس يوحد مثل هذا المربي إلا الله الذي هو مزره عن كل عيب، ولا يحتاج إلى تربية نفسه ولا لشئ آخر. فإن مثل هذه الخطابات التي وجدت في القرآن كما في الآيات التالية من سورة الواقعة فهي مبسطة على نفس هذا الاستدلال، قال الله تعالى: [أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَحْرُثُونَ . أَأَنْتُمْ تَزْرَعُونَهُ أَمْ نَحْنُ الزَّارِعُونَ ، لَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَاهُ حُطَامًا فَظَلْتُمْ تَفَكَّهُونَ ، إِنَّا لَمَغْرُمُونَ ، بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ ، أَفَرَأَيْتُمُ الْمَاءَ الَّذِي تَشْرَبُونَ ، أَأَنْتُمْ أَنْزَلْتُمُوهُ مِنَ الْمُزْنِ أَمْ نَحْنُ الْمُنْزِلُونَ ، لَوْ نَشَاءُ جَعَلْنَاهُ أَجَاجًا فَلَوْلَا تَشْكُرُونَ . أَفَرَأَيْتُمُ النَّارَ الَّتِي تُورُونَ ، أَأَنْتُمْ أَنْشَأْتُمْ شَجَرَتَهَا أَمْ نَحْنُ الْمُنْشِئُونَ ، نَحْنُ جَعَلْنَاهَا تَذْكِرَةً وَمَتَاعًا لِلْمُقْوِينَ] (٢).

(١) سورة النحل، الآيات: من ٦٦ - إلى ٦٩.

(٢) سورة الواقعة، الآيات: من ٦٣ - إلى ٧٣. وأنظر: تفسير أم الكتاب، لمولانا آزاد (رحمه الله). ص - ٥٤ - ٦٣.

المطلب الثالث: الاستدلال بنظام الربوبية على التوحيد.

أولاً: الاستدلال بنظام الربوبية على التوحيد:

وهكد فإنه يستدل (القرآن) بنظام الربوبية على توحيد الإله يعني "رب العلمين" الذي يربي جميع الكون، والذي أوجد الاعتراف بربوبيته في قلبك أيضاً، بأي شيء سواه يكون مستحقاً للعبادة بأن يركع رأسه تحقيقا وللعجز، قال الله تعالى: [يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ، الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ^(١)]. وكما في سورة فاطر قال تعالى: [يَا أَيُّهَا النَّاسُ اذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ هَلْ مِنْ خَالِقٍ غَيْرُ اللَّهِ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ^(٢)].

ثانياً: الاستدلال بنظام الربوبية على ضرورة الوحي والرسالة:

وهكذا يستدل القرآن بأعمال النظام الربوبية على القوانين الروحية (المعنوية)^(٣) لسعادة الانسان وشقاوته، وعلى ضرورة الوحي والرسالة، فكما أن الرب العالمين جعل نظاما كاملا لتربية الظاهري هكذا هو جعل نظاما وقانونا لسعادة الروح، فكما توجد لجسمك ضروريات الحياة هكذا الروح أيضاً تحتاج إلى الضروريات والحوائح، وإلا فكيف يمكن أن الرب الذي يربي الكون كاملا ويعطي الغداء لجميع

(١) سورة البقرة، الآيات: ٢١ - ٢٢.

(٢) سورة فاطر، الآية: ٣. وأنظر: تفسير أم الكتاب، لمولانا آزاد (رحمه الله)، ص - ٦٣ - ٦٤.

(٣) إن الانسان يحتاج أكثر من عذاء الجسد عذاء لروحه فإسبا كل صباح ومساء ليل ومهار نحتاج إلى العذاء الروحي والذي يتماير في الطعام واللون والكهنة والنتيجة والتأثير كما في عذاء الجسد، إن الروح التي هي الحمة النورية والجزء الخالد وموضع الثواب والعقاب تحتاج من الموالح والحوامض والمرارة والحلاوة من طعوم الأعدية المناسبة لها فتحتاج إلى الترهيب والترغيب وإلى الوعظ والإرشاد وإلى العبادة وإلى التفكير وإلى التأمل، وتعد حاجة الإنسان إلى السعادة حاحة ماسة وضرورية، ذلك أنه هو العنصر الوحيد الذي كرمه الله تعالى مملكة الشعور والعقل، "ولقد كرما بني آدم"، كانت السعادة أو اللذة على صريخ لديه حسية تصحب الحجاب الحسي الجسدي، وأخرى معنوية تقترب بالحجاب المعنوي الروحي لدى الإنسان يحتاج إلى انصوم والصلاة والبدل والعطاء وتحتاج إلى العلم والمعرفة وتحتاج إلى قراءة القرآن العظيم، لذا برل الوحي الإلهي ليحيى به الأرواح المنيمة وهذا هو النظام الربوبية الحسماني والروحاني. أنظر: دروس للتبشيع علي بن عمر بادحدح (١٧٩ درس)، لعلي بن عمر بن أحمد بادحدح. الناشر. قام بجمعها موقع الشبكة الإسلامية. ٤٥\٢.

الخلائق حتى الأجسام الحقيرة مثل النملة، وليس عنده أي نظام للسعادة المعنوية للإنسان وتزكية نفسه، وكما أن الأرض الماتت بسبب فقد الماء والمطر فيترل الله المطر من السماء فيحيي به الأرض بعد موتها فهكذا الإنسان لما يحرم من الهداية والسعادة فيصبح مثل الأرض الميتة فيترل الله عليه مطر الرحمة لحياته المعنوية، وهذا مطر الرحمة هو الوحي الإلهي لهداية الإنسان، فكما لا تتعجب من نزول المطر على الأراضي الميتة وإحيائها بعد موتها هكذا لا يتعجب من نزول الوحي الإلهي بأنه يظهر الوحي ليحيي به الأرواح الميتة، وهذا هو نظام الربوبية الجسماني والروحاني (المعنوي)، وفيه قال الله تعالى: [حم ، تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ . إِنَّ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِلْمُؤْمِنِينَ . وَفِي خَلْقِكُمْ وَمَا يَبُثُّ مِنْ دَابَّةٍ آيَاتٌ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ . وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ رِزْقٍ فَأَخْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَتَصْرِيفِ الرِّيَّاحِ آيَاتٌ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ . تِلْكَ آيَاتُ اللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَ اللَّهِ وَآيَاتِهِ يُؤْمِنُونَ] (١).

في سورة الأنعام ذكر الله تعالى الناس الذين يتعجبون من نزول وحي الله تعالى: [وَمَا قَدَرُوا

اللَّهُ حَقَّ قَدْرِهِ إِذْ قَالُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَى بَشَرٍ مِنْ شَيْءٍ...] (٢).

ثم بعد ذكر نزول التوراة والقرآن بدأ هذا البيان، فقال: [إِنَّ اللَّهَ فَالِقُ الْحَبِّ وَالنَّوَى يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَمُخْرِجُ الْمَيِّتِ مِنَ الْحَيِّ ذَلِكَمُ اللَّهُ فَأَنْتَ تُؤْفِكُونَ . فَالِقُ الْإِصْبَاحِ وَجَعَلَ اللَّيْلَ سَكَنًا وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ حُسْبَانًا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ . وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ النُّجُومَ لَتَهْتَدُوا بِهَا فِي ظُلُمَاتِ اللَّيْلِ وَالْبَحْرِ قَدْ فَصَّلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ] (٣).

فكل من يتعجب من نزول الوحي ليس إلا بسبب عدم التمكر في صفات الله تعالى، لأنه اذا يفكر ويعرف أنه كما توحد لتربية النملة نظام كامل هكذا يوجد نظام مستقل لتربية المعنوية وهداية الإنسان أيضاً، وهذا النظام هو قانون إلهي يترل في صورة الوحي (٤) .

ثالثاً: الاستدلال بنظام الربوبية على وجود المعاد:

هكذا يستدل القرآن بأعمال الربوبية على المعاد والآخرة، فإن الشئ كلما يخلق بالإهتمام والدقة فإنه يكون له الريادة في قيمته في الاستعمال ويكون له غاية مهمة أيضاً، فأفضل الصعة التي تكون لصاعته

(١) سورة الحاتيه. الآيات: من ١ - إلى ٦.

(٢) سورة الأنعام، الآية: ٩١.

(٣) سورة الأنعام، الآيات: ٩٥ - ٩٦ - ٩٧.

(٤) تفسير أم الكتاب، مولانا آزاد (رحمه الله). ص - ٦٤ - ٦٧.

مقاصد مهمة، فالإنسان الذي هو أفضل المخلوق على الكرة الأرضية وخلاصة سلسلة الخلق، والخالق أيضاً اهتم في خلقها حق الاهتمام فكيف يمكن أن يخلق مهملاً ليعيش أيام معدودة بدون الغرض والغاية المهمة، وبعد التدبر في هذه الأشياء يتضح بأن رب الكون الذي هو كامل في ربوبيته لم يخلق مربوبه عبثاً بدون غرض، ومن يتعمق يظهر له أن الإنسان خلق لمقاصد خاصة، كما قال تعالى: [أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ . فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ] (١). نحن ذكرنا هذه المسألة بطريقة بسيطة على طريقة خطاب القرآن، ولكن بيانه وتقريره في أسلوب البحث العلمي هو أن خلق الإنسان الذي هو آخر وأعلى خلق في سلسلة التكوين والخلق على وجه الأرض، إذا نلقي النظر في التاريخ من بداية الحياة إلى خلق الإنسان فنجد تاريخاً طويلاً في سلسلة تنميته وتنشئته، والله تعالى خلق المخلوق الأعلى على الكرة الأرضية بعد إيجاد ملايين السنين الذي تم خلقه في صورة الإنسان (٢).

تأملوا الآن في نقطة بعيدة للماضي حينما كانت الكرة الأرضية فصلت عن ملتهب الشمس لا ندري كم من مدة مضت في برودتها واعتدالها، فصار قابلاً بأن يجتمع فيها عناصر الحياة مرتبة، ثم جاء

(١) سورة المؤمنون، الآيتان: ١١٥ - ١١٦.

(٢) اختلف الفلاسفة في تولد الحيوانات وكيف كان كونها: إما الذين يرون أن العالم لا كونه له فإن كونه الحيوان عندهم من استحالة بعضه إلى بعض لأنه أحرأ العالم وكذلك يرى فيتاغورس وأما الفسمد فيرى أن الحيوان ولد من الرطوبة وأن كان يعيشه (قشر) مثل قشور السمك ولما أتت عليه السوء صارت إلى الحفاف واليس فاقترع عنها ذلك القشر وصار حياتها رماناً يسيراً وأما ديمقريطس فيرى أن الحيوانات تولدت وأن كونها من جوهر حار وأن أول ما أحيها هي الحرارة وأما اسادقليس فيرى أن لحوم الحيوان والسات لم يكن في أول الأمر دفعة واحدة لكنها شيء بعد شيء كأنها كانت أعضاء غير مؤتلفة ولا متصلة ثم صارت بعد ذلك متصلة في كونه تان في صورة التماثل وفي كونه ثالث كان بعضها في بعض وفي كونه رابع بالاحتماخ والتكاثر وكثرة العداء فهذا جملة قولهم في ظهور الحيوانات وأدم حيوان فعند بعضهم أن آدم تولد من رطوبة الأرض كما يتولد سائر الهوام وكان حلقه كقشر السمك ثم لما أتى الرمان عليه حفر وسقط عنه وعند آخر لم يظهر نكماله وأنها ظهر شيئاً بعد شيء ثم تركت واتصلت على مرور الرمان وصار إنساناً تاماً واحتل المصحوم في ذلك فمهم من يرغم أن العلك دار كذا وكذا ألف سنة فكلما دار على استقامة ظهر نوع من الخلق إلى أن دار على أتم الاستقامة وأكمل الاعتدال فظهر هذا الإنسان الذي لا شيء أكمل ولا أفضل منه. وقد أتمت الدراسات أن أول ظهور للإنسان على وجه الأرض مند مليونين وستمائة و خمسين عاماً وأطلق عليه الاسم العلمي homo erectos أي الإنسان الواف عني قدمين وأن اصل الإنسان يعود لأفريقيا ومند ذلك العهد أطلق على القارة إسم ماما أفريقيا أي أما أفريقيا، و منها إنتقل الإنسان عبر أرحاء المعمور، فاحتلّف لونه حسب طبيعة البيئة التي عاش بها. أنظر: البدء، والتاريخ، للمطهر بن طاهر المقدسي. ط: مكتبة الثقافة الدينية، نور سعيد. ٧٤/٢.

الوقت الذي تم وضع أساس التنشئة على سطح الكرة ، ثم لا ندري متى وجدت أول نسمة للحياة على سطحها الذي يعبر عنها بـ (Protoplasm)^(١) ، ثم بدأ الدور الثاني لتطور الحياة العضوية ولا نعرف كم مدة مضت عليها حيث تطور من البسيط إلى المركب، وتعدى منازل التطور من الدرجة الأدنى إلى الأعلى حتى ظهرت السلسلة البدائية للحيوانات، ثم صارت ملايين السنين في ارتفاع سلسلة الارتقاء إلى صورة الإنسان، ثم لما ظهر الإنسان في بئانه الجسدي بدأت مرحلة الارتقاء الذهني وأيضاً مضت عليها مدة طويلة، وأخيراً بعد مضي آلاف السنين من الارتقاء الذهني والاجتماعي ظهر الإنسان في صورة كيان العاقل والمتمدن في العهد التاريخي على كرة الأرض، والغرض من ذكر جميع المراحل التي مضت من وجود الأرض إلى تكميل الرجل المتمدن فإنه تاريخ ولادة الإنسان وكما لها^(٢).

(١) البروتوبلازم (Protoplasm) هي المادة الحية الناعقة التعقيد التي خلقها الله للقيام بمظاهر الحياة المحتلقة في حلية الحيوان أو النبات ، وهو مركب من عدة مواد منها الماء والأملاح وغيرها من المواد العضوية. ويختلف تركيب البروتوبلازم من حيوان لآخر بل إنه يختلف في تركيبه الكيميائي وصفاته الفسيولوجية والبيولوجية في نفس الحيوان من عضو لآخر. ولكن توحد مكونات أساسية تتواجد في كل أنواع البروتوبلازم . والبروتوبلازم مادة شفافة ، لينة ، يعلب عليها اللون الرمادي وخواصه الطبيعية توصف بعدة أوصاف ؛ فهو محب أو عروي أو مستحلب أو قد يرى فيه حيوط وألياف ، والنواقع أن أغلب هذه الاختلافات تظهر نتيجة لطريقة ووقت أخذ البروتوبلازم وتجهيزه للفحص ، لأن البروتوبلازم في أي كائن حي يكون عرضة للتغير المستمر كنتيجة لقيامه بعدة عمليات حيوية مستمر كعمليات إنتاج الطاقة والتمثيل التي تجري طوال حياة الحيوان ، فيما عدا ساء الأسسحة التي تتم في أوقات مكررة من عمر الحيوان . انظر : [An Introduction To Cytology] (مقدمة لعلم الخلايا)، لشارب، ليستر ديليو (by Sharp, Lester W.). الناشر: شركة ماكغرو هيل بوك كوماني (McGraw Book Company Inc. Hill). ص: ٢٥.

(٢) حاول الإنسان منذ القدم معرفة أسرار النشأة الأولى للكون، وعجز عن التوصل إلى نتيجة تمكنه من معرفة هذه البداية، فطل الناس يتحطون في الطريقات والاستساطات العقلية المحصنة، ونتيجة لخصيلة جهد الإنسان عبر آلاف السنين، تطورت المعارف والعلوم والتقنيات والوسائل التي ابتكرها الإنسان حتى وصل إلى مرحلة يمكن فيها التدليل على نظريات العلم التي أثبتت التجارب والأرصاد الفلكية صحة بعضها، أو حرء منها على الأقل، بل يمكن أن نخل نظرية نخل أخرى تصحيحاً لها واستكمالاً لمحتواها، وقد بررت في علم الكوايات نظريتان: النظرية الأولى نظرية الأثرية: تفترض أن الكون موجوداً منذ الأزل وإن تستت المادة الناجم عن التمدد المرصود للكون يعوض بالخلق المستمر لمادته. والنظرية الثانية نظرية الانفجار العظيم: تفترض أن الكون بدأ انطلاقاً من حالة ابتدائية حارّة وكثافتها من التمدد خبت لم تسمح بوجود أي شيء خلا الإشتعاع والحسيمات الأولية، وبعد ذلك تمدد الكون وبرد محملاً بالسحب والمنحدرات .

لكن من الأمور المتفق عليها أن كل شيء له علة توحيده، أو صانع يصنعه، فإذا نظر الإنسان إلى الكون واستعرض ما فيه من كائنات حصل له علم ضروري بأن هذه الكائنات لم توجد صدفة، بل لاند لها من موحد أو حدها، وهذه الفطرة السليمة هي التي فطر الله الناس عليها. ونحن يؤمن بأن الخالق - سبحانه وتعالى - هو خالق كل شيء، والوكيل عليه، وقد حرج هذا الكون

فعلم من هذا أن الإنسان الذي خلق أولاً ثم نشأ وتطور بهذا الإهتمام ومضى بمراحل عديدة مختلفة، فإنهما خلق فقط لأن يعيش أياما عديدة ثم يفنى، قال تعالى [فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ] (١)، وعلم مما تقدم بأنه في الماضي انقرضت صور عديدة وظهرت حياة جديدة مكانها فإذا كان هذا ليس بأمر غريب، فكيف تتعجبون من أن حياتنا هذه لا تنتهي بالموت كاملا بل توجد بعد ذلك حياة أخرى أيضاً التي يقال لها حياة أخروية، وليس هذا بأمر غريب كما ذكرنا في نشأة حياة الإنسان وتطورها، يقول الله تعالى: [أَيُخْسَبُ الْإِنْسَانُ أَنْ يُتْرَكَ سُدًى. أَلَمْ يَكُنْ نُطْفَةً مِنْ مَنِيٍّ يُمْنَى. ثُمَّ كَانَ عُلْقَةً فَخُلِقَ فَسَوَى] (٢)، في سورة الذاريات ذكر بيان الجزاء (الدين) والحساب كاملا، قال تعالى: [إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَصَادِقٍ. وَإِنَّ الدِّينَ لَوَاقِعٌ] (٣)، ثم استدلل عليه بمؤثرات أعمال الربوبية، مثل الماء وهبوب الرياح فيقول: [وَالذَّارِيَاتِ ذُرْوًا، فَالْحَامِلَاتِ وِقْرًا، فَالْجَارِيَاتِ يُسْرًا، فَالْمُقَسَّمَاتِ أَمْرًا] (٤)، ثم ركز على نعم السماء والأرض وبشهادات داخلية في نفس الإنسان فيقول: [وَفِي الْأَرْضِ آيَاتٌ لِلْمُوقِنِينَ، وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ، وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ] (٥)، ثم قال: [فَوَرَبِّ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ لَحَقٌّ مِثْلَ مَا أَنَّكُمْ تَنْطِقُونَ] (٦)، في هذه الآية أقسم الله تعالى بذاته على إثبات الجزاء، وعبر عن داته

إلى الوجود بكلمة واحدة هي (كُنْ) قال تعالى: [بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ] (سورة البقرة، آية: ١١٧)، والقرآن الكريم يخبرنا عن أمر عيني في بداية الخلق. وهو أن الأرض كانت جزءاً من السماء، وأهما كانتا أصلاً واحداً، ففصل الله بينهما، قال تعالى: [أَوَلَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا وَحَغَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيًّا أَفَلَا يُؤْمِنُونَ] (سورة الأنبياء، الآية: ٣٠). وحلاصة الأمر أن علم الكونيات استقر على هذه النظرية التي صمدت أمام جميع الاحتجارات إلى وقتنا الحاضر. وحطيت بالقول الواسع في تفسير بدء خلق الكون، ونفي أركيته وتقرير أنه حادث، فهي أقرب إلى ظاهر المعنى القرآني، وأقرب إلى تفسير النصوص القرآنية والأحاديث السوية، وقد يأتي العلم بنظرية أكثر قرباً تبعاً على فهم تلك النصوص فأحد ما من باب التفسير العلمي للقرآن. أنظر: حَلَقُ الْكَوْنِ مِنَ الْعَدَمِ فِي صَوِّ الدِّرَاسَاتِ الفَلَكِيَّةِ، د/ رياض عيدروس عبد الله. مراجعة: د/ قسطنطين إبراهيم العيمي. الناشر: مركز النحت - جامعة الإيمان. ص: ٣٦-٦٥.

(١) سورة المؤمنون، الآية: ١١٦.

(٢) سورة القيامة، الآيات: ٣٦ - ٣٧ - ٣٨.

(٣) سورة الذاريات، الآية: ٥ - ٦.

(٤) سورة الذاريات، الآيات: ١ - ٢ - ٣.

(٥) سورة الذاريات، الآيات: ٢٠ - ١٢ - ٢٢.

(٦) سورة الذاريات، الآية: ٢٣.

بلفظ "الرَّب"، والمراد بالقسم هو إثبات الشيء بشئ آخر أو الإشهاد على الشيء بشئ آخر، فالغرض منه أن الربوبية الرب يشهد على أنه حق .

هنا يشير المؤلف إلى أسلوب القرآن البياني فيقول : القرآن أحياناً يختار الأسلوب الذي يفهم منه الدليل و الاستشهاد وأحياناً يؤكد على مسألة خاصة وفي أثناء البيان يذكر اللفظ الذي يدل على المدعى ويوجه المخاطب إلى ذلك الاستشهاد، ومن تلك الاماكن صفة الربوبية التي يستعملها القرآن كثيراً، فكما يظهر من كلمة الرب صفة الربوبية فكذلك يثبت منها بأنه مستحق للعبادة وحده دون الغير . فجميع المقدمات القرآنية الذي توجد فيه مثل هذه الخطابات : ١ - [يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ] (١). ٢ - [اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمُ] (٢). ٣ - [إِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُم فَاعْبُدُوهُ] (٣). ٤ - [ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُم فَاعْبُدُوهُ] (٤). ٥ - [إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُم فَاعْبُدُونِ] (٥). ٦ - [قُلْ أَتَحَاجُّونَنَا فِي اللَّهِ وَهُوَ رَبُّنَا وَرَبُّكُمُ] (٦)، وغيرها من الآيات القرآنية. ولا يفهم منها مجرد أمر وخطاب بل هي خطابات ودليل أيضاً، لأن لفظ الرب يرشد إلى سبقه إلى برهان الربوبية (٧).

(١) سورة البقرة، الآية: ٢١.

(٢) سورة المائدة، الآية: ٧٢.

(٣) سورة آل عمران، الآية: ٥١.

(٤) سورة يونس، الآية: ٣.

(٥) سورة الأسماء، الآية: ٩٢.

(٦) سورة البقرة، الآية: ١٣٩.

(٧) أنظر: أم الكتاب مولانا آزاد. ص: ٧٢ .

الفصل الثاني : مظاهر الرحمة الإلهية في الكون، وحقبة اختلاف

الشرائع. ويشتمل على أربعة مباحث وهي كالتالي :

المبحث الأول : مظاهر الرحمة في الكون، وقانون بقاء الأنفع.

المبحث الثاني : التدرج والإمهال، والحكمة في تغيير الأيام.

المبحث الثالث : برهان الرحمة والاستدلال به في قضايا الفصل

بين الحق والباطل.

المبحث الرابع : تصور العقائد الإسلامية وحقبة اختلاف

الشرائع.

المبحث الأول : مظاهر الرحمة في الكون، وقانون بقاء الأنفع.
ويشتمل على مطلبين :
المطلب الأول : مفهوم الرحمة، ومظاهرها في الكون.
المطلب الثاني : الجمال الفطري والمعنوي، وقانون بقاء
الأنفع.

المطلب الأول: مفهوم الرحمة، ومظاهرها في الكون.

مفهوم الرحمة وحقيقتها:

"الرحمن و الرحيم" كلاهما من الرحمة ويقال الرحمة في اللغة العربية لتلك العواطف الباعمة التي تحرك إرادة الشفقة والإحسان بشدة لوجود شيء آخر، فيدخل في الرحمة مفهوم المحبة والشفقة والفصل والإحسان، ومجرد المحبة أيضا أوسع وأكمل من اللطف والفضل، فاسم "الرحمن" و"الرحيم" وإن كان من الرحمة ولكنهما يبرزان جانبان مختلفان للرحمة، في اللغة العربية باب فعلا ن يستعمل للصفات العارضة والمحضة مثل للعاطش "عطشان"، وللغاضب "غضبان"، للمتحير "حيران"، وللمسكر "سكران". هذه كلها صفات مؤقتة التي يزيل بعد مدة^(١).

ولكن باب فعيل يستعمل للصفات القائمة^(٢)، وهذا من حاصية هذا الورد مثل: (كريم، عظيم، عليم، حكيم) وغير ذلك، فمعنى الرحمن الذات التي فيه صفة الرحمة ومعنى الرحيم الذات التي يظهر منها الرحمة دائما ويستعيد منها الخلق في الكون كل لحظة .

وعبر عن الرحمة باسمين مختلفين، لأن التصور الذي يقدمه القرآن حول مفهوم الإله فإن صفة الرحمة فيه أوضح وأرفع. بل في كل شيء توجد الرحمة، لأن الله تعالى يقول: [وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ]^(٣). ولذا كان من المهم أن يوضح طرفيها الوصفي والفعلي وهما "الرحمن" باعتبار وصف الرحمة و"الرحيم" باعتبار فعل الرحمة بحيث يظهر منه الرحمة دائما .

مظاهر الرحمة الإلهية في عمارة الكون:

لما نفكر في أعمال الكون ومظاهره فقبل كل شيء يظهر أمامنا نظام ربوبية الله تعالى، لأننا نعرف الإله بربوبيته ولكن لما نقدم في سبيل العلم والمعرفة فنرى أنه توجد هناك حقيقة أخرى التي هي أوسع

(١) سطر: امعي في تصنيف الأفعال، محمد بن عبد الخالق بن علي بن عصيمة. ص. دار احديث- القاهرة (١٩٩٩م).

٥٦\١.

(٢) المصدر السابق، ص: ٤٦.

٣ - سورة الأعراف، الآية: ١٥٦.

وأعم من الربوبية، بل الربوبية أيضا جزء منها وهي الرحمة، وليست الربوبية ونظامها إلا تربية الكون ولكس دون التربية هناك توجد حقيقة أخرى التي تعمل وتميد في عمارة الكون وتزيينه، فالقرآن يقول بأن هذه الحقيقة هي "الرحمة" التي أوسع وأعم من الربوبية في عمارة الكون وتحسينه، والرحمة في الحقيقة مظهر لرحمانية خالق الكون ورحيمته^(١).

عمارة الكون وحسنها نتيجة لرحمة الإلهية:

في جميع أشياء الكون توجد خاصية العمارة والتحسين وكل شئ صالح ونافع في الكون، وهذا من خاصية فطرة الكون أن تكون هناك العمارة ولا يكون الفساد، وأن يكون كل شئ سليم ولا يوجد الخراب .

لماذا توجد هذه الخاصية في فطرة الكون بأن يكون كل شئ نافع وصالح ولا يكون الفساد ولا الخراب ؟ لا يحل هذه اللغز علم الإنسان ومعرفته، حتى اصحاب النظر والفلسفة أيضا فشلوا في حل هذه اللغز، ولكن القرآن حله بأن هذه العمارة والحسن حصل بسبب الرحمة، لأن في فطرة الكون توجد الرحمة، والرحمة تقتضي العمارة والتحسين لا الفساد والخراب. وعلم من جهد الإنسان في سبيل العلم والمعرفة أن عمارة الكون وتحسينه نتيجة لتركيب العناصر واعتدال تركيبه وتسويته، وهذا الاعتدال يوجد في كمية مادة العالم وكيفيتها، وبسببه يخلق كل شئ بالجدة والكمال، وكان هذا الاعتدال أصل لجميع الحقائق الإيجابية والصناعية في الكون فأسمائه كثيرة كالوجود، الحسن، الحياة، الصحة، العمارة ولكن الحقيقة واحدة وهي الاعتدال .

ثم تخير الإنسان وتعجب بأنه لماذا يوجد التناسب والاعتدال في الكون حيث لا يتجاوز شئ عن حده. فيقول القرآن^(٢) بأن في طبيعة الكون توجد الرحمة ومقتضى الرحمة وجود الجودة والصالح .

وكما عرفنا أن العمارة والتحسين من خاصية طبيعة الكون، فخاصية العمارة تريد الصناعة، وخاصية التحسين تحتاج إلى خلق كل شئ بالجودة والكمال، وكلا الخاصيتين توجدان بسبب قانون الضرورة، لأن العمارة ضرورة لظهور الكون وكماله، وضرورة العمارة تقتضي أن يعمر الكون بالحسن والكمال فهذه الضرورة أصحت غلة لما يخلق أي شئ في الكون يجعل كما هو ضروري أن يخلق .

(١) تفسير أم الكتاب لمولانا آزاد ص ٧٣-٧٤

(٢) [قُلْ مَنْ مَّا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلْ لِلَّهِ كُتِبَ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةُ] (سورة الأعمام، الآية: ١٢).

وتوجد في أشياء ضرورية هناك تحمل وصفا زائدا أيضا، وهو وصف الحسن والجمال وهذا الجمال هو لطف زائد واحسان من جانب الفطرة لأن هذا زائد من قانون الضرورة، فعلم أن هذه الضرورة هي ضرورة الرحمة التي تقتضي أن يجعل كل شئ حسب مقتضى الضرورة، قال الله تعالى: [قُلْ لِمَنْ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلْ لِلَّهِ كَتَبَ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةُ] (١) (٢) .

الإفادة ومنافع الطبيعة:

بهذه المناسبة (بأن كل شئ نافع في الكون) فإن الحقيقة الأولى التي تتضح أمامنا هي إفادة جميع أشياء الكون ونفعها، لأننا نرى أن جميع أمور الفطرة مع وجود النظم الكامل توجد فيها خاصية الإفادة والنفع أيضا، وإذا ينظر بنظرة العامة يدوا كأن جميع أشياء الكون خلق لقضاء حاجاتنا ومصالحنا فحسب، كما قال الله تبارك وتعالى: [وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مِنْهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ] (٣) .

ونتيجة للتفكير في أشياء الكون يظهر لنا أن كل شئ من موجودات الكون له أهمية خاصة ولكل حادثة تأثير خاص، ونحن نرى أيضا بأن كلا منها يقضى بعض حاجاتنا وكل شئ فيه فائدة خاصة لنا، مثل الشمس، والقمر، والكواكب والهواء، والمطر، والأهبار والجبال كل منها له فوائد خاصة التي ستفيد منها بطرق مختلفة، كما قال الله تعالى: [اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْفُلْكَ لِتَجْرِيَ فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْأَنْهَارَ (٣٢) وَسَخَّرَ لَكُمُ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ دَاتَيْنِ وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ (٣٣) وَأَتَاكُم مِّنْ كُلِّ مَّاءٍ سَائِلِثُمُوهُ وَإِنْ تَعَدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تَحْصُوهَا إِنَّ الْإِنْسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارًا] (٤) .

^١ - سورة الأنعام، الآية: ١٢ .

^(٢) تفسير أم الكتاب لمولانا آزاد ص ٧٥-٧٧ .

^٣ - سورة الحاثية، الآية: ١٣ .

^٤ - سورة إبراهيم: الآيات من ٣٢ إلى ٣٤ .

انظر إلى الأرض فإن سطحها محملة بالفواكه والأرهار مختلفة، تجري من تحتها أنهار المياه العذبة، ومن عمقها يخرج الذهب والفضة، وعلى الرغم من أنها مدورة^(١) ولكن كل جزء منها يبدو كأنه فرش ممدد، كما قال الله تعالى :

١- [الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ مَهْدًا وَجَعَلَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ]^(٢).

٢- [وَهُوَ الَّذِي مَدَّ الْأَرْضَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْهَارًا وَمِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ جَعَلَ فِيهَا رُجُومًا ثَنِينًا يَغْشَى اللَّيْلُ النَّهَارَ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ] (٣) وَفِي الْأَرْضِ قِطْعٌ مُتَجَاوِرَاتٌ وَجَنَاتٌ مِنْ أُغْنَابٍ وَزُرُوعٌ وَنَخِيلٌ صِنْوَانٌ وَغَيْرُ صِنْوَانٍ يُسْقَى بِمَاءٍ وَاحِدٍ وَنُفِضِلَ بَعْضُهَا عَلَى بَعْضٍ فِي الْأَكْلِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ]^(٤). ٣- [وَلَقَدْ مَكَّنَّاكُمْ فِي الْأَرْضِ وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَايِشَ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ]^(٥).

وانظر إلى البحر تسبح السفن على سطحها، وتطفوا الأسماك من تحته، ومن قعره يخلق اللؤلؤ والمرجان، قال تعالى:

(١) إن الذي تحصل من كلام الفلاسفة وحلة العلماء وأهل النظر في علم الهيئة أن الأرض مدورة كندوير الكرة والماء لاصق بها وراكد عليها ركوداً طبعياً لا يفارقها والأرض والماء مستقران في حواف الفلك كالمح في حواف البصة ووضعها متوسط والسبب محيطهما من جميع جهاتهما وهو لهما حاد إلى جهة الفلك أو دافع لهما والفلك محيطهما، تدور على قطبين. أحدهما يدعى القطب الشمالي، والآخر القطب الجنوبي. وكل كرة إذا رسمت عليها دائرتين كبيرتين تقطعان بعضهما في زاوية قائمة، قسمت تلك الدائرتان الكرة إلى أربعة أقسام. كذلك الأرض مقسمة إلى أربعة أقسام بدائرتين: تدعى إحداهما دائرة الآفاق والأخرى حط الاستواء. أما دائرة الآفاق فإنها تبدأ من المشرق وتنتهي إلى نهاية العمارة وتتم في القطب الجنوبي، فتقطع ناحية المغرب لتعود إلى المشرق مرة أخرى. وهذه الدائرة هي التي تفصل النصف الظاهر العامر من الأرض عن النصف الآخر المحجوب الذي تحتها. وحط الاستواء هو الدائرة التي تخرج من حدود المشرق وتتم من وسط الأرض على أبعد مكان من القطبين حتى تصل إلى المغرب وتستمر حتى تعود إلى المشرق مرة أخرى. وتقع العمارة في الربع الشمالي من النصف المتصل بحط الاستواء. كما يوجد بعضها في الربع الجنوبي من هذا النصف متصل بحط الاستواء. ومساحة هذه العمارة الواقعة في الشمال هي عرض ٦٣ درجة وبطول ١٨٠ درجة. برهة المشتاق في احتراق الآفاق، لمحمد بن إدريس الطائي، المعروف بالشرير الإدريسي. ط: عالم الكتب، بيروت. ٧٨١.

٢ - سورة الزحرف، الآية: ١٠.

٣ - سورة الزعد، الآيتان: ٣ - ٤.

٤ - سورة الأعراف، الآية: ١٠.

[وَهُوَ الَّذِي سَخَّرَ الْبَحْرَ لِتَأْكُلُوا مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُوا مِنْهُ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى الْفُلْكَ مَوَاجِرَ فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلِعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ] ^(١).

انظر إلى الحيوانات البرية كذوات القوائم الأربع، وطيور السماء، وإلى أسماك الماء خلقت كلها لتتغنا، لحمها ولبنها للغذاء، وظهرها للركوب، وحلدها وصوفها للكساء، قال الله تعالى: [وَالْأَنْعَامَ خَلَقَهَا لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنَافِعُ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ (٥) وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ (٦) وَتَحْمِلُ أَثْقَالَكُمْ إِلَىٰ بَلَدٍ لَّمْ تَكُونُوا بِالْغِيَةِ إِلَّا بِشِقِّ الْأَنْفُسِ إِنَّ رَبَّكُمْ لَرءُوفٌ رَّحِيمٌ (٧) وَالْخَيْلَ وَالْبِغَالَ وَالْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ] ^(٢). [وَإِنَّ لَكُمْ فِي الْأَنْعَامِ لَعِبْرَةً نُّسْقِيكُم مِّمَّا فِي بُطُونِهِ مِنْ بَيْنِ فَرْثٍ وَدَمٍ لَبَنًا خَالِصًا سَائِغًا لِلشَّارِبِينَ] ^(٣).

[وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ بُيُوتِكُمْ سَكَنًا وَجَعَلَ لَكُمْ مِنْ جُلُودِ الْأَنْعَامِ بُيُوتًا تَسْتَخِفُّونَهَا يَوْمَ ظَعْنِكُمْ وَيَوْمَ إِقَامَتِكُمْ وَمِنْ أَصْوَابِهَا وَأَوْبَارِهَا وَأَشْعَارِهَا أَثَاءًا وَمَتَاعًا إِلَىٰ حِينٍ] ^(٤).

الإنسان وإن كان يعيش الحياة غير المتحضرة لكن لا يمكن أن يغفل عن هذه الحقيقة بأن بيئته ومحيطه يستفيد كاملاً حتى الحاطب الذي يسكن في الغابة أيضاً يحس هذه الحقيقة هو يستعمل أعتاب العابة للمرض، ويستفيد من أشجارها في الظل وأحياناً يستعملها للغذاء حيث يأكل من فواكه ويستفيد من حبشها للوقود لطبخ به الطعام ويستعمله للدفاً وغير ذلك من الأمور الكثيرة، كما قال الله تعالى: [الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ مِنَ الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَا أَنْتُمْ مِنْهُ تُوقِدُونَ] ^(٥).

ثم أنتم تشعرون بحصول هذه الفوائد ولكنكم لا تعرفون أن الله تبارك وتعالى خلق هذه الأشياء لأي المصلحة والأمور الهامة ولها أي دور في إيجاد الكون وتحسينه، كما قال عز وجل: [وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ] ^(٦).

يستفيد بهذه الأشياء كل مخلوق في آن واحد على حد سواء حتى الشخص الذي يسكن في قصره يظل بأن جميع أشياء الكون خلق لنفعه فقط، والنملة التي تسكن في جحرها تحس بأن كل هذه الأشياء

^١ - سورة الحل، الآية: ١٤.

^٢ - سورة الحل، الآيات: من ٥ إلى ٨.

^٣ - سورة النحل، الآية: ٦٦.

^٤ - سورة الحل، الآية: ٨٠.

^٥ - سورة يس، الآية: ٨٠.

^٦ - سورة المدثر، الآية: ٣١.

لنفعها فقط وهذه هي الحقيقة أيضا، لأن الشمس يستفيدان من حرارتها كلاهما (الإنسان والنملة) والمطر يستفيدان من رطوبته كلاهما، هكذا الأرض كما يستفيد منها الإنسان تستفيد منها النملة وسائر الحيوانات مكانا ومترلا حسب الحر والأحوال .

وهذا في الحقيقة قانون فطرة الخالق بأنه يرعى جميع المخلوقات تحت نظام واحد بطريقة واحدة حتى يحس كل مخلوق أن جميع نظام الكون وموجوداته لإفادته ونفعه فقط، قال الله تعالى: [وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّا أُمَمٌ أَمْثَالُكُمْ].^(١)

تدمير الكون أيضا لبناء الكون وتحسينه:

والحقيقة بأن في هذا العالم مع العمارة والبناء يوحد التدمير والتخريب أيضا لكن هذا التدمير أو التخريب نحن وجد لبناء الكون وتحسينه، ممكن أن نعرف هذه الحقيقة بمثال وهو أن الإنسان إذا بني بيتا أو مكانا فيكسر الأشياء على سبيل المثال: نأخذ الصخرة ثم نكسرها ونستعملها في بناء البيت، هكذا نقطع الأشجار ثم نصنع منها الابواب والشبابيك، هكذا نستعمل تلك الأشجار في بناء سقف البيت وغير ذلك

هكذا هو حال فطرة خالق الكون فهو دائما يزيل النقص والفساد لعمارة الكون وحفظه من الفساد، فبعض الأوقات نرى هذه الأنشطة والعملية بأنها التخريب ولكن في الحقيقة ليس أي تدمير ولا فساد سوى العمارة، فالارتفاعات المفاجئة في البحر وسيلان الأمهار، نزول الثلج في الشتاء، نزول المطر والرياح الشديدة في الحقيقة كل هذه الأشياء مناظر مخيفة ولكنكم لا تعرفون أن كل لابد منها لعمارة الكون وتحسينه. وإلى جميع هذه الحقائق أشار الخالق في كلامه كما قال في سورة الروم: [وَمِنْ آيَاتِهِ يُرِيكُمُ الْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنَزِّلُ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَيُخْجِي بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ]^(٢).^(٣)

^١ - سورة الأنعام، الآية: ٣٨ وتفسير أم الكتاب لمولانا آزاد ص ٧٧-٨٥.

^٢ - سورة الروم، الآية: ٢٤

^(٣) أم الكتاب، ص: ٨٥-٨٧.

المطلب الثاني: الجمال الفطري والمعنوي، وقانون بقاء الأنفع.

جمال الفطري أو الطبيعي:

لكن العطاء الأكبر من إفادة ونفع الفطرة هو حسنها وجمالها العالمي، فإن الفطرة لا يخلق الأشياء فحسب بل يخلق بالحسن والجمال، فإذا تنظر إلى موجودات الكون فيظهر لك بأن جميع الأشياء في الكون من نظام الكواكب ودوران القمر، ضوء الشمس وجو المطر ومتغيراته، هكذا مشهد البحر وجري الأنهار، أجسام الحيوانات وتنوعها، هكذا مناظر الصباح والمساء، الغرض بأن في جميع الأشياء تتجلى الحسن والجمال، وهذه الأشياء لسرور النظر وراحة القلب والروح، وكما الفطرة جعل لبناء الكون عناصر مادية كذا خلق لتحسينه وتزيينه العناصر المعنوية فالضوء والألوان المختلفة، العطر والغناء عناصر معنوية لتزيين الكون وتحسينه، قال الله تعالى: [صُنِعَ اللَّهُ الَّذِي أَتَقَنَ كُلَّ شَيْءٍ] ^(١). [ذَلِكَ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ (٦) الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ] ^(٢).

أغنية البلبل وضوضاء الطيور:

هناك بعض الأشياء التي لا نرى فيها أي إفادة للحسن والجمال ولكن لها أيضا حظ في تزيين الكون وتحسينه مثل أصوات الطيور وتغريدها، أغنية العندليب (بلبل) وصوت العراب، وبمجموعة هذه الأصوات المختلفة تخلق كيفية الموسيقى في الكون، وفي الكون وحود صوت الغراب مع الصوت الحلو للعندليب فيه إشارة إلى امتزاج الموسيقى الذي يتكون من الأصوات والأغاني المختلفة، وهذه الطيور مع هذه الأصوات تسبح لله تعالى، كما قال الله تعالى: [تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَاوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا] ^(٣).

وكما عرفنا أنه مع العمارة في الكون فإنه يوجد التزيين والتحسين أيضا، ولكن لماذا يوحد هذا الجمال مع عمارة الكون؟ لا يستطيع الإنسان أن يجيب عن هذا السؤال لكن القرآن يقول بأن خالق الكون هو (الرحمن والرحيم) ففيه توحد صفة الرحمة وتظهر منه. والرحمة تقتضي أن يخلق كل شيء

(١) سورة النمل، الآية: ٣٣.

(٢) سورة السجدة، الآيتان: ٦ - ٧.

(٣) سورة الإسراء، الآية: ٤٤.

بالحسن والجمال لأنها تجعل حلاوة للقلب، سروراً ر للآدان، وراحة للروح، فاذا عرف الإنسان هذه الحقيقة، يقول فحاة: [فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ] ^(١).

إعطاء الراحة والسرور من جانب الفطرة وكفران الإنسان:

بسبب التركيز على حياة الظاهر أهملنا عن التفكير عن الإغاثة الطبيعية حتى بعض الأوقات بكفر بأنعم الله تعالى، لكن تدبروا إذا زال هذا الحسن والجمال من موجودات الكون فيصبح هذا الكون مخيفاً غير قابل للعيش والحياة. ولما فقدت صفة الرحمة من الكون وبقيت صفة الخلق فقط فليس يمكن في الكون إفادة الفضل والاحسان من جانب خالق الكون، كما قال الله: [أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُنِيرٍ] ^(٢).

وكما أنه من المعلوم أن النعمة تعرف قيمتها عند زوالها، فعندنا توجد هذه الأشياء كالشمس، والماء، والطيور، والحيوانات، والغرض بأن جميع الأشياء التي تفيدنا في الحياة وجوده لكن لا نشكر عليها لكن إن فقدت هذه النعم فتأسف عليها (هكذا جميع نعم الجسد الإنسان مثل اليدين الرجلين والأذنين والعينين والأنف، والعم... فجميع النعم إذا فقد منها شيء فتأسف، ولكن عند وجودها لا نتدبر فيه ولا نشكر على هذه النعم. قال الله تعالى: [وَأَتَاكُمْ مِنْ كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ وَإِنْ تَعْدُوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تَحْصُوهَا إِنَّ الْإِنْسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارًا] ^(٣).

(١) سورة المؤمنون، الآية: ١٤.

(٢) سورة لقمان، الآية، ٢٠.

(٣) سورة إبراهيم، الآية: ٣٤ وتفسير أم الكتاب لمولانا آزاد ص ٨٧-٩٤.

الجمال المعنوي: (١)

وكما زين الله تعالى جسم الإنسان ظاهراً هكذا زينه وحسه بالجمال المعنوي، والمراد بالجمال الظاهري هو التناسب بين أعضاء الإنسان وجوارحه بأن يكون تكوين الجسم كاملاً وجميلاً .
وأما الجمال المعنوي هو الاعتدال بين كيفية الشيء وبين القوى الباطنية وبهذا الاعتدال في الكيفية توجد الخواص والفوائد وتنهض به قوة الإحساس والإدراك في الحيوانات ثم إذا وصل إلى الدرجة الإنسانية فيشرق فيه مصباح العقل والفكر، كما قال الله تعالى : [وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ] (٢) .

ثم في جميع حيوانات الكون توجد قوة الإحساس والإدراك حتى النملة وإن كان حجم دماغها ليس أكثر من إبرة ولكن فيها أيضاً توجد قوة الإحساس والإدراك، وعندها ترتيب وتناسب في الأعمال بالنظم والضبط، ولها قوة باطنية في سبيل الصنعة والاختراع، فجميع هذه الأنظمة نتيجة لرحمة الله تعالى، والرحمة مقتضية للحس والجمال، فكما زين الكون بجمال الفطري الظاهري هكذا حسنه بالجمال المعنوي، كما قال الله تعالى : [ذَلِكَ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ] (٦) الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنْسَانِ مِنْ طِينٍ (٧) ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ مَاءٍ مَهِينٍ (٨) ثُمَّ سَوَّاهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِنْ رُوحِهِ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلًا مَا تَشْكُرُونَ] (٣) .

(١) الجمال على نوعين: الجمال المادي (الظاهري). هو الجمال الحسي المدرك بخواس الإنسان من جمال في الطبيعة أو الشر أو الأشياء الأخرى التي يمكن رؤيتها والتحقق منها مادياً، وفي تناسق الأشياء وتنظيمها كما يعثرها بعض الفلاسفة من أشكال الجمال المادي. والجمال المعنوي، يعتبر الجمال المعنوي ذا معنى أعمق وأشمل من الجمال المادي وتعددته أكثر فهو يحمل في معانيه معان سامية مثل الأخلاق والقيم والصدق وكثير من الأشياء الأخرى وديمومته أكثر من الجمال المادي السحت. مثال ذلك أن للجمال البدي في حسان النساء مقاييس وموارير لتناسب الأعضاء بعضها مع بعض يمكن صطنها، والعدل في الحكم سنها، وأما الجمال المعنوي - وهو حفة الروح وسلطان التأثير في القلوب - فليس له مقياس ولا ميزان عشري يسطر به وره أو مساحته فيعرف الراح من المرحوح، وإنما يعرف هذا الجمال الأعلى ملكة نفسية، لا تأوران صناعية. كما قال الطبيب في الخيل:

إد، لم تشاهد غير حسن شياها وأعضائها فاحس علك معيب أنظر: تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار)، محمد رشيد رضا.

ط: الهيئة المصرية العامة للكتاب. ٧٦\١٢.

(٢) سورة النحل، الآية: ٧٨ .

(٣) سورة السجدة، الآيات من ٦ إلى ٩ .

قانون بقاء الأنفع:

لا يمكن بقاء العمارة والجمال في الكون بدون وجود القوة لبقاء الخير وإزالة الخراب، وتسمى هذه القوة باسم قانون "بقاء الأنفع"^(١) الذي يبحث في جميع الكون عن الأشياء فيبقى الأشياء المفيدة ويزيل الأشياء الفاسدة .

نحن نسمي هذا القانون باسم "بقاء الأصلح" لكن القرآن يعبر عنه باسم "بقاء الأنفع" بدل "الأصلح"، ومعناه أن يبقى في الكون الشيء الذي يكون نافعا للناس، لأن في الكون تعمل الرحمة ومقتضى الرحمة الإفادة والنفع للناس، لأن الرحمة لا تجلب الفساد والنقصان، وكما يلقي الذهب في النار فيحرق المغوش ويبقى الذهب الخالص لوجود النفع فيه، هكذا قانون بقاء الانفع أو الأصلح يزيل الأشياء الفاسدة ويبقى النافعة والمفيدة، قال الله تعالى: [أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌ بِقَدَرِهَا فَاحْتَمَلَ السَّيْلُ زَبَدًا رَابِيًا وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيْهِ فِي النَّارِ ابْتِغَاءَ حِلْيَةٍ أَوْ مَتَاعٍ زَبَدٌ مِثْلُه كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْحَقَّ وَالْبَاطِلَ فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً وَأَمَّا مَا يَنْفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الْأَرْضِ] ^(٢) ^(٣) .

(١) أن النافع هو الذي سيقى، والصار هو الذي سيسح ويذهب جفاءً، إنه قانون الله، النفع يسح الأهل نفعاً، هذا القانون يحكم واقع الحياة، وإلى هذا يشير سبحانه بقوله: «فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً وَأَمَّا مَا يَنْفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الْأَرْضِ» أي إن سة الله أن يقدف زبد الباطل الصار بالمجتمع ويمحوه من الوجود، ويبقى إلبر الحق النافع الذي ينمو فيه عمران العالم، ويحفظ به الخلق من أعاصير الظلم والفساد، حتى يتعلب الخير على الشر، والحق على الباطل، ولا يزال هذا سة الوجود ما بقي الإنسان على ظهر السسطة. تفسير المراعى، لأحمد بن مصطفى المراعى . ط: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البالى الخلى وأولاده بمصر. ٢٢٧\٢ .

(٢) سورة الرعد، الآية: ١٧ .

(٣) أم الكتاب ص: ٩٤-٩٥-٩٦ .

المبحث الثاني: بيان التدرج والإمهال، والحكمة في تغيير
الكون. ويشتمل على مطلبين:

المطلب الأول: التدرج والإمهال، ومفهوم الأجل.
المطلب الثاني: تغيير الأشياء والأيام والحكمة في
تغييرها.

المطلب الأول: التدرج والإمهال، ومفهوم الأجل.

التدرج والإمهال:

إذا نريد أن نعبر عن قوانين الفطرة بالألفاظ فلا يمكن التعبير عنها إلا بالفضل والرحمة، لأن عملية قوانين الفطرة لا يكون فجاءة بل يعمل بالتدرج، لذا فإن قانون الفطرة يعطي للناس فرصة للتوبة والإستغفار، ويفتح للناس باب العفو والتوبة إلى الوقت الأخير، وبالتأكيد فإن قانون الفطرة قطعي التطبيق لا يمكن فيه التغيير، كما قال تعالى: [مَا يُبَدِّلُ الْقَوْلُ لَدَيَّ] ^(١)، فكما عرفنا أن قانون الفطرة رغم أنه قطعية التطبيق فإنه يعطي الفرصة للعفو والتوبة أيضاً، لذا قال بعده [وَمَا أَنَا بِظَالِمٍ لِلْعَبِيدِ] ^(٢).

إذا يريد الله تعالى أن يطبق قانونه فجاءة فله القدرة على ذلك، لكن كما ترون هو لا يفعل هذا بل جعل لكل شيء أجلاً خاصاً، فبقي قبل ذلك المنازل والحوادث المختلفة التي تحذرنا عن النتائج، يمكنكم التفكير في حقيقة الموت والحياة وأحدها كـ نموذج الولد في البداية ثم يبلغ إلى سن البلوغ ثم إلى حد الشباب ثم يصل إلى الكهولة وأخيراً يموت، فالطفولة والبلوغ والشباب والكهولة كل هذه منازل مختلفة التي يحذرنا عن نتائج ذلك الأجل وهو الموت.

هكذا إذا مرض الإنسان فلا يموت فجاءة بل يصل تدريجياً إلى باب الهلاك، هكذا النباتات والأشجار إذا حرمت من الماء فلا تحف فجاءة بل تضعف شيئاً فشيئاً حتى تحف أخيراً، فهذا هو القانون العالمي للفطرة الذي يقال له الأجل ^(٣).

الأجل في اصطلاح القرآن:

هذا هو حال جميع التغيرات في الكون فلكل تغيير دور تدريجي الذي يخلق الشيء فيه ويفسد، فالبناء والفساد لا يمكن أن يصل إلى صورته الكاملة دون دوران زمن معين، وهذا الرمن يقال له "الأجل" في مصطلح القرآن، فهذا الأجل أحياناً يكون قصيراً وأحياناً يكون طويلاً حداً بحيث لا نستطيع أن نعهده

^١ - سورة ق، الآية: ٢٩.

^٢ - سورة ق، الآية: ٢٩.

^(٣) الأجل عبارة عن الوقت الذي يقصع فيه فعل الحياة، كما أن أجل الدُّنْيَا عبارة عن الوقت الذي يحل فيه الدين، والمفتور والميت أحلهما عند حروح روحهما، فالأجل هو المقدار المحدد من الوقت كقوله تعالى: {تَمَّ قَصَى أَهْلًا وَأَهْلٌ مُسَمًّى عِنْدَهُ}، معنى قوله: "تم قصى أهلاً"، تم قصى لكم: أيها الناس، "أهلاً". وذلك ما بين أن يُخلق إلى أن يموت، "وأهل مسمى عنده"، وذلك ما بين أن يموت إلى أن يعث. جامع البيان في تأويل القرآن، لمحمد بن حرير الطبري. ٢٥٦/١١.

حسب نظام أوقاتنا، فيقول القرآن بأن المدة التي تعدها يوما واحدا حسب الدنيا، تصوروها بأد اليوم الواحد عند الله يساوي عندنا ألف سنة أو خمسين ألف سنة^(١) فكيف بالشهور والسنين بمقدار هذه الأيام، يقول القرآن: [وَإِنَّ يَوْمًا عِنْدَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ] ^(٢).

التكوير:

وعملية التدرج هذه يعبر عنها القرآن بـ "التكوير" أي الدوران واللف، ومعناه إن الليل والنهار لا يأتیان فجأة بل الليل يلف تدريجيا فيظهر فيه ضوء النهار بالتدرج حتى يصبح النهار كاملا، هكذا النهار يلف تدريجيا حتى يصبح الليل كاملا فهذه العملية يقال لها "التكوير"^(٣) في اصطلاح القرآن الكريم، وأشار إليه القرآن في الآية: [خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ يَكُونُ اللَّيْلُ عَلَى النَّهَارِ وَيَكُونُ النَّهَارُ عَلَى اللَّيْلِ وَسَخَّرَ الشَّمْسُ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُّسَمًّى] ^(٤).

وهذه العملية أي التدرج والتكوير والإمهال هي نتيجة لقانون الفضل والرحمة، لأنه في الكون يجري قانون الفضل والرحمة الذي يقتضي أن يعطي فرصة كاملة لإصلاح كل خطأ وتعويض كل ضرر ولا يعلق باب الإصلاح والتعويض على أي واحد.

(١) الآيات الواردة في بيان قدر اليوم عند الله عز وجل نوعان: النوع الأول: آيات تتحدث عن يوم القيامة وهوله، وما يكون فيه من أحداث عظام، وآيات باهرة، وأن من أهواله طول ذلك اليوم بما يعادل خمسين ألف سنة من سبي الدنيا، وهذه الآية هي الآية الرابعة من سورة المعارج، حيث يقول الله عز وجل: (تَعْرُجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ) المعارج/ ١-١٠. والنوع الثاني: آيات لا تتحدث عن طول يوم القيامة، وإنما تتحدث عن طول الأيام التي عند الله عز وجل، وقدرها بالنسبة لأيام الدنيا التي بعدها، وهي الأيام التي يتحدث الله فيها الخلق والتدبير، فبين سبحانه وتعالى أن اليوم عنده يساوي ألف سنة من أياما هذه، وقد جاء ذلك في سورة الحج، في الآية السابعة والأربعين، حيث يقول تعالى: (وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ وَلَنْ يُخْلِفَ اللَّهُ وَعْدَهُ وَإِنَّ يَوْمًا عِنْدَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ). ويظهر واضحاً من سياق الآيتين هنا أن الحديث فيها عن أيام الله التي يكون فيها حنقه وتدبيره، فوضعها عز وجل بأن مقدارها يبلغ ألف سنة من أيام الدنيا. فالיום في آية المعارج هو يوم القيامة، ومقداره خمسون ألف سنة، وأما اليوم في آية الحج والسجدة فهو اليوم عند الله الذي يدبر فيه الأمور، ومقداره ألف سنة. وليس بين الآيتين شيء من التعارض لاختلاف محلها. أنظر: أنظر: الجامع لأحكام القرآن، لـ محمد بن أحمد القرطبي. ط: دار الكتب المصرية - القاهرة. ٨٩\١٤.

٢ - سورة الحج، الآية: ٤٧.

(٣) التكوير في كلام العرب: جمع بعض الشيء، إلى بعض، وذلك كتكوير العمامة، وهو لفها على الرأس. وتكوير الكارد، وهي جمع الثياب بعضها إلى بعض، ولفها، وكذلك قوله: (إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ) إنما معناه: جمع بعضها إلى بعض، ثم لفت قوميها، وإذا فعل ذلك ما ذهب صوءها. جامع البيان في تأويل القرآن، لمحمد بن حرير الطبري. ٢٣٨\٢٤.

٤ - سورة الرمز، الآية: ٥.

فإذا كان لا يوجد هذا القانون "التدرج والإمهال" فيهلك الشخص فجاءة عقب كل خطأ أو النقص المتحتم، وبالتالي لا يستفيد من فرصة الحياة، كما أشار إليه القرآن: [وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِمَا كَسَبُوا مَا تَرَكَ عَلَى ظَهْرِهَا مِنْ دَابَّةٍ وَلَكِنْ يُؤَخِّرُهُمْ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى فَإِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِعِبَادِهِ بَصِيرًا] ^(١).

وهذا التدرج للخير والشر يكونان في صورة الخير لزيادة الحسنات، وفي صورة الشر لتنبية الإنسان ليصلحها، قال الله تعالى: [كُلًّا نُمِدُّ هَؤُلَاءِ وَهَؤُلَاءِ مِنْ عَطَاءِ رَبِّكَ وَمَا كَانَ عَطَاءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا] ^(٢).

ففي هذه الفرصة والإمهال إذا تخلى الإنسان عن خطاياها وتاب فإن غم الشر يتوقف ويمحو الله مضار وآثار السيئات الماضية، وإن كان ما استفاد من هذه الفرصة وما تاب من السيئات فلا يؤخر عذاب الله عن أجل معين، كما قال الله تعالى: [فَإِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ] ^(٣)، ^(٤)

الترويح للحياة:

راحة الحياة في الحقيقة هو جهد الإنسان في سبيل حصول المعاش للقيام والبقاء، لأن الحياة مليئة بالجهد والمشقة وعلى العموم فهو جملة المسؤوليات وجهد عملي بالتسلسل، كما قال الله تعالى: [لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي كَبَدٍ] ^(٥).

ولكن الله تعالى أودع في طبيعة الإنسان انفعالات فهو بالرغم من هذه المشقة يحس اللذة والسرور وهذا ليس في طبيعة الإنسان فحسب بل في طبائع الحيوانات جميعا، فإذا أصبحت حياة الإنسان خالية من المشاق فهو يظن بأنه حُرْم من جميع اللذات ولا يحب البقاء على قيد الحياة. ثم هذا التلذذ بالأنشطة الحياة توجد في جميع الأنواع رعم الطبائع المختلفة حتى الذكر والأنثى، الطفل والشاب، الأمير والمفقر، العالم والجاهل، القوي والضعيف، الصحيح والسقيم، الأعزب والمتزوج، الحامل والمرضع، فإن كلهم مشغولون في أحوالهم ويحبون حياتهم وأستطعتهم ولا يمكن أن يفرغ الحياة من التلذذ بعملية الحياة، وهذا لأنه توجد

^١ - سورة فاطر، الآية: ٤٥.

^٢ - سورة الإسراء، الآية: ٢٠.

^٣ - سورة الأعراف، الآية: ٣٤،

^(٤) تفسير أم الكتاب لمولانا آزاد ص: ٩٧-١٠١.

^٥ - سورة البلد، الآية: ٤.

في الكون الرحمة، والرحمة تقتضي أن تجعل مشقة كسب المعاش مريحاً للحياة، وبسبب الرحمة يحس الإنسان في المشقة لذة وفي الألم سروراً، هكذا هو يمشي في عملية الحياة ولا يتعب أبداً^(١).

المطلب الثاني: تغيير الأيام والأشياء في الكون والحكمة في تغييرها.

اختلاف الأشياء والمناظر راحة للحياة:

ومن خاصية طبيعة الإنسان أنه يتعب من تكرار الشيء الواحد ويحب اختلاف الأشياء وتنوعها فلذا قانون الفطرة يعبر الأوقات ويغير الطقس هكذا تأتي تغيرات كثيرة حسب طبيعة الإنسان، وهذه التغيرات ليست لراحة طبيعة الإنسان فقط بل فيها فوائد كثيرة أخرى أيضاً، ومن أكبرها تزيين الكون، لأن في كل طقس تخرج الأبرار والفواكه المختلفة، وهكذا يتزل الأمطار والثلوج التي فيها فوائد كثيرة للناس، فالغرض هو الوجود تحسين الكون وتزيينه في جميع تغيرات الحياة.

اختلاف الليل والنهار:

في تغير الليل والنهار واختلافهما توجد الراحة للروح، لأنه إذا لم يغير الوقت ويبقى على حال واحد فتصعب الحياة في الدنيا، لأن الإنسان إذا تعب في وقت النهار وجاء الليل ففيه ينام، ويحصل له الراحة، يمكن أن تنظروا في موارد القطبين^(٢) التي لم توجد فيها اختلاف الليل والنهار فتعرفون بأن هذا

(١) أم الكتاب ص ١٠٢-١٠٤

(٢) ومن دوى المعرفة بعلم الأفلاك والحووم من بعد فلك الاستواء. وفلك الروح الثلاثة فلكاً واحداً، لما يرى من تحادهما، واتفاق أقطارهما ومراكزهما والأرض في وسط الجميع مركز له كالكقطة في وسط الدائرة والفلك متحاف عنها من حيث ما أحاط بها ميل ما نحو وجهها الذي يكون عليها حيثما كانت وهو أعلى الفلك على سمت رأسك فذلك نصف قطر الفلك الأعلى أحد منه نصف قطر الأرض، وهو يدور عليها من المشرق إلى المغرب، على أوسع موضع فيه على نقطتين وهميتين متقابلتين في حبي كرتة. إحداهما القطب الشمالي وهو على شمال مستقر المشرق، والثانية القطب الجنوبي، وهو على يمين مستدير المغرب، ويسمى المحورين تشبيهاً بنقط الرحي ولهذا الفلك نطاق يعصل كرتة في متوسط ما بين قطبيه، ويعصل محاذاته كرة الأرض بصغير. وهذا النطاق يسمى فلك معدل النهار، لاستواء الليل والنهار فيه، ويسمى الفلك المستقيم لاستواء مطالعه ومعارفه، واستقامة مدرجه في أرباع الفلك وما بينها على نظام ونحد، وكل جزء من أجزاء هذا النطاق وإن اتسع فإنه كعمما الخدر في سيطي الكرة إلى المحورين قل عرصه ودق حتى تجمع أجزاء الفلك كلها من فوق الأرض وتحتها في نقطة المحور. أنظر: التسيه والإشراف، لأبو الحسن علي بن الحسين المسعودي. تحقيق: عبد الله إسماعيل الصاوي. ط: دار الصاوي - القاهرة. ٩١.

اختلاف الليل والنهار نعمة عظيمة من نعم الله تعالى، كما قال الله تعالى: [إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ] ^(١).

وباختلاف الليل والنهار قسم الحياة إلى حصتين: فالحصة الأولى هي ضوء النهار فيعمل فيه الإنسان ويكسب المعاش، والحصة الثانية هي ظلام الليل فيحصل فيه الإنسان على الراحة والسكون، فبعد عمل النهار يأتي الليل للراحة وبعد كل راحة يأتي النهار للعمل والكسب، قال الله تعالى: [وَمِنْ رَحْمَتِهِ جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ] ^(٢).

وكل حالة من أحوال الليل والنهار له تأثير خاص، فعند طلوع الشمس يكون منظر جميل وله تأثير خاص، ثم وقت غروب الشمس ونهاية النهار كان منظر آخر فبهذا الاختلاف يتلذذ الإنسان في حياته، لذا قال الله تعالى: [فَسُبْحَانَ اللَّهِ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ (١٧) وَلَهُ الْحَمْدُ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَعَشِيًّا وَحِينَ تُظْهِرُونَ] ^(٣).

الاختلاف في الحيوانات:

هكذا يوجد في الحيوانات تنوع واختلاف، فإذا نظر الإنسان إلى جسمه وينظر إلى باقي الحيوانات فيعرف بأنه كيف خلقه الله، هكذا في تغير أنواع الحيوانات واختلافها أيضاً علامات لطيفة من رحمة الله تعالى، قال عز وجل: [وَمِنَ النَّاسِ وَالْدَّوَابِّ وَالْأَنْعَامِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ] ^(٤).

التنوع في النباتات:

هكذا في الساتات أيضاً تنوع واختلاف، فلكل شجرة لون خاص وريح خاص وخواص عديدة، ولما تاكل الفواكه من الأشجار تجد لكل فاكهة لوناً مختلفاً وطعماً، فهذا أيضاً فيه الراحة للحياة والروح، قال تعالى: [أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى الْأَرْضِ كَمْ أَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ] ^(٥). [وَمَا ذَرَأَّا لَكُمْ فِي الْأَرْضِ

^١ - سورة آل عمران، الآية: ١٩٠.

^٢ - سورة القصص، الآية: ٧٣.

^٣ - سورة الروم، الآيات ١٧ و ١٨.

^٤ - سورة فاطر، الآية: ٢٨.

^٥ - سورة الشعراء، الآية: ٧.

مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ^(١) . [وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَ جَنَّاتٍ مَّعْرُوشَاتٍ وَغَيْرَ
مَّعْرُوشَاتٍ وَالنَّخْلَ وَالزَّرْعَ مُخْتَلِفًا أُكْلُهُ]^(٢).

الاختلاف في الجمادات:

هكذا يوجد في الجمادات أيضا قانون التنوع والاختلاف كما كان في الحيوانات والنباتات،

قال الله تعالى: [وَمِنَ الْجِبَالِ جُدَدٌ^(٣) بَيضٌ وَحُمْرٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٍ^(٤)]^(٥).

قانون الأزواج:

ومن أنواع قانون الاختلاف قانون آخر الذي يعبر عنه القرآن بقانون التزويج ونحن نعبر عنه
بقانون الثنية، وهو أن الله تعالى خلق من جميع الموجودات في الكون زوجين، أي : صنفين متقابلين
كالذكر والأنثى، والليل والنهار، والصباح والمساء، والرجل والمرأة، والموت والحياة، الحياة الأخروية

^١ - سورة المحل، الآية: ١٣ .

^٢ - سورة الأعمام، الآية: ١٤١ .

(^٣) وَمِنَ الْجِبَالِ جُدَدٌ (جُدَدٌ واحدٌ) حُدُدٌ واحدٌ "حُدَّة" و"الحُدْد" وهي الحِطَّة والطريقة أي ألوان الطرائق التي فيها، مثل "الغُدَّة" وجماعتها "العُدُد". قال امرؤ القيس:

"كَأَنَّ سَرَائِهِ وَجُدَّةً مَّتَّهِ . . . كَنَائِسٍ يَحْرِي فَوْقَهُنَّ دَلِيصٌ". حُدَّة مَّتَّهِ " الحِطَّة السوداء التي تراها في طَهْرِ جِمَارِ الْوَحْشِ.

أنظر: معاني القرآن وإعرابه، لأبو إسحاق إبراهيم بن السري الريحاني، ط: عالم الكتب - بيروت، ٢٦٩\٤.

(^٤) (وَعَرَابِسُ سُودٍ) أي ومن الحبال عَرَابِسُ وهي الجِرَارُ؛ الحبال التي هي دات صُخُورٍ سُودٍ. والعَرَبِيبُ الشَّدِيدُ السَّوَادِ. أنظر: المصدر السابق.

^٥ - سورة فاطر، الآية: ٢٧ .

والحياة الدنيوية، كما قال الله تعالى: [وَمِنْ كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ] ^(١). ^(٢) [سُبْحَانَ الَّذِي خَلَقَ الْأَزْوَاجَ كُلَّهَا مِمَّا تُنْبِتُ الْأَرْضُ وَمِنْ أَنْفُسِهِمْ وَمِمَّا لَا يَعْلَمُونَ] ^(٣).

الرجل والمرأة:

وبهذا القانون (الثنية أو التزويج) قسم الإنسان إلى جنسين مختلفين: أي الرجل والمرأة، ثم اودعت فيهما الإحساسات الوجدانية للانجذاب والانفعال بحيث يوجد في كل جنس ميلان طبيعي إلى جنس آخر (كل جنس يميل إلى جنس آخر بالطبع) ومن ميلانه ينشأ النظام الزوجي الذي هو النظام الكامل لراحة الحياة، قال الله تعالى: [فَاطِرُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَمِنَ الْأَنْعَامِ أَزْوَاجًا] ^(٤).

ونظام التزويج هو سبب للمحبة والراحة وبمصاحبة الزوجين تحل مشاكل الحياة وتصبح الحياة سعيدة وطيبة، قال الله تعالى: [وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ] ^(٥).

^١ - سورة الذاريات، الآية: ٤٩.

^(٢) واحتلف في معنى (خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ) فقال بعضهم: عني به: ومن كل شيء خلقنا نوعين مختلفين كالشفاء والسعادة، والهدى والصلاة، ونحو ذلك. وقال محاهد: الكفر والإيمان، والشقاوة والسعادة، والهدى والصلاة، والليل والنهار، والسماء والأرض، والإنس والجن. وقال آخرون: عني بالروحين: الذكر والأنثى. وأولى القولين في ذلك قول محاهد، وهو أن الله تبارك وتعالى، خلق لكل ما خلق من خلقه ثابياً له مخالفاً في معناه، فكل واحد منهما روح للآخر، ولذلك قيل: خلقنا روحين. وإما أنه حلّ تناؤهُ بذلك على قدرته على خلق ما يشاء خلقه من شيء، وأنه ليس كالأشياء التي شاءها فعل نوع واحد دون حلافه، إذ كل ما صفة فعل نوع واحد دون ما عداه كالنار التي شاءها التسخين، ولا تصلح للتبريد، وكذلك الذي شاءه التبريد، ولا يصلح للتسخين، فلا يجوز أن يوصف بالكمال، وإما كمال المدح للقادر على فعل كل ما شاء فعلة من الأشياء المختلفة والمتنوعة. أنظر: جامع البيان لمحمد بن حريز المصري. ٢١/ ٥٤٨.

^٣ - سورة يس، الآية: ٣٦.

^٤ - سورة الشورى، الآية: ١١.

^٥ - سورة الروم، الآية: ٢١.

النسب والصهر: (١)

و بهذه الحياة الزوجية توجد سلسلة التوالد والتناسل، فـ"النسب" يرتبط الشخص بالسوابق (الأقارب من قبل الأب أو الأم)، وبـ"الصهر" يرتبط باللواحق (أقارب الزوجين)، وبالتالي تكثر العلاقات وتتوسع حلقة القرابة والعلاقة حيث كل حلقة القرابة يتصل مع حلقة أخرى، وهذه العلاقات أمكنت في نتيجة الزواج، قال الله تعالى : [وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ مِنَ الْمَاءِ بَشَرًا فَجَعَلَهُ نَسَبًا وَصِهْرًا وَكَانَ رَبُّكَ قَدِيرًا]

(٢)

(١) قسم الله الشتر قسمين: سب، وصهر. فالواو للتقسيم بمعنى (أو) والواو أحود من (أو) في التقسيم. وسب وصهر مصدران سمي هما صفتان من القرابة على تقدير: دا سب وصهر وشاع ذلك في الكلام. والسب لا يخلو من أبوة وسوة وأخوة لأولئك وسوة لتلك الأخوة. وأما الصهر فهو: اسم لما بين المرء وبين قرابة روحه وأقاربه من العلاقة، ويسمى أيضا مصاهرة لأنه يكون من هتين، وهو آصرة اعتبارية تقوم بالإضافة إلى ما تصاف إليه، فصهر الرجل قرابة امرأته، وصهر المرأة قرابة روحها، ولذلك يقال: صاهر فلان فلانا إذا تروح من قرابته ولو قرابة بعيدة كقرابة القبيلة. وهذا لا يخلو عنه الشتر المتروح وغير المتروح. ويطلق الصهر على مع له من الآخر علاقة المصاهرة من إطلاق المصدر في موضع الوصف فالأكثر حينئذ أن يخص بقريب روح الرجل، وأما قريب روح المرء فهو حين لها أو حم، ولا يخلو أحد عن آصرة صهر ولو بعيدا. أنظر: التحرير والتبوير (تحرير المعنى السديد وتبوير العقل الحديد من تفسير الكتاب المحيد)، لمحمد الطاهر بن عاشور التونسي. ط: الدار التونسية للنشر - تونس. ١٩٥٥.

٢ - سورة الفرقان، الآية: ٥٤ .

تكوين علاقة جيدة مع الأقارب ونظام العائلة:

وبسبب النسب والصهر تولد قانون صلة الرحم بين الأقارب وافراد العائلة، وبهذا القانون وجد نظام الاجتماعي في حياة الإنسان بحيث كل شخص يعاون مع الآخر وهكذا تتوثق بينهم العلاقات الجيدة وبه يصلح نظم الاجتماع، قال الله تعالى: [يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا] ^(١). [وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَجَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ بَنِينَ وَحَفَدَةً] ^(٢).

تغيير أيام الحياة وتنوعها:

توجد مصلحة كبيرة في تغيير أيام الحياة لراحة الحياة لأن الحياة تمضي بمنازل مختلفة كالطمولة، والتباب، والكهولة وكل منزل له جهود وأحاسيس خاصة، فحياتنا أصبح سفرًا طويلًا في الكون، لأن الإنسان إذا يخرج من منزل واحد يأتي أمامه منزل آخر وهكذا لا يحس الإنسان طول الحياة وهذه هي مصلحة خفية في تغيير أيام الحياة، كما أشار القرآن إلى هذه المنازل المختلفة حيث قال: [هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ يُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِيَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ ثُمَّ لِيَكُونُوا شُيُوخًا وَمِنْكُمْ مَنْ يَتَوَفَّى مِنْ قَبْلٍ وَلِيَبْلُغُوا أَجَلًا مُسَمًّى وَلَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ] ^(٣). ^(٤)

^١ - سورة النساء، الآية: ١.

^٢ - سورة الحل، الآية: ٧٢.

^٣ - سورة عاف، الآية: ٦٧.

^(٤) (هو الذي خلقكم) أي خلق أباكم الأول وهو آدم، وخلق (من تراب) يستلزم خلق دريته منه (ثم من نطفة ثم من علقه) قد تقدم تفسير هذا في غير موضع (ثم يخرجه طفلاً) أي أطفلاً، وأفرده لكونه اسم حس، أو على معنى: ثم يخرج كل واحد منكم طفلاً. (ثم لسلعوا أشدكم) وهي الحالة التي تختص فيها القوة والعقل من الثلاثين سنة إلى الأربعين، وقد سبق بيان الأشد مستوفى في الأعمار والتقدير لتكروا شيئاً فتشبعوا غاية الكمال (ثم يقيمكم) (لتكونوا شيوخاً) بضم السين وبكسرهما سبعيناً وفري، شيوخاً على الأفراد كقوله طفلاً والنسب من حاور أربعين سنة، يعني أن مراب الإنسان بعد خروجه من بطن أمه ثلاث: الطفولية، وهي حالة النمو والريادة إلى أن يبلغ كمال الأشد من غير ضعف، ثم يتناقص بعد ذلك وهي الشيخوخة. (ومكم من يتوفى من قبل) أي من قبل الأسد، ومن قبل الشيخوخة (ولتسلعوا) جميعاً (أحلاً مسمى) أي وقت الموت أو يوم القيامة، واللام هي لام العليل أو العاقبة (ولعلكم تعقلون) أي لكي تعقلوا توحيد ربكم وقدرته البالغة في خلقكم على هذه

تفاخر المال والمتاع والآل والأولاد:

ولراحة حياة الإنسان وسكونه أنشئت الرغبات والشهوات الكثيرة في حياته مثل محبة المال والأولاد، والمتاع وغير ذلك... فكل ذلك لراحة حياته فقط، كما قال الله تعالى: [زَيْنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَاِبِ] ^(١).

اختلاف المعاش وتزاحم الحياة:

الاختلاف في المعاش واختلاف الدرجات والأحوال المختلفة تحرك كبير لراحة حياة الإنسان، لأن سبب هذه الخلافات الإنسان يكون مشغولاً في التسابق وكسب المعاش ومصائب الحياة تتسهل عليه حتى بسبب هذه المسابقات يبدل مشاقه وتعبه إلى السرور والراحة ويقضي حياته، كما قال الله تعالى: [وَهُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ الْأَرْضِ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ] ^(٢)، ^(٣).

الأنوار المختلفة إلى الأجل المذكور. أنظر: فتح البيان في مقاصد القرآن، لأبو الطيب محمد صديق حاد القنوجي. ط: المكتبة العصرية للطباعة والنشر، صيدا - بيروت. ١٢/٢١٠.

^١ - سورة آل عمران، الآية: ١٤.

^٢ - سورة الأنعام، الآية: ١٦٥.

^(٣) أم الكتاب ص: ١٠٤-١١٢.

المبحث الثالث: برهان الرحمة والاستدلال به في القضايا بين
الحق والباطل. ويشتمل على مطلبين:

المطلب الأول: برهان الفضل والرحمة والاستدلال به.

المطلب الثاني: قانون القضاء بالحق، والاستعجال بالعذاب.

المطلب الأول: برهان الفضل والرحمة والاستدلال به:

وكما يستدل القرآن بأعمال الربوبية ومظاهرها فإنه يستدل كذلك بآثار الرحمة وحقائقها في مواضع متفرقة، وبرهان الفضل والرحمة أيضا أسلوب خطابي للدعوة والإرشاد مثل برهان الربوبية، لأنه توجد مظاهر الفضل والرحمة في كل أشياء الكون تحت نظام خاص بالطبع، ويعتقد الإنسان أن في الكون يعمل كيان ذي الرحمة، لأنه لا يمكن بأن يوجد جميع الكون بسبب الفضل والرحمة بدون ذات رحيم، فلذا جميع الأماكن التي ذكر فيه افادة منافع خلق الكون مثل تزيين الكون وجماله، التناسب واعتداله، التسوية وقوامه، التكميل واتقانه كلها مبنية على هذا الاستدلال، قال الله تعالى: [وَالَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ (١٦٣) إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَّاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَّاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ] ^(١)

هكذا انظروا إلى المواطن التي استدلت فيه القرآن بجمال الفطرة خاصة، كقوله تعالى: [أَفَلَمْ يَنْظُرُوا إِلَى السَّمَاءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا وَزَيَّنَّاهَا وَمَا لَهَا مِنْ فُرُوجٍ (٦) وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ (٧) تَبْصِرَةً وَذِكْرَى لِكُلِّ عَبْدٍ مُنِيبٍ] (٢). [وَلَقَدْ جَعَلْنَا فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا وَزَيَّنَّاهَا لِلنَّاظِرِينَ] (٣). [وَلَقَدْ زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحٍ] (٤). [وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرْجَحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ] ^(٥).

التوازن والتناسب في الأشياء:

الجمال الحقيقي للأشياء هو التوازن والتناسب الذان أصلان أساسيان لجميع مظاهر البناء والتحسين ^(٦)، كما قال الله تعالى: [وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْزُونٍ] ^(٧).

١ - سورة البقرة، الآية: ١٦٤.

٢ - سورة ق، الآيات من ٦ إلى ٨.

٣ - سورة الحجر، الآية: ١٦.

٤ - سورة الملك، الآية: ٥.

٥ - سورة الحل، الآية: ٦.

(٦) لقد حدد افلاطون عشرين للحمال وحمل الكمال مرادفا للحمال، فقال: إن الوزن والتناسب هما عصرهما الحمال، وهذا يكون قد احتار قيمتين جماليتين هما التناسب والإيراد أو الوارن. الأصول الجمالية في النقد العربي، لاسماعيل عزالدين. ط: دار الفكر العربي. ص: ٤٦.

٧ - سورة الحجر، الآية: ١٩.

التسوية:

لهذا المعنى يستعمل القرآن مصطلح التسوية أيضا ومعنى التسوية كون الشيء هكذا بأن يوجد في جميع أجزائه الجمال والتناسب (أي في جميع أجزائه يكون الحسن والجمال والمناسبة)، يقول القرآن: [الَّذِي خَلَقَ فَسْوَى وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَى] ^(١). [الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ فَعَدَلَكَ (٧) فِي أَيِّ صُورَةٍ مَا شَاءَ رَكَّبَكَ] ^(٢).

الإتقان:

ثم عبر القرآن عن هذا الأصل (التوازن والتناسب) بالإتقان أي كون جميع أشياء الكون بالتسوية والسلامة بحيث لا يوجد فيه أي خلل ولا نقصان، يقول القرآن عنه: [صُنِعَ اللَّهُ الَّذِي أَتَقَنَ كُلَّ شَيْءٍ] ^(٣) ^(٤). [الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا مَا تَرَى فِي خَلْقِ الرَّحْمَنِ مِنْ تَفَافُتٍ فَارْجِعِ الْبَصَرَ هَلْ تَرَى مِنْ فُطُورٍ (٣) ثُمَّ ارْجِعِ الْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ يَنْقَلِبْ إِلَيْكَ الْبَصَرُ خَاسِئًا وَهُوَ حَسِيرٌ] ^(٥). في "خلق الرحمن" إشارة إلى أن جميع الجمال والإتقان في الكون كان بسبب الرحمة، لأن الرحمة تقتضي أن يجعل كل شيء بالحسن والجمال بالإتقان والكمال دون الخلل والنقصان ^(٦).

الاستدلال بالرحمة على المعاد:

كما يستدل القرآن بصفة الرحمة على وجود الإله وتوحيده وصفاته هكذا يستدل بها على وجود الحياة الأخروية، لأن الرحمة إذا تقتضي أن نظام حياة الدنيا تظهر بالحسن والجمال فكيف يمكن أن يزيل نفع الرحمة بعد هذه الأيام المعدودة (أيام الدنيا) ولم يبق فيه حظ للحياة الأبدية الإنسان، لذا يقول الله تعالى مشيرًا إلى هذه الحقيقة: [أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ قَادِرٌ عَلَى أَنْ يَخْلُقَ

١ - سورة الأعلى، الآيتان: ٢ و ٣.

٢ - سورة الاعطار، الآيتان: ٧ و ٨.

٣ - سورة المل، الآية: ٨٨.

(٤) (أتقن كل شيء) وفيه أربعة أوجه: أحدها: أحكم كل شيء. قاله ابن عباس. الثاني: أحصى، قاله مجاهد. الثالث: أحسن، قاله السدي. الرابع: أوتق، واحتلف فيها فقال الصحاح: هي كلمة سريانية، وقال غيره: هي عربية مأخوذة من إتقان الشيء إذا أحكمه وأوتق، وأصلها من اتقن وهو ما تقل من الخوص من طيبة. أنظر: التكت والعيون، لأن ابن أحسن علي بن محمد العدادي، الشهير بالماوردي. تحقيق: السيد ابن عبد المقصود بن عبد الرحيم. ط: دار الكتب العلمية - بيروت / لبنان. ٢٣١/٤.

٥ - سورة الملك، الآيتان: ٣ - ٤.

(٦) أم الكتاب ص ١١٢-١١٥.

مِثْلَهُمْ وَجَعَلَ لَهُمْ أَجَلًا لَا رَيْبَ فِيهِ فَأَبَى الظَّالِمُونَ إِلَّا كُفُورًا (٩٩) قُلْ لَوْ أَنْتُمْ تَمْلِكُونَ خَزَائِنَ رَحْمَةِ رَبِّي إِذَا لَأَمْسَكْتُمْ خَشْيَةَ الْإِنْفَاقِ [١].

الاستدال بالرحمة على ضرورة الوحي والتزويل:

هكذا القرآن يستدل بالرحمة على ضرورة الوحي والتزويل، لأن الرحمة التي كانت نفعها عاما لهداية الناس في جميع أنحاء الكون فكيف لا يمكن أن لا توجد عنده الهداية المعنوي، وكيف يمكن أن يُترك الإنسان للهلاك والنقصان، فمتلا إذا أنتم ترون مظاهر الرحمة في عشرة أنحاء الكون فلا يمكن أن تنكروها في ناحية الحادية عشرة، والقرآن عبر عن نزول الوحي وإرسال الكتب وبعثة الأنبياء بالرحمة، قال الله تعالى: [وَلَئِنْ شِئْنَا لَنَذْهَبَنَّ بِالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ بِهِ عَلَيْنَا وَكِيلًا (٨٦) إِلَّا رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ إِنَّ فَضْلَهُ كَانَ عَلَيْكَ كَبِيرًا] (٢). [تَنْزِيلَ الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ (٥) لِنُنْذِرَ قَوْمًا مَا أَنْذَرَ آبَاؤُهُمْ فَهُمْ غَافِلُونَ] (٣).

هكذا صرح (الله) عن التوراة والإنجيل والقرآن أنها نزلت بسبب الرحمة، كما قال الله تعالى: [وَمِنْ قَبْلِهِ كِتَابُ مُوسَى إِمَامًا وَرَحْمَةً] (٤). وقال: [يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ (٥٧) قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ] (٥). وقال: (هَذَا بَصَائِرُ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ] (٦). وقال: [أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ يُتْلَى عَلَيْهِمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَرَحْمَةً وَذِكْرَى لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ] (٧). هكذا عبر عن داعي الإسلام أيضا بالرحمة فيقول: [وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ] (٨).

١ - سورة الإسراء، الآيات، ٩٩ - ١٠٠ .

٢ - سورة الإسراء، الآيات: ٨٦ - ٨٧ .

٣ - سورة يس، الآيات: ٥ - ٦ .

٤ - سورة هود، الآية: ١٧ .

٥ - سورة يونس: الآية: ٥٨ .

٦ - سورة الحاقة، الآية: ٢٠ .

٧ - سورة العنكبوت، الآية: ٥١ .

٨ - سورة الأنبياء، الآية: ١٠٧ .

الاستدلال بالرحمة على قوانين المعنوية للأعمال الإنسانية وبقاء الأنفع:

هكذا يستدل القرآن بمظاهر مادية للرحمة على القوانين المعنوية للأعمال الإنسانية، لأنه يعمل في الدنيا قانون بقاء الأنفع حسب مقتضى الرحمة (أي يبقى الشيء الذي أنفع) فمثل الماديات يوجد هذا القانون في أعمال الإنسان أيضا فيبقى النافع ويزيل المضار، وفي المعنويات لهذا القانون نفس النتائج التي ترونها في الماديات

(١) *

(١) أم الكتاب ص ١١٦-١١٨

المطلب الثاني: قانون القضاء بين الحق والباطل، والاستعجال بالعذاب.

الحق والباطل:

وتمناسبة هذا القانون (بقاء الأنفع) يستعمل القرآن كلمتان وهما الحق والباطل، ففي سورة الرعد لما ذكر عن قانون بقاء الأنفع فصرح معه بأن المقصود من هذا البيان هو الكشف عن حقيقة الحق والباطل، فيقول: [كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْحَقَّ وَالْبَاطِلَ] ^(١).

ثم زاد في التصريح وقال: [فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً وَأَمَّا مَا يَنْفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الْأَرْضِ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ (١٧) لِلَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ الْحُسْنَى وَالَّذِينَ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُ لَوْ أَنَّ لَهُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُ مَعَهُ لَافْتَدَوْا بِهِ أُولَئِكَ لَهُمْ سُوءُ الْحِسَابِ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمِهَادُ (١٨) أَفَمَنْ يَعْلَمُ أَنَّ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ الْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَى إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ (١٩) الَّذِينَ يُوفُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَلَا يَنْقُضُونَ الْمِيثَاقَ (٢٠) وَالَّذِينَ يَصِلُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوءَ الْحِسَابِ] ^(٢).

خاصية كلمة "حق" في العربية هي الثبات والقيام أي بأن كل شيء الذي ثابت وقائم يقال له الحق. و"الباطل" نقيض الحق أي الشيء الذي لا ثبات له ولا قيام (الذي يطل ويزيل وليس له بقاء)، لذا ذكر في القرآن في العديد من الاماكن: [لِيُحَقِّقَ الْحَقَّ وَيُبْطِلَ الْبَاطِلَ] ^(٣).

قانون القضاء بالحق:

كما يعمل في الماديات قانون "بقاء الأنفع" يعمل في المعنويات أيضا، فعمل الحق يقي ثابته وقائمه والعمل الباطل يمحي ويطل، فاذا تقابلا الحق والباطل فالبقاء للحق وليس للباطل، هذا الذي عبر عنه بقانون قضاء بالحق، كما قال الله تعالى: [فَإِذَا جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ فَخُصِي بِالْحَقِّ وَخَسِرَ هُنَالِكَ الْمُبْطِلُونَ] ^(٤).

^١ - سورة الرعد، الآية: ١٧.

^٢ - سورة الرعد، الآيات إلى ٢٠.

^٣ - سورة الأنفال، الآية: ٨.

^٤ - سورة عاfer، الآية: ٧٨.

ثم إذا عرفنا بأن الحق لا يبطل ويثبت دائما نعرف بأن القرآن الكريم اختار صفة الحق لذات الله تعالى وهو أحق بها، لأنه ليس في الكون أي شيء أثبت وأحق من ذات الله تعالى، كما يقول القرآن : ١- [فَذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمُ الْحَقُّ] ^(١) ٢- [فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ] ^(٢).

الوحي والتزويل أيضا الحق:

هكذا تستعمل كلمة الحق للوحي والتزويل لأن الوحي (القرآن) أيضا حقيقة مسلمة ثابتة لأهل الدنيا، فكل من أراد أن يحويه هلكوا بأنفسهم حتى لم يبق لهم أي ذكر في الدنيا، وحقيقة الوحي مازال قائم وسيبقى دائما إلى يوم القيمة، كما قال الله تعالى: [قُلْ يَأَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنِ اهْتَدَى فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَنَّا وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِوَكِيلٍ (١٠٨) وَاتَّبِعْ مَا يُوحَىٰ إِلَيْكَ وَاصْبِرْ حَتَّىٰ يَخُذَكَ اللَّهُ وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ] ^(٣).

الحق في اصطلاح القرآن الكريم:

كلما ذكر القرآن عن شيء بأنه "الحق" (بالألف واللام) فالمقصود منه هذه الحقيقة، لأنه إذا عرفنا بأن الله تعالى يثبت الحق ويبطل الباطل، وفي نزاع الحق والباطل يقضي بالحق دائما إذا يكفي لحقية الشيء وثبوته أن يقال عنه بأنه "الحق" وألا يقال شيئا غير هذا لأن الحقيقة واضحة بأن الحق يثبت والباطل يبطل. والغرض في نزاع الحق والباطل الفلاح دائما للحق والهزيمة والخسران للباطل أبدا، كما قال الله تعالى: [بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ] ^(٤). وقال: [وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا] ^(٥).

شهادة الله تعالى:

ثم تأتي شهادة الله تعالى لإثبات الحق وإدماغ الباطل وتخبرنا هذه الشهادة وقت قضاء بالحق أن الحق هو الذي بقي والباطل هو الذي رفق، فالمعلن عن حقيقة الحال هي شهادة الله تعالى، بذلك قال الله

^١ - سورة يونس، الآية: ٣٢ .

^٢ - سورة طه، الآية: ١١٤ .

^٣ - سورة يونس، الآية: ١٠٩ .

^٤ - سورة الأسيا، الآية: ١٨ .

^٥ - سورة الإسراء، الآية: ٨١ .

تعالى مشيراً إلى هذه الشهادة : [قُلْ كَفَى بِاللّهِ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ شَهِيدًا يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالَّذِينَ آمَنُوا بِالْبَاطِلِ وَكَفَرُوا بِاللّهِ أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ] ^(١) .
وفي مقام آخر قرر القرآن شهادة الله تعالى أكبر شهادة على قضاء الأمر، فيقول: [قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَادَةً قُلِ اللّهُ شَهِيدٌ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ] ^(٢) .

القضاء بالحق هو قانون عالمي للماديات والمعنويات:

وكيف يمكن أن ينكر عن هذا القانون (بقاء الأ نفع) والحال أن جميع نظام الكون قائم على هذا القانون، لأن هذا القانون يبحث في الكون فيبقى الأشياء المفيدة ويزيل أشياء إضافية غير النافعة، فإن لم يكن هذا القانون فيفسد نظام الكون، فإذا أنتم تنظرون هذا القانون في الماديات وتقبلونه فكيف تنكرونه في المعنويات (الروحانيات)، قال الله تعالى: [وَلَوْ اتَّبَعَ الْحَقُّ أَهْوَاءَهُمْ لَفَسَدَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ] ^(٣) .

الانتظار والتربص:

القرآن يركز دائماً على الانتظار والتربص ويقول: لا تعجلوا وانتظروا حتى يقضى بين الحق والباطل، كما في هذه الآية يقول: [قُلْ فَانْتَظِرُوا إِنِّي مَعَكُمْ مِنَ الْمُنْتَظِرِينَ] ^(٤) والمقصود منه هذه الحقيقة (الانتظار والتربص).

التدرج والإمهال وقضاء بالحق:

وفي نتيجة قانون قضاء بالحق لا يزهق الباطل بالفور ولا يفلح الحق بالفور بل يكون بالتدرج، لأن الرحمة تقتضي بأن يكون قانون الإمهال والتدرج كما كان في الماديات يعمل بالتدرج هكذا يكون في المعنويات أيضاً، لأن قانون الفطرة سواء لكل الكون سواء في الماديات أم في المعنويات فإن لم يكن

^١ - سورة العنكبوت، الآية: ٥٢ .

^٢ - سورة الأعمام، الآية: ١٩ .

^٣ - سورة المؤمنون، الآية: ٧١ .

^٤ - سورة يوسف، الآية: ١٠٢ .

كذلك فيمكن أن يهلك الجماعات مباشرة بسبب الظلم والبغي، كما قال الله تعالى: [وَلَوْ يُعَجِّلُ اللَّهُ لِلنَّاسِ الشَّرَّ اسْتِعْجَالَهُمْ بِالْخَيْرِ لَقُضِيَ إِلَيْهِمْ أَجْلُهُمْ] ^(١).

التأجيل:

كما وجدت مدة معينة في الماديات عند ظهور كل عمل فهكذا في المعنويات فإن لها مدة معينة ووقت محدد فبعد انقضاء هذه المدة تظهر نتيجة الأعمال.

المؤلف (المولانا آزاد) يذكر له مثالا ويقول : إذا وضع الماء على النار فهو لا يغلي مباشرة بل يأخذ وقتا معينا، ونحن نتظر لعليانه هكذا لظهور نتائج الأعمال أيضا وقت معين الذي يقال له تأجيل، وهذا التأجيل لعمل الحق والباطل كلاهما، التأجيل يعطي فرصة لعمل الحق لكي ينموا ويشأ عمل الحق في هذه المدة و أما للباطل فيعطيه الفرصة حتى يتم إقامة الحجة عليه، فالتأجيل للباطل ليس إلا لإتمام الحجة. ويكون هذا التأجيل حسب مقتضى الحال فأحيانا يكون قليل وأحيانا يكون كثيرا جدا، واليه الإشارة في قول الله تعالى : [فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُلْ آذَنْتُكُمْ عَلَىٰ سَوَاءٍ وَإِنْ أُذِرِي أَقْرَبُ أَمْ بَعِيدُ مَا تُوعَدُونَ (١٠٩) إِنَّهُ يَعْلَمُ الْجَهْرَ مِنَ الْقَوْلِ وَيَعْلَمُ مَا تَكْتُمُونَ (١١٠) وَإِنْ أُذِرِي لَعَلَّهُ فِتْنَةٌ لَكُمْ وَمَتَاعٌ إِلَىٰ حِينٍ] ^(٢)

مقياس التوقيت لقوانين الفطرة:

لا يمكن تقييم هذا التأجيل حسب توقيت ايماننا هذا لأن دائرة أعمال الفطرة وسيع جدا، فأكبر توقيتنا لا يزيد من يوم واحد حسب توقيت الفطرة، فلا يمكن قياس ايماننا على حساب أيام الفطرة الله تعالى، كما قال الله تعالى: [وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ وَلَنْ يُخْلِفَ اللَّهُ وَعْدَهُ وَإِنَّ يَوْمًا عِنْدَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ (٣) (٤٧) وَكَأَيِّنْ مِنْ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ ثُمَّ أَخَذْنَاهَا وَآلِي الْمَصِيرِ] ^(٤).

^١ - سورة يونس، الآية: ١١، وأم الكتاب ص ١١٩-١٢٤.

^٢ - سورة الأسياء، الآيات إلى ١٠٩.

^(٣) فيه ثلاثة أوجه: أحدها: أن يوما من الأيام التي خلق الله فيها السموات والأرض كألف سنة. قاله محاهد. الثاني: أن طول يوم من أيام الآخرة كطول ألف سنة من أيام الدنيا في المدة. الثالث: أن ألم العذاب في يوم من أيام الآخرة كألف سنة من أيام الدنيا في الشدة وكذلك يوم العيم.. أنظر: الكت والعيون، للماوردي. ٣٣\٤.

^٤ - سورة الحج، الآيات إلى ٤٨.

استعجال بالعذاب:

في الآيات المذكورة آنفاً عبر عن أكبر خطأ للفكر الإنساني بـ "استعجال بالعذاب" وهذا الخطأ ليس فقط لمنكري الحق وقت ظهور الإسلام بل هذا الخطأ وجد في كل زمان بسبب تقصير نظر الإنسان وكان الإنسان بدل أن يستفيد من هذا التأجيل أصبح يجري في الشر والفساد وكان الإنسان يقول إن كان للحق والباطل نتيجة فأين تلك النتيجة؟ ولماذا لا تظهر مباشرة؟ فالقرآن الكريم ينقل فكرة المشركين في جواب الإنسان ويقول إن كان في الكون لا يوجد قانون الرحمة فتظهر نتيجة الأعمال مباشرة وكان الإنسان يهلك بسبب أعماله مباشرة، ولكن هنا يعمل قانون الرحمة وهو يقتضي أن يعطى للحق والباطل التأجيل، ثم يفتح عليهم باب العفو والتوبة وليس هناك حد للعفو ولا للتأجيل^(١) وهذا كله بسبب الرحمة، قال الله تعالى: [وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ] (٧١) قُلْ عَسَى أَنْ يَكُونَ رَدِفَ لَكُمْ بَعْضُ الَّذِي تَسْتَعْجِلُونَ (٧٢) وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَشْكُرُونَ^(٢). وقال: [وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ وَلَوْلَا أَجَلٌ مُسَمًّى لَجَاءَهُمُ الْعَذَابُ وَلَيَأْتِيَنَّهُمْ بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ] (٣). وقال: [وَمَا نُؤَخِّرُهُ إِلَّا لِأَجَلٍ مُعَدُودٍ] (٤).

(١) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم فيما يحكي عن ربه عز وجل قال: (أدب عدا دُبا فقال اللهم اغفر لي ذنبي فقال تارك وتعالى أدب عدي دبا فعلم أن له رباً يعفو الذنب ويأخذ بالذنب ثم عاد فأدب فقال أي رب اغفر لي ذنبي - فذكر مثله مرتين، وفي آخره: اعمل ما شئت فقد عفرت لك. أخرجه مسلم في صحيحه، رقم (٢٧٥٨)، في كتاب التوبة، باب: قبول التوبة من الذنوب وإن تكررت. ٢١١٢/٤.

قال القرطبي: وفيه دليل على صحة التوبة بعد نقصها بمعاودة الذنب، لأن التوبة الأولى طاعة وقد انقضت وصحت، وهو محتاج بعد موافقة الذنب الثاني إلى توبة أخرى مستأنفة، والعود إلى الذنب وإن كان أقبح من ابتدائه، لأنه أضاف إلى الذنب نقض التوبة، فالعود إلى التوبة أحسن من ابتدائها، لأنه أضاف «٢» إليها ملازمة الإلحاح باب الكريم، وإبه لا عامر للذنوب سواء. أنظر: الجامع لأحكام القرآن. لأبو عبد الله محمد بن أحمد تيسر الدين القرطبي. تحقيق: أحمد الردوي وإبراهيم أطفيتش. ط: دار الكتب المصرية - القاهرة. ٢١٢٤.

٢ - سورة النمل، الآية: ٧٢.

٣ - سورة العنكبوت، الآية: ٥٣.

٤ - سورة هود، الآية: ١٠٤.

العاقبة للمتقين:

كما عرفنا سابقا أن تأجيل الحياة والعمل كان للجميع لكونه مقتضى الرحمة ولكن ليس المراد من التأجيل بأنه لا يوجد قانون لنتائج الأعمال بل في الأخير يتضح بأن الفلاح يكون للمتقين، كما قال الله تعالى: [قُلْ يَا قَوْمِ اعْمَلُوا عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ إِنِّي عَامِلٌ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَنْ تَكُونُ لَهُ عَاقِبَةُ الدَّارِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ] ^(١).

ثم تدبروا في جميع أماكن القرآن الذي فيه نفي النجاح للأعمال الفاسدة مثل الظلم والفساد والفسق وغيرها، وأثبت الفلاح للأعمال الصالحة فيه أيضا إشارة إلى هذه الحقيقة. ومن تلك الأماكن الذي فيه النفي للفلاح للأعمال الفاسدة هذه: ١- [إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ] ^(٢) ٢- [إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْمُجْرِمُونَ] ^(٣) ٣- [إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ] ^(٤) ٤- [إِنَّ اللَّهَ لَا يُصْلِحُ عَمَلَ الْمُفْسِدِينَ] ^(٥) ٥- [وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ] ^(٦) ٦- [وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ] ^(٧) وغيرها من الأماكن.

والمقصود من هذا الكلام هو بيان قانون الفطرة بأن للظالم لا يوجد الفلاح، ولا يفلح الذين يظلمون، وليس المراد منه بأن الله تعالى يغلق عليه أبواب الهداية والرشاد ويجبره على العيش في حياة الضلالة والعميان ^(٨).

التمتع:

يستعمل القرآن في بعض الأماكن مصطلح (التمتع) ويقصد بذلك مدة الإنتفاع من الحياة التي أعطيت للجميع على حد سواء، كقوله تعالى: (بَلْ مَتَّعْنَا هَؤُلَاءِ وَآبَاءَهُمْ حَتَّىٰ طَالَ عَلَيْهِمُ الْعُمُرُ) ^(٩).

^١ - سورة الأنعام، الآية: ١٣٥ .

^٢ - سورة الأنعام، الآية: ٢١ .

^٣ - سورة يونس، الآية: ١٧ .

^٤ - سورة المؤمنون، الآية: ١١٧ .

^٥ - سورة يونس، الآية: ٨١ .

^٦ - سورة البقرة، الآية: ٢٦٤ .

^٧ - سورة البقرة، الآية: ٢٥٨ .

^(٨) يقول المولانا أراد -رحمه الله- تحت هذه الآيات : وللأسف الشديد أن مفسرينا القدامى لم تفكروا ولم تدبروا في ترجمة هذه الأماكن لذا ما وصح المطالب في شكله الأصلي. أنظر: أم الكتاب لمولانا آزاد ص-١٠٨.

^٩ - سورة النساء، الآية: ٤٤ .

هكذا القرآن يركز على هذه الحقيقة بتعبيرات مختلفة مثل: ١- [وَمَتَّعْنَاهُمْ إِلَىٰ حِينٍ] ٢- [وَمَتَّاعٌ إِلَىٰ حِينٍ] ٣- [فَتَمَتَّعُوا فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ] وغيرها .

قانون قضاء بالحق وأحوال الأقوام والجماعات:

قانون القضاء بالحق ينطبق على أحوال الأقوام والجماعات من حيث عروجها وزوالها، وكما يجري هذا القانون في الأفراد والأجسام فهو يجري كذلك في الأقوام والجماعات، وذكرنا آنفاً بأن قانون بقاء الأنفع يبحث في الكون فيبقى الأشياء المفيدة ويزيل أشياء الغير المفيدة، فكذلك هذا القانون يبحث في الجماعات فتبقى الجماعة المفيدة وتنتهي الغير مفيدة وهو مقتضى الرحمة لأنه إذا لم يكن كذلك فالظلم والطغيان يزيدان في الكون ولا يوحد حينئذ أي طريق للمنع منهما غير طريق هذا القانون، قال الله تعالى: [وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ وَلَكِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ] ^(١).

وفي مقام آخر ذكر هذه الحقيقة بالفاظ أخرى فيقول: [وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَهْجَمَتْ صَوَامِعُ وَبِيْعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ] ^(٢).

وكما عرفنا أن في جميع أمور الكون يعمل قانون التدريج والإمهال هكذا في الأقوام والجماعات أيضا يجري هذا القانون، وحسب أحوالهم يفتح لهم باب الإنابة والإصلاح وهذا كله بمقتضى الرحمة، كما قال الله تعالى: [وَقَطَّعْنَاهُمْ فِي الْأَرْضِ أُمَمًا مِنْهُمْ الصَّالِحُونَ وَمِنْهُمْ دُونَ ذَلِكَ وَبَلَوْنَاهُمْ بِالْحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ] ^(٣).

كما وضع الله تعالى الأسباب والعلل لتغيير الاجسام وقرر لهم مدة معينة ومقدارا معيناً هكذا لزوال الاقوام ولهلاكها أيضا توحد موجبات التهليك حسب مدة ومقدار معين يقال لها "أجلها" فعندما لا يأتي هذا الأجل المقرر فالقانون الإلهي يعطي لهم التسيهات إلى وقت إتيان الأجل أوقضاها، كما قال الله تعالى: [أَوَلَا يَرَوْنَ أَنَّهُمْ يُفْتَنُونَ فِي كُلِّ عَامٍ مَرَّةً أَوْ مَرَّتَيْنِ ثُمَّ لَا يَتُوبُونَ وَلَا هُمْ يَذَّكَّرُونَ] ^(٤).

^١ - سورة النقرة، الآية: ٢٥١ .

^٢ - سورة الحج، الآية: ٤٠ .

^٣ - سورة الأعراف، الآية: ١٦٨ .

^٤ - سورة البرة الآية: ١٢٦ .

فإذا انتهى مدة التنبيه وما استفادوا من هذا الاجل فيأتي أمر الله بالقرار الذي لا رجوع فيه، وهذا القضاء لا يتقدم عن أجله المسمى ولا يتأخر، كما أشار إليه الله عز وجل في قوله: [وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ فَإِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ] ^(١). [وَمَا أَهْلَكْنَا مِنْ قَرْيَةٍ إِلَّا وَلَهَا كِتَابٌ مَعْلُومٌ (٤) مَا تَسْبِقُ مِنْ أُمَّةٍ أَجَلَهَا وَمَا يَسْتَأْخِرُونَ] ^(٢)

فقانون القضاء بالحق وبقاء الأنعم يغير الأقوام الماضية ويأتي مكانها قوم آخر وهذا كله بحسب مقتضى الرحمة، كقوله تعالى: [ذَلِكَ أَنْ لَمْ يَكُنْ رَبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرَى بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا غَافِلُونَ (١٣١) وَلَكِنْ دَرَجَاتٍ مِمَّا عَمِلُوا وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ (١٣٢) وَرَبُّكَ الْغَنِيُّ ذُو الرَّحْمَةِ إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَسْتَخْلِفَ مِنْ بَعْدِكُمْ مَا يَشَاءُ كَمَا أَنْشَأَكُمْ مِنْ ذُرِّيَّةٍ قَوْمٍ آخَرِينَ] ^(٣).

الحياة الفردية والعقاب الديني:

إن عقاب أعمال الحياة الفردية لا يتعلق بالحياة الدنيوية وهذه القضية تركت للأخرة، لأن في الدنيا إمهال الحياة وكسب المعاش سواء للخير والشر، لأن الرحمة تقتضي أن لا يكون هناك تمييز في تسهيل الحياة الدنيا بل يكون للجميع على حد سواء.

ثم هذه الحياة الفردية للإنسان لها قسمين: قسم يتعلق بالحياة الدنيوية الذي فيه الإمهال والتأجيل، وقسم يتعلق بالحياة بعد الموت الذي فيه العقاب وجزاء الأعمال، قال الله تعالى: [وَرَبُّكَ الْغَفُورُ ذُو الرَّحْمَةِ لَوْ يُؤَاخِذُهُمْ بِمَا كَسَبُوا لَعَجَلْ لَهُمُ الْعَذَابَ بَلْ لَهُمْ مَوْعِدٌ لَنْ يَجِدُوا مِنْ دُونِهِ مَوْئِلًا] ^(٤). وأيضاً قال: [هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ طِينٍ ثُمَّ قَضَى أَجَلًا وَأَجَلٌ مُسَمًّى عِنْدَهُ ثُمَّ أَنْتُمْ تَمْتَرُونَ] ^(٥).

١ - سورة الأعراف، الآية: ٣٤ .

٢ - سورة احجر، الآتان: ٤ - ٥ .

٣ - سورة الأنعام، الآيات من ١٣١ إلى ١٣٣ .

٤ - سورة الكهف، الآية: ٥٨ .

٥ - سورة الأنعام، الآية: ٢ .

التوبة والإنابة وتأجيل القوانين المعنوية:

كما ترون في عالم الأجسام بأن لكل فساد نتيجة التي لا بد وقوعها، ولكن رغم ذلك لا يغلق باب الإنابة والتوبة ويعطى لهم التأجيل فإذا جاء الإصلاح أثناء التأجيل يقبل منه هذا الإصلاح هكذا في نظام قوانين المعنوية باب التوبة مفتوح أيضا ، فأَيُّ خطأ، وأَيُّ جريمة، أَيُّ فساد مهما أكبر في نوعه وعظيم في مقداره إذا تاب الإنسان وأُتاب إلى الله فالرحمة الإلهية تقبل توبته، وقطرة واحدة من دموع الندم يغسل جميع أخطائه ويصبح المذنب كما لا ذنب له، كما كان في الحديث الشريف: {التَّائِبُ مِنَ الذَّنْبِ كَمَنْ لَا ذَنْبَ لَهُ} ^(١). وقوله تعالى: [إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَأُولَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا] ^(٢).

سعة الرحمة الإلهية ومغفرتها:

في سلسلة الإنابة والتوبة القانون الذي قدمه القرآن حول رحمة الله تعالى ومغفرته لا يكون له حد ولا نهاية، فمهما كانت الخطايا والمعاصي ومهما مضت المدة عليها ولكن إذا حضر الإنسان على باب رحمة الله تعالى وتاب فلا بد له المغفرة والرحمة ويقبل توبته، كما قال الله تعالى مشيرا إلى هذه الرحمة: [قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ] ^(٣).

^١ - أحرجه ابن ماجة محمد بن يزيد القروي في سنده من حديث (أبي عبيدة بن عبد الله، عن أبيه) برقم (٤٢٥٠) في تاب

ذكر التوبة، حكم الأنبياء: حسن. تحقيق: محمد فواد عبد الباقي، (ب.ت). ط: دار إحياء الكتب العربية، فيصل عيسى النابي الخليلي. ١٤١٩ \ ٢.

^٢ - سورة العنكبوت، الآية: ٧٠.

^٣ - سورة الرعد، الآية: ٥٣، أم الكتاب ص ١٢٤-١٣٤.

المبحث الرابع : مفهوم العقائد الدينية وحقيقة اختلاف الشرائع .
ويشتمل على مطلبين :
المطلب الأول : مفهوم العقائد الدينية في ضوء الرحمة .
المطلب الثاني : اختلاف الشرائع ، وحقيقة دعوة المسيح
عليه السلام .

المطلب الأول: مفهوم العقائد الدينية في ضوء الرحمة.

التصور الذي قدمه القرآن للإنسان حول العقائد والأعمال الدينية كذلك مبني على الرحمة والمحبة لأن الحياة الروحية^(١) للإنسان ليست منفصلة عن نظام الكون الكامل بل هي ركن متكامل لذلك الكون فكما أن جميع نظام الكون مبني على الرحمة فيجب أن تكون ناحية الحياة الروحية أيضاً مبني على الرحمة والمحبة.

العلاقة بين الله وعباده علاقة المحبة:

يشير القرآن الكريم إلى هذه الحقيقة في كثير من الأماكن ويذكر بأن العلاقة بين الله وبين عباده مبنية على المحبة، والعبودية الصادقة هي التي المعبود فيه ليس معبود فحسب بل يكون المحبوب أيضاً، كما قال الله تعالى: [وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ وَالَّذِينَ آمَنُوا

(١) لهذه الحياة الروحية دور كبير في سعادة الإنسان وإمّا حاجة روحية كما أن الحياة المادية حاجة حسمية. وكما أن الحسم إذا حرم من حاجته فلا بد من أنه يصاب بأضرار أو أمراض. كذلك إذا حرمت الروح من حاجتها يصاب الإنسان بأمراض روحية وإن كان هناك فرق بين هذين النوعين من الأمراض وطريقة الإصابة بهما، إذ أن إصابة الإنسان بالأمراض الحسية نتيجة الحرمان من العداء المادي يكون سريعاً، أما بالنسبة للأمراض الروحية فإن الإنسان قد لا يشعر سريعاً بصير الحرمان كما لا يصاب هذه الأمراض بعد الحرمان مباشرة بل قد يظهر أثر ذلك بعد مدة طويلة وقد لا يشعر المريض أن سبب ذلك هو حرمانه من الحياة الروحية، ولهذا يبين الله أن من أهمل الحياة الروحية أو أعرض عنها فإنه يعيش حينئذ حياة شقية فقال: (ومن أعرض عن ذكري فإن له معيشة ضكاً) (طه/ ١٢٤). (.. أَلَا يَذْكُرُ اللَّهُ تَطْمِئِنُّ الْقُلُوبُ) (الرعد/ ٢٨)، (إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ) (البقرة/ ٢٧٧). فالأمراض التي تؤدي إليها إهمال الحياة الروحية يمكن تقسيمها إلى قسمين الأول: الأمراض المباشرة مثل الشعور بالضيق والقلق والإضطرابات والكآبة والشعور بالضعف أمام المسؤوليات والإهيار أمام المشكلات وقد ينتهي ذلك بالإنتحار. والقسم الثاني: من الأمراض تلك التي تؤدي إلى إعدام الحياة الروحية وهي بدورها قسمان: القسم الأول الأمراض الحسية التي تتأثر بالحالات النفسية المرضية السانقة والثاني الرذائل الأخلاقية والحرائم التي يرتكها الذين اعتمدت عندهم الحياة الروحية ثم تؤدي هذه الأمراض الأخلاقية إلى الأمراض الحسية. ومن العجيب أن الرسول قد أشار إلى مثل هذه الأمراض التي أنبتها العلماء أحياناً فقال مثلاً: "من ساء خلقه عدت نفسه ومن كثر همه سقم بده". وكذلك نجد القرآن الكريم قد أشار إلى ذلك فقال تعالى: (يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَنَسَاءٌ لِمَا فِي الصُّدُورِ...) (يونس/ ٥٧). ويقول الفخر الرازي وتفسير هذه المندية "إن محمداً (ص) كان الضيق الحادق وهذا القرآن عبارة عن مجموع أدويته التي تترتبها تعالج القلوب المريضة". وستخلص من هذا كله أنه يجب علينا أن ننظم حياتنا وفقاً للمعايير الإسلامية العامة التي تحدد منهج الإسلام للحياة الإنسانية. انظر: علم الأخلاق الإسلامية، لمقاد يالحس محمداً علي. ط: دار عالم الكتب للطباعة والنشر - الرياض (١٩٩٢م). ٧٣١١.

أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ^(١) . وقال: [قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ]^(٢) .

وفي مواضع مختلفة هو يركز على هذه الحقيقة ويذكر بأن أساس الإيمان بالله هي محبة الله ومحبوبته، كقوله تعالى: [يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ]^(٣) .

ومن يريد أن يحب مع الله تعالى فينبغي أن يحب عباد الله تعالى لأن طريق محبة الله يجري من طريق محبة عباد الله تعالى، كقوله تعالى: ١- [وَأَتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ]^(٤)، ٢- [يُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا (٨) إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكُورًا]^(٥) .
وفي الحديث وضحت هذه الحقيقة بصفة عامة مؤثرة :

[عن أبي هريرة رضي الله عنه قال، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يَقُولُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ: يَا ابْنَ آدَمَ مَرَضْتُ فَلَمْ تَعُدْنِي، قَالَ: يَا رَبِّ كَيْفَ أَعُودُكَ؟ وَأَنْتَ رَبُّ الْعَالَمِينَ، قَالَ: أَمَا عَلِمْتَ أَنَّ عَبْدِي فَلَانًا مَرَضَ فَلَمْ تَعُدْهُ، أَمَا عَلِمْتَ أَنَّكَ لَوْ عُدْتَهُ لَوَجَدْتَنِي عِنْدَهُ؟ يَا ابْنَ آدَمَ اسْتَطْعَمْتُكَ فَلَمْ تُطْعِمْنِي، قَالَ: يَا رَبِّ وَكَيْفَ أَطْعِمُكَ؟ وَأَنْتَ رَبُّ الْعَالَمِينَ، قَالَ: أَمَا عَلِمْتَ أَنَّهُ اسْتَطْعَمَكَ عَبْدِي فَلَانٌ، فَلَمْ تُطْعِمْهُ؟ أَمَا عَلِمْتَ أَنَّكَ لَوْ أَطْعَمْتَهُ لَوَجَدْتَ ذَلِكَ عِنْدِي، يَا ابْنَ آدَمَ اسْتَسْقَيْتُكَ، فَلَمْ تَسْقِنِي، قَالَ: يَا رَبِّ كَيْفَ أَسْقِيكَ؟ وَأَنْتَ رَبُّ الْعَالَمِينَ، قَالَ: اسْتَسْقَاكَ عَبْدِي فَلَانٌ فَلَمْ تَسْقِهِ، أَمَا إِنَّكَ لَوْ سَقَيْتَهُ وَجَدْتَ ذَلِكَ عِنْدِي]^(٦) .

^١ - سورة البقرة، الآية ١٦٥ .

^٢ - سورة آل عمران، الآية: ٣١ .

^٣ - سورة المائدة، الآية: ٥٤ .

^٤ - سورة البقرة، الآية: ١٧٧ .

^٥ - سورة الإنسان، الآيتان: ٨ - ٩ .

^٦ - رواد مسلم في صحيحه عن حديث أبي هريرة برفق (٢٥٦٩). في باب (فصل عيادة المريض). ط: دار إحياء التراث

العربي، بيروت - لبنان. ١٩٩٠/٤ .

الأعمال والعبادات والأخلاق:

جميع الأشكال والأنواع للأعمال والعبادات التي ذكرها القرآن، وجميع الأمور من الأخلاق والحاصلات التي ركز عليها، وجميع الأصول والمبادئ التي ذكر في الاوامر والنواهي تعمل فيها هذه الحقيقة (الرحمة والمحبة).

القرآن رسالة لرحمة الإلهية:

صفة الرحمة فيه واضحة جداً بين جميع صفات الإلهية التي ذكرت في القرآن ولو جمعت الأماكن التي ذكرت فيها هذا الوصف فإنها تبلغ أكثر من ثلاثمائة أماكن تقريباً، وإذا جمعت معها الأماكن التي ذكر فيها متعلقات الرحمة مثل الربوبية، المغفرة، الرأفة، الكرم، الحلم، العفو وغير ذلك فيصل العدد إلى أكثر من هذا الحد وبالتالي يمكن أن يقال أن القرآن ليس إلا رسالة الرحمة الإلهية.

وحقيقة الإسلام التي أخبرنا بها الرسول (صلى الله عليه وسلم) بقوله وعمله فإنه جميعها تدور حول الوجدانية في عبودية الله تعالى، وهناك حديث مشهور الذي على لسان كل واعظ مسلم وهو: {إِنَّمَا يَزَحْمُ اللَّهُ مِنْ عِبَادِهِ الرَّحْمَاءُ} ^(١) أي رحمة الله لمن يرحم على عباد الله تعالى. كذلك قال النبي -صلى الله عليه وسلم-: {ارْحَمُوا مَنْ فِي الْأَرْضِ يَزَحْمَكُم مِّنْ فِي السَّمَاءِ} ^(٢).

وليس هذا فحسب بل التصور الذي قدمه الاسلام حول الترحم والشفقة أوسع جداً حتى الحيوانات لا يخرجون منه، فهناك أكثر من المرويات التي يوجد فيه هذا البيان بأن رحمة الله لمن يرحم على الحيوانات

^١ - أخرجه مسلم في صحيحه من حديث أسامة بن زيد رقم (٩٢٣) في باب الكاء على الميت. ٦٣٥/٢.

^٢ - أخرجه الترمذي في سننه برواية عبد الله بن عمر رضي عنهم (١٩٢٤) في باب ما جاء في رحمة المسلمين. حكم الحديث: صحيحه الألباني. وقال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح. تحقيق وتعليق: أحمد محمد شاكر، الطبعة الثانية، عام ١٩٧٥م، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى الناي اخلي- مصر. ٣٢٣/٤. ويقول مولا آزاد -رحمه الله-: روي مسلسلاً من طريق الشيخ محمود الشكري آلوسي العراقي، وايضا عن والدي المرحوم عن الشيخ صدر الدين الدهلوي عن طريق الشيخ أحمد ولي الله الدهلوي رحمهم الله، أنظر: تفسير أم الكتاب ص ١٣٩ ط: اسلامي اكادمي لاهور

ولو تكون على العصفورة، كما جاء في الحديث الشريف : { مَنْ رَحِمَ، وَلَوْ ذَبِيحَةً عُصْفُورٍ رَحِمَهُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ }^(١).

خلق خاصية صفات الله في نفس الإنسان:

إن الله خلق الإنسان على هذه الإرادة بأنه يخلق في نفسه خاصية صفات الله تعالى (العفو والتراحم والمحبة وغيرها)، فالإنسان حد لإنتهاء درجة الحيوانية ويبدأ به المرحلة ما فوق الحيوانية، فجوهر الإنسانية يرفعه عن درجة الحيوانية ويمتاز به عن درجة الحيوانات، بأن كمال الإنسانية هو أن تتمثل منه خاصية الصفات الإلهية، فلذا كلما ذكر القرآن الصفات الخاصة للإنسان فإنه ينسبه مباشرة إلى الله تعالى حتى عبر عن جوهر الإنسانية بنفخ روح الله، كما قال تعالى: [ثُمَّ سَوَّاهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِنْ رُوحِهِ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ]^(٢).

أي نفخ الله في آدم عليه السلام من روحه وبسببه أشرق فيه العقل والحواس فالقرآن يصور لنا رحمة الله لأنه يريد أن يبرز فينا مظهر هذه الصفات، لذا فهو يذكر أمامنا نظام الربوبية وخصائصها ولطف الله وكرمه ويريد بذكر هذه الصفات أن نتخلق في أجسامنا هذه الصفات كالجود، والرحمة، والعفو ويقول لنا بأن تترحم على عباد الله وتعفو عنهم، فإذا نحن ما عفونا عن أخطاء عباد الله فكيف نرجوا من رحمة الله أن يعفو عن أخطائنا، ولا يكون لنا الحق حينئذ أن نرجو مغفرة الله ورحمته^(٣).

^١ - أخرجه الطبراني في المعجم الكبير عن رواية أبي أمامة رضي الله عنه (٧٩١٥) في باب الوليد بن حميل الدمشقي، عن القاسم. حسبه الألباني. تحقيق: حمدي بن عبد المحيد السلفي، الطبعة الثانية، ١٩٩٦ م. ط: مكتبة ابن بيمية، القاهرة - مصر. ٢٣٤/٨.

^٢ - سورة السجدة، الآية: ٩.

^(٣) أم الكتاب ص ١٣٥-١٤٠.

المطلب الثاني: اختلاف الشرائع وحقيقة دعوة المسيح - عليه السلام -.

حقيقة اختلاف الشرائع:

القرآن ما قال في سلسلة الأحكام والشرائع بأن أحبوا أعدائكم حقيقة لأن هذا القول لا يمكن أن يكون حقيقة بل يكون مجازاً ومعناه أن تغفروا عن أعدائكم فمن غفروا عن الأعداء فيطهر قلبه من الغص والتلوث، فالقرآن يشير إلى هذا العفو ويقول: [وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ] ^(١).

ويقول: [وَالَّذِينَ صَبَرُوا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً وَيَدْرَءُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ أُولَئِكَ لَهُمْ عُقْبَى الدَّارِ] ^(٢). ويقول: [وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ] ^(٣). وأيضاً قال: [وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ] (٣٤) وَمَا يُلْقَاهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلْقَاهَا إِلَّا ذُو حِظٍّ عَظِيمٍ] ^(٤).

والقرآن (الله) مامنع الإنسان من أخذ الانتقام وكيف يمكن أن يجمع والحال أن أخذ الانتقام خاصة فطرة الإنسان وحفظ النفس متوقف على ذلك، ولكن أيما حرص له بالانتقام هنا رغبه وشجعه بالعفو وفعل الخير بدلا من الشر، وهذا الترغيب مؤثر جدا حيث لا يمكن للشخص الورع أن لا يتأثر به، كما قال الله تعالى: ١- [وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُمْ بِهِ وَلَئِن صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِلصَّابِرِينَ] ^(٥)

٢- [وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةً مِّثْلُهَا فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ] ^(٦)

^١ - سورة آل عمران، الآية: ١٣٤.

^٢ - سورة الرعد، الآية: ٢٢.

^٣ - سورة السورى، الآية: ٥٣.

^٤ - سورة فصلت، الآية: ٣٥.

^٥ - سورة المحل، الآية: ١٢٦.

^٦ - سورة التورى، الآية: ٤٠، وأم الكتاب ص ١٤٠-١٤٢.

تعاليم الإنجيل والقرآن:

لقد قلنا آنفا لما نقلنا آيات العفو بأن القرآن لم يقل بأن تحبوا أعدائكم لأنه لا يكون حقيقة بل يكون مجازاً، فلا بد بأن ننبه ذلك بإيجاز.

إن المسيح عليه السلام ركز على التضحية الأخلاق من الرحمة والمحبة والعفو بدلا من تألية اليهود للعمادة وحرمانهم من القيم الأخلاقية مكان سوء الخلق مع اليهود، لذا نجد بمثل هذه الخطابات في مواعظ الإنجيل بكثرة حيث يقول: {سَمِعْتُمْ أَنَّهُ قِيلَ: عَيْنٌ بِعَيْنٍ وَسِنٌّ بِسِنٍّ} (١). {وَأَمَّا أَنَا فَأَقُولُ لَكُمْ: أَحِبُّوا أَعْدَاءَكُمْ. بَارِكُوا لَاعِينِكُمْ. أَحْسِنُوا إِلَى مُبْغِضِكُمْ وَصَلُّوا لِلَّذِينَ يُسِيئُونَ إِلَيْكُمْ وَيَطْرُدُونَكُمْ} (٢). هكذا {وَأَمَّا أَنَا فَأَقُولُ لَكُمْ: لَا تُقَاوِمُوا الشَّرَّ بَلْ مَنْ لَطَمَكَ عَلَى خَدِّكَ الْأَيْمَنِ فَحَوِّلْ لَهُ الْآخَرَ أَيْضاً} (٣).

ثم يقول المؤلف سائلا: السؤال هو ماذا كانت نوعية هذه الخطابات؟ هل كانت هذه الخطابات لبيان الإيتار وفضائل الأخلاق أم كانت للتشريع أي لوضع القانون؟.

للأسف الشديد لقد تعثر معتقدوا الإنجيل ومعارضوه في هذه المواطن كلاهما ابتلوا جداً انفسهم بأنه كان تشريعا، ولذا فإنهم استسلموا بأن هذه الأحكام غير قابلة للعمل، وظن المعتقدون بأن هذه هي أحكام المسيحية فقط هذه ولكن يكفي للعمل على هذه الأحكام أن في أوائل العهد عمل بها بعض الأولياء والشهداء، وأما المعارضون عليها قالوا بأن هذه الأحكام كانت مجرد نظريات غير قابلة للعمل، باعتبار الظاهر هي جميلة جدا ولكن باعتبار العمل ليست لها أي قيمة وهو خلاف لفطرة الإنسان .

وفي الحقيقة هذا ظلم عظيم للنوع الإنساني الذي جوروه مع هذا المعلم العظيم للتاريخ الإنساني، وكما أن المكربين والمعارضين ما بذلوا جهدهم في فهم هذه الخطابات، وهكذا فإن المعتقدين الجاهل أنكروا فهمها وإدراكها.

(١) إنجيل متى : ٣٨/٥

(٢) إنجيل متى : ٤٤/٥

(٣) إنجيل متى : ٣٩/٥

الإعتقاد بأن دعوة المسيح خلاف فطرة الإنسان هو تفريق بين الرسل:

كيف يمكن أن يظل الإنسان الذي يكون معترفا بصدق القرآن أن دعوة المسيح عليه السلام خلاف لفطرة الإنسان ولذا فهو غير قابل للتطبيق؟!

في الحقيقة هذا الإعتقاد لا يجتمع مع صدق القرآن ولو افترضنا فمعناه أنا رفضا صدق دعوة المسيح عليه السلام لأن كل دعوة التي يخالف لفطرة الإنسان لا يمكن صدقها وهذا الإعتقاد فقط لا يكون مخالفا لتعليمات القرآن بل هو يزلزل أساس دعوة القرآن، لأن أصل القرآن هو تصديق بجميع الرسل، والإعتراف بأن كلهم أرسلوا لدعوة التوحيد والألوهية، والقرآن يقول إن أكبر خطأ أهل الديانات هو "التفريق بين الرسل" أي الأيمان ببعضهم وتكذيب للبعض لذا القرآن أشار إلى طريق الحق الذي هو الإسلام حيث قال: [لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ] ^(١).

وبالإضافة إلى ذلك فإن القرآن الكريم في كثير من الأماكن صرح بأن المسيح عليه السلام هو رسول الرحمة والمحبة وفي مقابلة غلظة اليهود وقساوتهم مدح أخلاق الديانة المسيحية بوصفها بالرفقة والرافة، كقوله تعالى: [وَلِنَجْعَلَهُ آيَةً لِلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِنَّا وَكَانَ أَمْرًا مَقْضِيًّا] (٢) [وَجَعَلْنَا فِي قُلُوبِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ رَأْفَةً وَرَحْمَةً] ^(٣).

ثم ينبغي أن نتذكر بأن جميع الأوصاف التي يذكر القرآن عن نفسه يذكرها عن التوراة والإنجيل أيضا، فنحن نقرأ عن الإنجيل في القرآن حيث يقول: [وَاتَّبَعْنَاهُ الْإِنْجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ وَمُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَةِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةً لِلْمُتَّقِينَ] ^(٤). فإذا كانت دعوة المسيح خلاف الفطرة الإنسانية وغير قابلة للعمل فكيف يمكن أن تكون نور الهداية وموعظة للمتقين.

^١ - سورة النقر، الآية: ١٣٦ .

^٢ - سورة مريم، الآية: ٢١ .

^٣ - سورة الحديد، الآية: ٢٧ .

^٤ - سورة المائدة، الآية: ٤٦ .

حقيقة دعوة المسيح - عليه السلام -:

الحقيقة بأن نوعية دعوة المسيح - عليه السلام - فهم على أساس خاطئ، والإنسان ما أخطأ في الدنيا بسبب إنكاره، فإنه يضل دائما بسبب سوء تفاهمه .

ظهر سيدنا المسيح - عليه السلام - في العهد الذي كانت فيه أخلاق اليهود منحطة وكانوا يعملون على ظاهر الأحكام والعادات بدل التزكية الأخلاق ومحاسنها وكانوا يظنون ذلك دينا وتقوى، وكانت غير اليهود الأقوام المتحضرة الذين كانوا يسكنون بقرهم وجوارهم مثل "الروم" و"المصريون" و"الآشوريون" هم كانوا غير مدركين لروح الرحمة والمحبة الإنسانية أبدا، فالناس قد عموا بضرورة معاقبة المحرمين ولكنهم ما عرفوا بأن الرحمة والشفقة والعفو يتسدد حلق الجرائم، كانوا يقتلون الناس بطرق مخيفة وكانوا يلقون الإنسان أمام الحيوانات والبهائم، وكانوا يحرقون البلاد والمدن المسكونة بدون السب، ويظنون جميع الأقوام عبيدا دون قومهم، وكانوا يفتخرون بالظلم والقساوة القلبية مكان الرحمة والمحبة والحلم، وكان ذلك المهج المؤلف للأخلاق لدى الحضارة الرومية وللآلهة عند الآشوريين والمصريين.

ففي مثل هذه الأحوال كان ضروريا أن يبعث لهداية الناس ذلك الكيان الذي يكون رسول الرحمة والمحبة، والذي يترك الجواب الأخرى للحياة الإنسانية ويصرف همه الرسالية في الإصلاح والتزكية للحالة القلبية والمعنوية.

لذا ظهرت تلك الدات في شخصية المسيح - عليه السلام - التي توجهت إلى الإنسان، وهي لفتت الإنتباه إلى الروح بدل الحسم وإلى القلب بدل اللسان وإلى تركية الباطن بدل الظاهر وحدثت درس الإنسانية المنسية.

الإعتقاد عن مجازات مواعظ المسيح - عليه السلام - بالتشريع خطأ:

إن أبسط الكلام بشرط أن يكون بليعا له مجازاته البلاغية، وبالطبع فإن كان لهذا الكلام البليغ الملهم مجازات لتأثير الكلام ولتحسينه، لكن للأسف الشديد الناس الذين إخترعوا عقائد التثليث^(١) والصلب والفداء^(٢) ما فهموا مقاصد كلام المسيح ومحله، فظنوا المجاز بالحقيقة بسبب سوء تفاهمه .

فإذا قال في وعظه "أحبوا أعدائكم" فكان مجازا وليس معناها بأن أحبوا حقيقة بل معناها بأن اغفوا عنهم وارحموا بهم بدل الغيظ والغضب والكراهة والإنتقام، ففي البيئة التي لا يرحم ولا يحب مع الأعزاء

(١) مراد الصارى بالتثليث كما يقول قاموس الكتاب المقدس هو: إله واحد، الأب، والابن، والروح القدس إله واحد، جوهر (دات) واحد متساوون في القدرة والمجد. ويعسرون هذه العقيدة بقولهم إن تعليم الثالوث يتضمن:

١- وحدانية الله. ٢- لاهوت الأب والابن والروح القدس. ٣- إن الأب والابن والروح القدس أقانيم ٢ يختار كل منهم عن الآخر منذ الأزل وإلى الأبد. ٤- أهم واحد في الجوهر متساوون في القدرة والمجد. ٥- إن بين أقانيم الثالوث تمييزاً أيضاً في الوظائف والعمل، لأن الكتاب يعلم أن الأب والابن والروح القدس واحد في الجوهر، متساوون في القدرة والمجد. ٦- إن بعض أعمال اللاهوت تنسب في الكتاب المقدس إلى الأب والابن والروح القدس مثل خلق العالم وحفظه، وبعض الأعمال تنسب على الخصوص إلى الأب مثل وبعض الأعمال تنسب خصوصاً إلى الروح القدس مثل التحديد والتقديس. أطر: دراسات في الأديان اليهودية والمصرية، لسعود بن عبد العزيز الخلف. ط: مكتبة أصواء السلف، الرياض، المملكة العربية السعودية. ٢٧١/١.

(٢) الصلب: هو التعليق على حتسة الصليب: واليهود والصارى يعتقدون أن المسيح عليه السلام مات مصلوباً، ويرغم اليهود أن المسيح كرم بالله لهذا حملوا عليه وطالبوا بدمه ورغموا أنه مات مصلوباً، والموت على الصليب يستلزم اللعبة عندهم، فقد ورد في سفر التثنية (٢٢/٢١) "وإذا كان على إنسان خطيئة حقها الموت فقتل وعلقته على حتسة فلا تست حنته على الخشنة بل تدفنها في ذلك اليوم. لأن المعلق ملعون من الله." أما الصارى فهم يعتقدون كذلك أن المسيح مات مصلوباً إلا أنهم يعللون ذلك بأنه: صلب فداءً للبشر لتخليصهم من خطيئة أبيهم آدم عليه السلام، وهي أكله من الشجرة التي هي عنها، فانتقلت تلك الخطيئة إلى ألسانه، وأعصت الله عليهم أيضاً، فكان لابد من وسيط يتحمل هذا الإثم ويرضى بأن يموت على الصليب، وهذا الوسيط المحلص في رعمهم لابد أن يكون ذا وضع متميز خال من الإثم والخطأ، ولا يكون هذا إلا ابن الله - الذي هو الله في رعمهم - ثم لابد أن يكتسب الخطيئة عن طريق الحسد فهذا ما جعله يتحسد في صورة عيسى، ويخرج من بطن مريم ثم يموت على الصليب فداءً للبشر، فيرضى الله بذلك عن بني آدم وترتفع عنهم تلك الخطيئة، لأهم يرعمون أن الله حل وعلا منذ وقع آدم في الخطيئة، وهو عصا على بني آدم بسبب الخطيئة، ولابد ساءاً على عدله أن يعدهم، وهو ساءاً على رحمته يجب أن يرحمهم، فأبطل الله ليكون الوسيط والفداء الذي يقع عليه العدل فيعبد على الصليب حتى الموت فيكون موته فداءً لبني آدم فيمكن بعد ذلك رحمة بني آدم لأن العقاب قد حل بالوسيط المحلص، فكان هذا المسيح هو الذي جمع بين عدل الله ورحمته وفتح باب رحمة الله لخلق مرة أخرى. أطر: المصدر السابق ٢٨٥/١.

والأقارب إذا توعظ لهم بأن لا تكرهوا أعدائكم وأن أحبهم فإنه كان أسلوب الجاذب والمؤثر الذي يتأثر في أذهانهم، هكذا إذا قال لهم: "مَنْ لَطَمَكَ عَلَى خَدِّكَ الْأَيْمَنِ فَحَوِّلْ لَهُ الْآخَرَ أَيْضًا" كان أيضا مجاز وليس الحقيقة والمراد بما التحريض على العفو والرحمة والمحبة.

وهذه المجازات البلاغية توجد في جميع اللغات تقريبا، فهذه جهالة كبيرة بأن من يركز على ظاهر الكلام ويترك مقصود الكلام ومفهومه، وإن حملنا هذه المجازات على الظواهر فيختل جميع تعاليم الإلهامية والكلامات الأدبية والبلاغية في كل لغة.

الأصل في أعمال الإنسانية هو العفو والترحم وليس التعزير والإنتقام، وحكم الشريعة في حواز التعزير والإنتقام لا يدل بأن هذا عمل مستحسن بل جوازه يدل بأنه يكون ضروريا في بعض الأحوال الحرة ولكن الناس جعلوا العمل بما في حالة الاختيار بدل العلاج والضرورة حتى أصبح آلة مخيفة لهلاكه الإنسان.

و أتباع شريعة موسى جعلوا الشريعة آلة الخزاء والعقاب، فأثبت المسيح -عليه السلام- أن قانون الشريعة ليس للعقاب بل هداية لسبيل النجاة، وطريق النجاة ليس إلا طريق الرحمة والمحبة التامة.

التمييز بين "العمل" و"العامل":

الحقيقة بشأن هذا الأمر هو أن أكبر الخطأ للوع الإنساني هو بأنه لا يميز بين "العمل" و"العامل"، مع أن حسب تعليم الديانة فإنه يوجد فرق بين كيفية العمل والعامل وليس حكمهما سواء، والمقصد العالمي لجميع الشرائع هو تنفير قلب الإنسان من الإسم والسيئة دون تنفير الإنسان من إنسان آخر، لذا الديانات يركز على التنفير من السيئات والمعاصي ولا يقول بتنفير الفاسق والآثم .

ومثل ذلك كالطبيب الذي يخوف الناس من الأمراض ولكن لا يتنفر من المصابين بالأمراض بل جميع توجه الطبيب يركز على المريض فعندما يرداد المرض فالمريض يستحق للشفقة والمحبة مكان الكراهية والتنفر.

المرض والمريض:

وكما أن طبيب الجسم يخوف الناس عن الأمراض، ويتشع الناس بالرحمة والتعطف للمريض، بنفسه هكذا طبيب الروح والقلل فهو يخوف الناس عن المعاصي لكن نفسه هو رحيم وشفيق للعصاة،

فهو يريد أن يتنفروا الناس من المعاصي ولا يريد تنفير الناس للعصاة، وهنا أخطأوا أتناع الديانات الأولى بأنهم كانوا يتنفرون عن العصاة بدل تنفيرهم للمعاصي والجرائم وكانوا يظنون العصاة بأنهم مجرمين .

اكرهوا المعاصي، وارحموا على العصاة:

إن دعوة سيدنا مسيح عليه السلام إلى هذه الحقيقة بأن تكرهوا المعاصي ولا تكرهوا من ابتلى بالمعاصي والجرائم، إن الإنسان إذا ارتكب الجريمة والمعصية فإنه يصبح كالمرضى، والمرضى يستحق أن يعودوه الآخرون لأنه ضاع قوة جسده فعليكم أن تعودوه بدل التنفير، هكذا الإنسان الآثم فقد قوة روحه وقلبه بالآثم والمعصية فهو محتاج إلى شفقتكم وعطفكم ليس لتنفيركم.

يمكن أن نوضح حقيقة علاقة الرحمة الإلهية بعباده العصاة بهذا المثال: لو أن هناك دائن وله مديونان واحد عليه خمسين روبية والآخر عليه ألف روبية، فالدائن تنازل عن ديونهما فعلى أي المديون أحسن كثيرا وأي المديون يكون يحبه كثيرا؟ بالطبع الذي عليه ألف روبية. (هكذا الإله إذا عفا عن الآثمين واحد إنهم كثير والآخر إنهم قليل فيكون الآثم الذي إنهم كثير يحب الإله أكثر بالسبب الذي ليس له معاصي أو معاصيه أقل من الأول).

والأئمة التابعون أشاروا إلى هذه الحقيقة حيث قالوا: "انكسار العاصين أحب إلى الله من صولة المطيعين"^(١).

القرآن دعوة رحمة للعباد العصاة:

نحن نرى إلى هذه الحقيقة في القرآن الكريم بأنه إذا خاطب عباده الله العصاة أو إذا ذكرهم فإنه يأتي بباء السبب التي تدل على الرحمة والشفقة مثلا: [قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ]^(٢) و [أَنْتُمْ أَضَلَلْتُمْ عِبَادِيَ]^(٣)

(١) قاله يحيى اس معاد ومعناه: أن عبودية التوبة فيها من الدّلّ والانكسار ما هو أحب إلى الله من بعض العبادات؛ فالدلّ و

الانكسار واللحاً إلى الله هو مع العباد. أنصر: جوهر النصف، ليحيى اس معاد. ط: مكتبة الآداب القاهرة - مصر.

ص: ٩٣.

٢ - سورة الرمر، الآية: ٥٣ .

٣ - سورة الفرقان، الآية: ١٧ .

ومثاله في الخارج هكذا إذا كان الوالد ينادي ولده من فرط المحبة فيناديه بعلاقة الأبوة ويركز عليه مثلاً يقول "يا بني - يا ولدي" بطريق النسبة اليه فهو يأتي إليه بسرعة، لأنه يعرف بأن والده لا يغضب عليه. هكذا في القرآن الكريم خاطبنا الله تعالى في أماكن كثيرة باستعمال النسبة "يعبادي" فليس هناك دعوة التعطف والترحم أكثر تعطفاً دون هذه الدعوة. ولما نطالع الحديث المشهور فيتضح المقصود أكثر وضوحاً:

{ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَوْ لَمْ تُذْنِبُوا لَذَهَبَ اللَّهُ بِكُمْ، وَلَجَاءَ بِقَوْمٍ يُذْنِبُونَ، فَيَسْتَغْفِرُونَ اللَّهَ فَيَغْفِرُ لَهُمْ» ^(١)

{ وأيضاً عن أنس قال صلى الله عليه وسلم: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ - أَوْ وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ - لَوْ أَخْطَأْتُمْ حَتَّى تَمْلَأَ خَطَايَاكُمْ مَا يَنُورُ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ، ثُمَّ اسْتَغْفَرْتُمُ اللَّهَ لَغَفَرَ لَكُمْ. وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ - أَوْ وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ - لَوْ لَمْ تُخْطِئُوا لَجَاءَ اللَّهُ بِقَوْمٍ يُخْطِئُونَ، ثُمَّ يَسْتَغْفِرُونَ اللَّهَ، فَيَغْفِرُ لَهُمْ» ^(٢).

وعن أبي يوب رضي الله عنه مرفوعاً: {لَوْلَا أَنَّكُمْ تُذْنِبُونَ لَخَلَقَ اللَّهُ خَلْقًا يُذْنِبُونَ يَغْفِرُ لَهُمْ} ^(٣).

لا يوجد أي اختلاف بين تعاليم القرآن والإنجيل حقيقة:

في الحقيقة لا يوجد الفرق (الأساسي) بين دعوة سيدنا مسيح -عليه السلام- وبين تعاليم

القرآن، ومعيار أحكامهما (في الأعلى) سواء، والفرق في طريق البيان والمكان فقط ^(٤).

^١ - أخرجه مسلم في صحيحه عن حديث أبي هريرة، برقم (٢٧٤٩) في باب: سقوط الدنوب بالاستعفار توبة. ٢١٠٦/٤.

^٢ - أخرجه أحمد في مسنده برقم (١٣٤٩٣)، عن مسدد بن مالك. حكم الحديث: صحيح لغيره. تحقيق: شعيب الأرنؤوط، عادل مرشد، وآخرون. ط: مؤسسة الرسالة، عام ١٤٢١هـ. ١٤٦/٢١.

^٣ - أخرجه مسلم في صحيحه عن حديث أبي أيوب الأنصاري، برقم (٢٧٤٨)، في باب: سقوط الدنوب بالاستعفار توبة. ٢١٠٥/٤.

^(٤) يقول أحمد ديدات: رسالة الإسلام هي الامتداد الحديث لدين الله الصحيح في كل زمان ومكان، ولا فرق بين ما جاء به الإسلام وغيره من الرسالات السماوية السابقة إلا أن شريعته ورد بها من النسيير والنهي والتسيير ما لم يرد غيرها من الشرائع السابقة، وصدق الله تعالى إذ يقول: {إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ} (آل عمران ٣: ١٩)، فالإسلام كرسالة وعقيدة وتعاليم هو دين الله الوحيد في كل زمان ومكان، والإسلام هو اسم دين الله الواحد وفقاً لجمع الكتب المقدسة. فالله تعالى لم يسم ديه "اليهودية" ولا "المسيحية" حتى في كتب اليهودية والمسيحية نفسها. وفي العهد الجديد دس في العقيدة "المسيحية" (كالتنست،

سيدنا مسيح عليه السلام ركز على التزكية والأخلاق فقط لأن قبله كانت شريعة موسى -عليه السلام- وكان (شريعة) المسيح -عليه السلام- لا يريد تغير أي نكتة فيها، ولكن وظيفة القرآن هو بيان أحكام الشريعة والأخلاقيات كلاهما في وقت واحد، فطبعاً أسلوب بيان القرآن في سلسلة بيان الأحكام الشريعة والأخلاقيات هو واضح جداً دون ذكر التشابهات والمجازات^(١).

ولذا سيدنا مسيح عليه السلام ركز على العفو والمحبة وجعلهما أصل الفضيلة والخير ومعها باب العقاب والجزاء كان أيضاً مفتوحاً لأن في بعض الأحوال لا بد من الجزاء والعقاب ولكن مع ذلك قال لهم بالإستمرار بأن لا تظلموا في أخذ الإنتقام والعقاب قطعاً.

وبالضبط أن استتاج الأحكام لجميع الشرائع والأنبياء مبني على ثلاثة أصول:

١. [وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ،]
٢. [وَلَمَنْ أَنْتَصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِ فَأُولَئِكَ مَا عَلَيْهِمْ مِنْ سَبِيلٍ، إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَظْلِمُونَ النَّاسَ وَيَبْغُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ.]
٣. [وَلَمَنْ صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ] ^(٢)

تأملوا في هذا الأسلوب البيان في البداية صرح: " فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ " وكان هذا يكفي للعفو ظاهراً لكنه في الأخير ركز مرة أخرى " وَلَمَنْ صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ ".

والصلب والعداء وغيرهما ما هو ليس تائداً، ولذا أتت الاختلافات والتباينات والفروق والتعارفات بين الرسائل السماوية، وإلا في الحقيقة هذه الرسائل متحدة العقيدة والتعاليم ولا تحد فيها اختلافات إلا اختلاف بعض الشرائع بين التعبير والتيسير ومراعاة الرماد والمكان. أنظر: بين الإسلام والمسيحية، لأبي عبيدة الحراري. بتحقيق: الدكتور محمد شامة. ط: مكتبة وهبة. ص: ٣٢٠.

(١) كقولهِ: (قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ) قس يا محمد: يا أهل الكتاب وهم اليهود والنصارى جميعاً، أقبلوا واهلموا إلى كلمة عادلة وسطى سواء بين الفريقين اتفقت عليها جميع الشرائع والرسائل والكتب التي أنزلت إليهم، فأمرت بها الصحف والكتب الأربعة: التوراة والرؤور والإنجيل والقرآن، وهي كلمة التوحيد: لا إله إلا الله وعبادة الله وتفويض سلطة التشريع والتحليل والتحرير إليه. وعدم الشرك به شيئاً، وعدم اتحاد بعضها بعضاً أرباباً من دُون الله، كالوثن والصليب والصم والطاعوت والبار. هذه الآية حوت وحدانية الألوهية في قوله: أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ، ووحدانية الرُّبُوبِيَّة في قوله: وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا نِعْسًا أَرَبًا مِثْلَ دُونِ اللَّهِ. وهذه دعوة جميع الرسل إبراهيم وموسى وعيسى وغيرهم، قال الله تعالى: وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ: لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ [الأنبياء ٢١/ ٢٥]. أنظر: التفسير الوسيط للرحيلي، للدكتور وهبة س مصطفى الرحيلي. ط: دار الفكر - دمشق. ٢٠٠١.

^٢ - سورة الشورى الآيات: ٤٠ - ٤٢ - ٤٣.

فمن هذا التكرار يتضح أهمية العفو والشفقة بأن باب الجزاء أو الإنتقام وإن كان مفتوحاً لكن طريق الخير والفضيلة هو طريق العفو والمحبة .

ثم تدبروا أن القرآن عبر عن معاقبة السيئة بالسيئة بقوله "وجزاء سيئة سيئة مثلها" لكي يُعلم أن من يفعل في مقابلة السيئة السيئة فهو أيضاً سيئة لا تكون حسنة ولكن فتح باباً لكي يمنع إردياد الفجور والجرائم، واستعمل كلمة أصلح للشخص الذي عفى بقوله (فمن عفا وأصلح) بأنه مصلح، فعلم من هذا أن المصلح هو من عفى واختار طريق العفو والرحمة مكان التعزير والإنتقام (١).

زواج القرآن وقوارعه:

الحقيقة بأن أصل جميع تعاليم القرآن مبني على الرحمة، لكن لماذا بالنسبة لبعض مخالفيه إختار القرآن طريق التوبيخ والتغليظ..؟

والجواب في هذا أن في جميع الأماكن التي أختار القرآن فيها أسلوب التوبيخ والعلظة هو فقط لمخالفيه الذين كانت مخالفتهم مخالفة الفكر والاعتقاد وكانت مخالفتهم مبنية على العداوة والعدوان. غير هؤلاء المخالفين ما أختار القرآن أسلوب التغليظ والشدّة، وهذا المنهج كان ضروري حذا معهم، التعطف والترحم مع هذه الناس لا يفيد بحق الإنسانية لأن بالترحم مع هذه الناس يزداد الطغيان ومعيار الرحمة لا يكون تربية الظلم والفساد .

وستعلم في تفسير (ملك يوم الدين) بأن القرآن مع الرحمة مكن العدالة أيضاً وفي الفاتحة بعد ذكر الربوبية والرحمة ذكر صفة العدالة، لأن العدالة لاتنفصل عن الرحمة بل هي عين مقتضى الرحمة، ولا يمكن سلوك الرحمة والمحبة مع الإنسانية إذا لا يوجد عندك شدة في حق الشر والظلم.

ونحن نجد في الإنجيل بأن سيدنا مسيح عليه السلام رعم تعامله بالرحمة والمحبة أجزر بأن يحاطب مفسدي زمه بـ "يا أولاد الأفاعي" و "جماعة اللصوص" (٢). (٣)

(١) أم الكتاب للأزاد ص ١٤٣-١٥٤

(٢) إجيل متى ١٢: ٣٤.

(٣) أم الكتاب ص ١٥٥-١٥٧.

الكفر اللازم والمتعدي:

إستعمل القرآن الكريم لفظ الكفر في معنى الإنكار، وهذا الإنكار على قسمين:

١. اللازم. ٢. المتعدي.

١. المراد من الكفر اللازم هو أن الشخص لا يقبل دعوتك بسبب الجهل أو عدم طلب الصادق (في طلب الحق) أو هو مطمئن بطريقته التي يسلكها، فهو لا يتفق معك، هذا الكفر اللازم.

٢. الكفر المتعدي: هو الكفر الذي لا يكتفي بالإنكار عن الدعوة فقط بل يقيم خلاف دعوتك بسبب الحقد والفساد ثم يريد هذا الحقد والفساد حتى يظهر في شكل الظلم والمخالفة الشديدة، وهو لا يكتفي بهذا بل يسعى في تدميرك وهلاكك إلى آخر الحد.

فإذا أنت تقول أي قول حس هو يكذبك وفي مقابل سلوكك الحسن يؤديك حتى إذا أنت قلت النور حير من الظلمات فهو يقول لا لا ليس خير شيء من الظلمات.

وهذه هي الحالة التي يعبر عنها القرآن بتعطيل الفكر الإنساني وبصيرته ولهذا المخالف يظهر زاجر القرآن وقوارعه، فيقول الله تعالى بالسبب هذه المخالفين : [لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ]^(١)

ومفسرنا يعبر عن هذه الحالة الثانية (بالكفر والجحود).

كلما ظهرت دعوة الحق في العالم فبعض الناس قبلوها وبعض الناس أنكروها ولكن بعض الناس أقاموا في مخالفتها بالظلم والطغيان والجحود.

هكذا القرآن الكريم أيضا وجد ثلاث جماعات أمامه وقت نزوله، فالقرآن أخذ أول جماعة في تربيته، والثانية خاطبها بالدعوة والتذكير، وأما الثالثة فأخذها بالإنذار والتحذير والزجر والتوبيخ.

فهذه معاملة القرآن مع جماعة الثالثة وإن كان خلاف الرحمة ولكن القرآن هنا لا يعترف بالرحمة لمتل هذه الجماعة لأنها لا تستحق للرحمة.

سنعتم مرارا بأن القوانين المعنوية لدين الحق هو كمثل قوانين العامة لفطرة الكون، فالعطرة وإن كانت مليئة بالرحمة ولكن مع هذا قانون العفو والعدالة أيضا يوجد عندها، فيقول القرآن لا نعطي أكثر من

^١ - سورة الأعراف، الآية: ١٧٩.

الفطرة فإذا كان فطرتكم فارغة عن الرحمة فهو لا يوجد عندي أيضاً، قال الله تعالى: [فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي
فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ] (١) . (٢)

^١ - سورة الروم، الآية: ٣٠ .

(٢) أم الكتاب ص ١٥٥-١٥٧

الفصل الثالث: بيان العدل الإلهي، مع ذكر الأديان المختلفة قديما وحديثا، والأفكار العامة عند نزول القرآن. ويشتمل على أربعة مباحث وهي كالتالي:

المبحث الأول: في بيان العدل الإله وقانون الجزاء والعقاب.
المبحث الثاني: نظريات القديمة حول الإله والدراسات المعاصرة.

المبحث الثالث: الديانات والأفكار العامة عند نزول القرآن.
المبحث الرابع: ذكر التصور القرآني في بيان الصفات الإله.

المبحث الأول: في بيان العدل الإلهي وقانون الجزاء والعقاب.
ويشتمل على ثلاث مطالب الآتية:

المطلب الأول: تحقيق كلمة "الدين" وحقيقة الجزاء
والعقاب.

المطلب الثاني: قانون العدل الإلهي والعناصر المعنوية
في تحسين الكون.

المطلب الثالث: وضع الميزان والعمل الصالح في
اصطلاح القرآن.

المطلب الأول: تحقيق كلمة "الدين" وحقيقة الجزاء والعقاب.

بعد ذكر صفتي الربوبية والرحمة ذكر صفة العدالة واختار لها تعبير (ملك يوم الدين).
تحقيق كلمة "الدين":

في اللغات السامية القديمة توحد مادة "دين" و "دان" التي تستعمل في معنى المكافأة ثم استعملت بعد ذلك في معنى القانون والدستور، وهكذا توجد مشتقاتها العديدة في اللغات العبرانية والآرامية، ثم وصل هذا اللفظ من الآرامية إلى الإيران القديم واستعمل في مفهوم الشريعة والقانون^(١)، هكذا في الأدبيات القديمة للزرادشت استعملت كلمة "الدين" لقواعد الإنشاء والكتابة وسموها باسم "دين دبيرة"^(٢)، وبالإضافة إلى ذلك هناك كتاب ديني للديانة الزرادشتية^(٣) باسم "دين كارت" الذي رتب في القرن التاسع المسيحي في العراق. وعلى كل حال فإن معنى كلمة الدين في اللغة العربية الانتقام والمكافاة سواء كان للخير أو الشر، كما قال الشاعر:

ستعلم ليلى أي دين تداينت - وأي غريم للتقاضي غريمها^(٤).

(١) كلمة "الدين" كلمة عربية وكان يستعملها القرآن الكريم لتكون بمعنى الطعام الذي يشمل نواحي الحياة، وقد استعملت كلمة الدين بالمعاني الأربعة التي كان أهل الجاهلية يستعملونها وهي: الحاكمية، والسلطة العليا، الطاعة، والادعاء لتلك السلطة والحاكمة. ومن أمثالها في الجاهلية قول الشاعر يقول في مزي بن حار وتمام عجره قوله .

عي ولا أتب دياي فتحروي... واليت من قصيدة له مشهورة مطلعها قوله : يا من لقلب شديد الهم محرون ... أمسى تذكر ريا أم هارون. أنظر: أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك، لـ جمال الدين عبد الله بن يوسف ابن هشام. تحقيق: يوسف الشبح محمد النقاعي؟ ط: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع. ٤١٣.

(٢) دين دبيرة - كانت الأبنجدية في الفترة الساسانية التي مصنوعة من الأبنجدية الرابوري والهلوي، وكنت لها أفيستا (كتاب ديني) وتسمى هذه الأبنجدية الأبنجدية أفستان والدين دبيرة، هذا الخط له حاب القطي والخطي واستعمل لكتابة نص أفستا. وكذلك لكتابة الفارسية الوسطى أو بطق النصوص الفارسية الوسطى التي كانت على الكتاب هلوي. أنظر: اللغة القديمة وآداب إيران، لـ هاميون فرح. ط: مكتب الدراسات الثقافية - إيران. ص ٢٢.

(٣) الزرادشتية وتعرف بالمحوسية هي ديانة إيرانية قديمة وفلسفة دينية آسيوية، كانت الدين الرسمي للإمبراطوريات الأخمينية والبارثية والساسانية. يقدر عدد معتقلي الديانة ما بين ١٤٥,٠٠٠ إلى ٢,٦ مليون نسمة، معظمهم اليوم في الهند ويتواجدون في إيران وأفغانستان وأذربيجان بالإضافة لمهاجرين من هذه المناطق في الولايات المتحدة وأوروبا وأستراليا وكندا وسعافورة أنظر: الفرق بين الفرق وبيان الفرق الملاحية، لـ أبو مصور عبد القاهر بن طاهر العدادي الميممي. ط: دار الآفاق الجديدة - بيروت. ٢٧١١.

(٤) معي اللبيب عن كتب الأغاريب، لعبد الله بن يوسف أبو محمد، جمال الدين، ابن هشام. ت: د. مارن المبارك / محمد علي حمد الله. ط: دار الفكر - دمشق. ج-١١-ص-٥٤٥.

فمعنى (ملك يوم الدين) هو الحاكم ليوم الجزاء والعقاب والمراد به يوم القيامة^(١).
في هذه السلسلة يأتي بعض الأمور التي لابد من توضيحها:

توضيح كلمة الدين وحقيقة الجزاء والعقاب:

إن كلمة "الدين" ذكرت في القرآن بمعنى الجزاء والعقاب لذا فإنه يعبر عن يوم القيامة بـ "يوم الدين" عموماً، وفي اختيار هذا التعبير حكمة بالغة وهي أن الله يريد أن يعتقد الناس بأن الجزاء نتيجة لأعمال الناس وأفعائهم ليس كما كان يعتقدون أتباع الديانات القديمة بأن الجزاء نتيجة لفرح الله وغضبه ولا دخل لنتائج الأعمال فيه، لأن في هذا الاعتقاد تشابه الألوهية بالملكية وهذا كان من الضلال الفكري لجميع أتباع الديانات القديمة، لأنهم كانوا يعتقدون بأن الله تعالى إذا فرح فإنه يفيض علينا البركات والنعم، وإذا يغضب علينا فيعاقبنا بالجزاء والعقاب، لذا كانوا ينفقون الأموال لفرح الإله ولتبريد غضبه، وبهذا الاعتقاد كانوا يظنون بأن الإله يكون لديه ملكية مطلقة (مطلق العنانة)^(٢).

هكذا اليهود كانوا يعتقدون بأن لعائلة اليهود إله واحد وهو أيضاً مطلق العنان أحياناً عندما يفرح فيجعلون اليهود قوماً محبوباً ولما يغضب فيجعلونهم في طريق الهلاك للإنتقام وغضبه، كذلك النصراني كانوا يعتقدون بأن بسبب خطيئة آدم -عليه السلام- هم أصبحوا مغضوبين عند الإله، ولكفارة هذه الخطيئة قدم تضحية ابنه في صورة المسيح -عليه السلام-^(٣).

(١) أم الكتاب لمولانا آزاد ص-١٥٨.

(٢) الملكية المطلقة هي حكم مطلق يكون بيد فرد حاكم من أشكال الحكومة يكون فيه للملك أو الملكة أو السلطان أو الأمير سلطة مطلقة على كافة حوائج حياة رعاياه، بالرغم من أن بعض السلطات الدينية قد تكون قادرة على العدول عن بعض الأفعال التي من المتوقع من الملك أن يقوم بها، فإنه في الملكية المطلقة ليس ثمة دستور أو ردع قانوني للحد من سطوة الملك، الملك المطلق لديه تحكم كامل بأفراد الشعب والأرض، بما فيهم الأرستقراطيين وأحياناً رجال الدين عملياً، أولئك الملوك اضطروا للتقليل من سطوتهم، عادة بأحد المجموعات المذكورة مسبقاً، بعض الملكيات المطلقة لديها برلمانات أو مجالس شورى رمزية أو صورية، بالإضافة إلى مؤسسات حكومية حاصصة للاستمرار أو عدمه حسب إرادة الملك. أنظر: طابع الاستبداد ومصارع الاستعداد، عبد الرحمن بن أحمد الكواكي يلقب بالسيد الفراق - ط: النطبعة العصرية - حلب. ١٤٩١.

(٣) أم الكتاب لمولانا آزاد ص-١٥٩.

الجزاء والعقاب جزء لقانون الفطرة العالمية:

ما جعل القرآن قانون الجراء منفصلا عن قوانين العامة لنظام الكون بل جعله جزء لتلك القانون، لأنه يقول أن لكل شيء خاصية ولكل حالة أثر خاص ولا يمكن أن يوجد شيء خارج عن سلسلة النتائج الخاصة به، فمن النتائج المادية يتأثر الجسم وبالنتائج المعنوية يتأثر الروح، وهذه هي النتائج التي عبر عنها القرآن بالجزاء والعقاب، فنتيجة عمل الخير خير، ونتيجة عمل الشر شر، فإن الوحي الإلهي رسم لنا ذلك وفق فهمنا وطاقتنا، بأن للأول (عمل الخير) الجنة وللتاني (عمل الشر) النار، فنعم الجنة للذي عمله عمل الجنة، وعقوبات النار تكون لمن الذي عمله عمل النار، قال الله عز وجل:

(لَا يَسْتَوِي أَصْحَابُ النَّارِ وَأَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمُ الْفَائِزُونَ)^(١).

وكما ذكرنا قبل قليل أن كما كان للماديات خواص ونتائج هكذا للمعنويات أيضا خواص، كما أنتم تنظرون في الكون أن لكل شيء أثر خاص لا يمكن فيه أي تغيير، فمن خاصية النار الإحراق فمن القى في النار فيحرق طبعاً، ولا يمكن أن يقذف في النار شخص ولم يحرق لأن الإحراق من خاصية النار ونتيجتها، كذلك من خاصية الماء الرطوبة والبرودة، فإذا أنتم لا تتعجبون من خواص هذه الماديات فكيف تتعجبون من مجازاة الأعمال والمعنويات، إذا أنتم تزرعون القمح لا يمكن أن يمر في قلبك بأنه يمكن أن تنبت الذرة مكان القمح لأن قانون الفطرة هذا ليصح قويا في طبيعتكم، فالذات التي يعطيكم القمح مكان القمح والذرة مكان الذرة، فكيف يمكن أن لا توجد عنده نتيجة جيدة (للعمل الخير) والنتيجة السيئة (للعمل الشر)، قال الله تعالى: [أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَنْ نَجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَوَاءً مَحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ (٢١) وَخَلَقَ اللَّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ وَلِتُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ] ^(٢).

وهذا هو السبب أن القرآن اختار لفظ (الدين) للجزاء والعقاب، لأن هذا هو اللفظ المناسب لأداء مفهوم المجازاة بالأعمال^(٣).

^١ - سورة الحشر، الآية: ٢٠.

^٢ - سورة الحاتية، الآيتان: ٢١ و ٢٢.

^(٣) أم الكتاب مولانا آزاد ص-١٦٠-١٦١.

المطلب الثاني: قانون العدل الإلهي والعناصر المعنوية في تحسين الكون.

الكسب في اصطلاح القرآن الكريم:

معنى الكسب في اللغة العربية هو: "كل عمل إذا ترغّب فيه المصلحة والمنفعة وإن كان يحصل منه الضرر بدل المنفعة"^(١).

نحن نرى أن القرآن الكريم عبر عن كل عمل الخير والشر بلفظ الكسب، فالمراد منه أن الجزاء والعقاب للإنسان هو كسبها بنفسه، فمن كسب الخير فنتيجته جيدة، ومن كسب السيئة، فله السيئة فنتيجة العمل بحسب العمل، كما قال تعالى: [كُلُّ امْرِئٍ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ]^(٢).

في سورة البقرة غير عن الجزاء والعقاب بقاعدة كلية وهي في قوله تعالى: [لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ]^(٣). كذلك ذكرت القاعدة العامة بالنسبة للأقوام والجماعات، فقال: [تِلْكَ أُمَمٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُمْ مَا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ]^(٤).

وبالإضافة إلى ذلك أوضح في الأماكن الكثيرة هذه الحقيقة بأنه إذا كان الدين الإلهي يشجع الإنسان على العمل الصالح ويمنعه من عمل الشر فإن ذلك لكي يختب الإنسان من الهلاك والبقصان وأن يحصل على السحاة والسعادة، لا يعني ذلك بأن يعذب الله بغضبه وقهره وللتحرر عنها يحتاج الإنسان إلى العبادة والأعمال الدينية كما يعتقدون اليهود والنصارى، قال الله تعالى: (مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَهَا وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ)^(٥).

(١) الكسب: هو تحصيل شيء مادي أو معوي، ولا يخفى أن الكسب أعم من أن يكون في خير أو في ضرر، وإن كان نظر الكاسب إلى تحصيل أمر لنفسه، أي في نفعه واقعا أو ظاهرا أو تصوّره وبطوره فعلا، فهو المفضي إلى احتلال نفع أو دفع ضرر، ولا يوصف فعل الله بأنه كسب؛ لكونه متزهّا عن جلب نفع أو دفع ضرر. أنظر: كتاب التعريفات في اللغة، لـ علي بن محمد الشريف الخرجاني . ط: دار الكتب العلمية بيروت - لبنان. ١٨٤١

٢ - سورة الطور، الآية: ٢١ .

٣ - سورة البقرة، الآية: ٢٨٦ .

٤ - سورة البقرة، الآية: ١٤١ .

٥ - سورة فصلت، الآية: ٤٦ .

هناك حديث قدسي المشهور فيه إشارة إلى هذه الحقيقة وهو كالتالي:

[يَا عِبَادِي لَوْ أَنَّ أَوْلَكُمْ وَأَخْرَكُم وَإِنْسَكُمْ وَجَنَّتُمْ كَانُوا عَلَى أَتَقَى قَلْبِ رَجُلٍ وَاحِدٍ مِنْكُمْ، مَا زَادَ ذَلِكَ فِي مُلْكِي شَيْئًا، يَا عِبَادِي لَوْ أَنَّ أَوْلَكُمْ وَأَخْرَكُم وَإِنْسَكُمْ وَجَنَّتُمْ كَانُوا عَلَى أَفْجَرِ قَلْبِ رَجُلٍ وَاحِدٍ، مَا نَقَصَ ذَلِكَ مِنْ مُلْكِي شَيْئًا، يَا عِبَادِي لَوْ أَنَّ أَوْلَكُمْ وَأَخْرَكُم وَإِنْسَكُمْ وَجَنَّتُمْ قَامُوا فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ فَسَأَلُونِي فَأَعْطَيْتُ كُلَّ إِنْسَانٍ مَسْأَلَتَهُ، مَا نَقَصَ ذَلِكَ مِمَّا عِنْدِي إِلَّا كَمَا يَنْقُصُ الْمُخَيِّطُ إِذَا أَدْخَلَ الْبَخْرَ، يَا عِبَادِي إِنَّمَا هِيَ أَعْمَالُكُمْ أُخْصِمَهَا لَكُمْ، ثُمَّ أَوْفَيْكُمْ بِهَا، فَمَنْ وَجَدَ خَيْرًا، فَلْيُحْمَدِ اللَّهَ وَمَنْ وَجَدَ غَيْرَ ذَلِكَ، فَلَا يَلُومَنَّ إِلَّا نَفْسَهُ] ^(١).

القرآن الكريم رغم أنه يذكر عن مرضاة الله ورضائه وقال بأنه ينبغي للإنسان أن يكون كل عمله في رضاء الله تعالى فحسب، لكن ليس المقصود من هذا كما يعتقدون اليهود والبصاري بأن الجزاء والعقاب علة لمرضاة الله وغضبه، بل الجزاء والعقاب نتيجة لأعمال الإنسانية، وهذا طبيعي أن الله يحب عمل الصالح ويرضى به ويكره عمل السيئ ولا يرضى به وأما ما يعتقدونه فهو مخالف ومضاد لهذا المفهوم كاملاً.

على كل حال لفظ (الدين) هو لفظ مناسب لهذه الحقيقة (المحازاة) ولها يسد جميع طرق الضلالات المنشورة حول الجزاء والعقاب ففي سورة الفاتحة بمحرد استعمال هذه الكلمة وصحت حقيقة الجزاء والعقاب ^(٢).

الدين بمعنى القانون والمذهب:

وهذا هو السب أن كلمة الدين استعمل لقانون والمذهب أيضاً لأن أساس المذهب هو الاعتقاد بمجازاة العمل، وأساس القانون هو التعزيز والسياسة، ففي سورة يوسف عندما ذكر أن يوسف -عليه

^١ - أخرجه مسلم في صحيحه عن رواية أبي زرر. رقم ٢٥٧٧، في باب تحريم الظلم. ٤ / ١٩٩٤.

(^٢) أم الكتاب مولانا آزاد ص-١٦٢ إلى ١٦٥.

السلام- أوقف أخاه عنده فقال: (مَا كَانَ لِيَأْخُذَ أَخَاهُ فِي دِينِ الْمَلِكِ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ) ^(١). فالمقصود من دين هنا هو قانون بلد المصر.

في (ملك يوم الدين) يوجد قانون العدل الإلهي:

بعد ذكر الصفتين الربوبية والرحمة لم يذكر أي صفة من صفات القهر والجلال بل ذكر صفة العدل (ملك يوم الدين) كي يرسخ في أذهاننا تصور العدل الإلهي مكان القهر والجلال، فباعتبار الأصل يوجد فيه العدل والباقي جميع صفات القهر في الحقيقة مظهر لهذا العدل.

ففي نظام الكون مع قانون الربوبية والرحمة يوجد قانون المجازاة أيضا، والمجازاة ليست نتيجة القهر وغضب الإله بل نتيجة العمل ومقتضى القسط، فالإنسان بسبب نقصان الفكر ما فهم حقيقة العدل والقسط واعتقد عن المجازاة بنتيجة القهر والغضب ومن هنا وجد تصور الخوف والدهشة في صفة الإله، والحال أن الإنسان إذا كان يطالع الكون من قريب فيعرف بأن هذه المظاهر ليست نتيجة الغضب والجلال بل هذه عين مقتضى الرحمة، لأنه إن كان لا يوجد في الكون قانون المحاراة العمل أو لا يوجد تخريب الكون وتحسينه وتكميله لم يتم تعيين التوازن في ميزان العدل وارتبك نظام الكون كاملا ^(٢).

العناصر المعنوية في الكون:

توجد في الكون ثلاثة عناصر المعنوية وهي: الربوبية، الرحمة، العدالة، وكما أن الكون يحتاج في وجوده وبقائه إلى الربوبية والرحمة فإنه يحتاج إلى العدل كذلك، وهذه هي العناصر التي يظهر به قوام الحلقة، لأن الربوبية يري الخلق وبالرحمة يستفيد الخلق حيث يفيض عليه النعم، وبالعدالة يأتي الحسن والجمال في تعمير الكون ويريل بما النقصان والفساد.

^١ - سورة يوسف، الآية: ٧٦.

^٢ (أم الكتاب لمولانا آزاد ص-١٦٥-١٦٦).

التعمير والتحسين في الكون نتيجة للعدل والتوازن:

كما شاهدتم قبل قليل مظاهر الربوبية والرحمة هكذا سأوضح لكم الآن مقام العدالة وسترون أن جميع الأشياء في الكون مثل العمارة والإصلاح والجدّة والجمال ما هي إلا نتيجة للعدالة وظهور لحقيقة العدل والتوازن.

ومعنى العدل هو التوازن والمساواة التي لا تكون أقل ولا أكثر بل تكون كلا الطرفين على السواء، ولذا الحكم والقرار في المعاملات والقضايا يقال لها العدالة، لأن الحاكم يزيل الزيادة بين الفريقين. وهكذا الموازين أيضا يقال لها المعادلة لأنه يساوي وزن طرفي الميزان فهذا العدل إذا يوجد في الأشياء فيظهر التناسب في كمية الأشياء وكيفيتها، والموزون المناسب في أجزاء الشيء من حيث الكمية والكيفية يقال له العدل.

فكروا الآن في الكون فإن جميع مظاهر العمارة والحسن نتيجة لهذه الحقيقة مثلا وجود الإنسان هو اعتدال لتكوين العناصر فإذا احتل هذه العدالة فيعدم نمو وجود الإنسان فجميع العناصر لجسد الإنسان مظاهر للعدل مثل الحسن والجمال من كيفية الاعتدال والتناسب، ولياقته البدنية من اعتدال الاختلاط فإذا اختل فيسحرف صحة الإنسان.

ثم هذا الاعتدال ليس موقف على جسم الإنسان فقط بل جميع نظام الكون قائم على هذا العدل، وإذا فقدت هذه الحقيقة لحظة يربك نظام الكون، مثلا فإن جميع كواكب النظام الشمسي معلقة في مكانها وتجري في دوائرها ولا يقع فيها أي انحراف والميلان فهذا سبب قانون العدل التي عقدت جميع الأشياء تحت نظام خاص، فإذا أي كرة خرجت عن هذه الدائرة فيقادم مع كواكب أخرى ويختل النظام الشمسي، كذلك التناسب في الأعداد الذي يقوم عليه النظام الرياضي والحساب في الحقيقة نتيجة لهذا العدل والتعادل، عندما تفتح هذه الحقيقة على فكر الإنساني فإنه تفتح عليه جميع أبواب العلوم والمعارف^(١).

(١) أم الكتاب لمولانا آزاد ص-١٦٦-١٦٧.

المطلب الثالث: وضع الميزان والعمل الصالح في اصطلاح القرآن.

وضع الميزان:

في كثير من الأماكن القرآن الكريم أشار إلى هذه الحقيقة حيث قال تعالى: (وَالسَّمَاءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ الْمِيزَانَ (٧) أَلَّا تَطْغَوْا فِي الْمِيزَانِ) ^(١). والمراد بـ (الميزان) هو القانون التعادل والتوازن الذي مسلك جميع الأجرام السماوية في أماكنها المعينة ولا يمكن أن يرجح كفة ميزان العدل في جانب، وهذا هو عمود غير مرئي للأجرام السماوية التي قيل عنها في سورة الرعد: [اللَّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَاوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا] ^(٢). وفي سورة لقمان أشار إلى هذه الحقيقة حيث قال تعالى: [خَلَقَ السَّمَاوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا] ^(٣). هكذا في سورة آل عمران آية مشهورة التي فيها الإشارة إلى هذه الحقيقة وهي: [قَانِمًا بِالْقِسْطِ] ^(٤) أي جميع أمور الخلق الكون قائم بالعدل وهذا هو القانون قيام الخلق، وعرض مثال الميزان لشرح قانون العدل نموذجاً وهذا تعبير جيد، ولا يوجد مثال أنسب للتعبير عن قانون العدل بالميزان.

العمل الصالح في اصطلاح القرآن:

لما كانت أعمال الإنسان مبنية على أساس العدل والقسط فإن القرآن عبر عنها بالعمل الصالح، يقول القرآن بأنه إذا كان قانون العدل نافذ في جميع جوانب خلق الكون فكيف أن تكون أفكار الإنسان وأعماله غير مؤثرة .

ففي أعمال الإنسان كل عمل يكون مقبولا إذا كان مبنيا على أساس العدل والقسط بدل الإفراط والتفريط والميل أو الانحراف، وهذا هو العمل الذي يعبر عنه الوحي الإلهي بالعمل الصالح.

^١ - سورة الرحمن، الآيات، ٧ و ٨ .

^٢ - سورة الرعد، الآية: ٢ .

^٣ - سورة لقمان، الآية: ١٠ .

^٤ - سورة آل عمران، الآية: ١٨ .

فإذا أنتم لا تخطئون في مئات من الأسماء الحسن والجمال وتعرفون بينها حقيقة العدل والقسط فكيف تنتصر من اصطلاح الإيمان والعمل الصالح ولماذا تنكرون عليها؟!، قال الله تعالى : [أَفَغَيْرَ دِينِ اللَّهِ يَبْغُونَ وَلَهُ أَسْلَمَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ] ^(١).

الاختلاف اللغوي في مصطلحات القرآن للعمل السيء:

إن جميع التعبيرات التي اختارها القرآن الكريم للعمل السيء إذا نفكر فيها فيتبين أن معانيها اللغوية مخالفا لمفهوم العدل والتوازن وضدها، كأنه ليس عند القرآن حقيقة السيئة إلا الانحراف عن حقيقة العدل مثل الظلم، والطغيان، والإسراف، والتبذير.

توضيح هذه المصطلحات المذكورة آنفا على الترتيب:

١- الظلم: هو وضع الشيء في غير موضعه أي كون الشيء في محل لا يناسبه، فيقال له في اللغة

الظلم، لذا قال القرآن الكريم حول الشرك إنه "ظلم عظيم"، قال عز وجل: [إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ

عَظِيمٌ] ^(٢)، ولا يمكن أليق التعبير من هذا، ومن خلال هذا الكلام اتضح أن كون الشيء في محل غير مناسب يناقض حقيقة العدل ^(٣).

٢- الطغيان: معنى الطغيان تجاوز الشيء عن حده، فإذا كان ماء البحر يرتفع عن حده فيقال له

"طغى الماء" كما قال عز وجل: [إِنَّا لَمَّا طَغَى الْمَاءُ حَمَلْنَاكُمْ فِي الْجَارِيَةِ] ^(٤) فانصح أن التجاوز عن الحد هو أيضا ضد العدالة ^(٥).

(١) سورة آل عمران، الآية : ٨٣

(٢) سورة لقمان الآية ١٣

(٣) قال ابن فارس: الطاء واللام والميم أصلان صحيحان، أحدهما: خلاف الصياء والور، والآخر: وضع الشيء في غير موضعه تعدياً. وقال الخوهري: الظلم وضع الشيء في غير موضعه، والتصرف في حق الغير، وبجوارفة حد الشارع. أنظر: معجم مقاييس اللغة، لأبو الحسين أحمد بن فارس القروي. تحقيق: عبد السلام محمد هارون. ط: دار الفكر سنة ١٩٧٩م. ٤٦٩\٣.

(٤) سورة الحاقة الآية ١١.

(٥) قال الخليل: طغى يطغى، وهو مأخوذ من مادة (ط غ و) التي تدل على مجاوزة الحد في العصيان، وكل شيء يتجاوز القادر فقد طغى، مثلما طغى الماء على قوم نوح (فأغرقهم). وكما طغت الصبيحة على ثمود (فأهلكتهم). وقال ابن الجوري: أنه

٣- الإسراف: ومعناه أن تنفق الشيء أكثر عن مقداره الذي ينبغي أن تنفق^(١)، كما قال تعالى:
[وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ]^(٢).

٤- التبذير: ومعناه أن تنفق الشيء في مكان الذي لا ينبغي أن ينفق فيه، والفرق بين الإسراف والتبذير باعتبار المقدار والمحل فقط^(٣)، قال عز وجل: [إِنَّ الْمُبَذِّرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ]^(٤) فالإسراف والتبذير كلاهما منافق لحقيقة العدل، لأن العدل يريد التناسب ويقتضي التوازن في المحل والمقدار كلاهما.

٥- الفساد: ومعناه خروج الشيء عن حد الاعتدال^(٥)، قال عز وجل: [وَلَا تَبْغِ الْفُسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ]^(٦).

الزيادة على القدر والخروج عن حيز الاعتدال في الكثرة (راد المسير - ١١ \ ٣٦). أنظر. كتاب العين، للخليل بن أحمد الفراهيدي. ٤٣٥ \ ٤.

(١) معنى الإسراف لغة: مجاوزة القصد، مصدر من أسرف إسرافاً، والسرّف اسم منه، يقال: أسرف في ماله: عجل من غير قصد، وأصل هذه المادة يدلُّ على تعدي الحد، والإعقال أيضاً للشيء. واصطلاحاً: هو صرف الشيء فيما لا يسعى رائداً على ما ينبغي. مقياس اللغة لاس فارس. ١٥٣ \ ٣.

(٢) سورة الأعراف الآية ٣١

(٣) التبذير في اللغة: التفريق، مصدر بذّر تبذيراً، وأصله إلقاء البذر وطرحه، فاستعير لكل مصعب لماله، وصطلاحاً: التبذير صرف الشيء فيما لا يسعى، والفرق بينهما: إن الإسراف هو صرف فيما لا يسعى رائداً على ما ينبغي. أما التبذير فإنه صرف الشيء فيما لا يسعى وأيضاً فإن الإسراف تجاوز في الكمية إذ هو جهل بمقادير الحقوق، والتبذير تجاوز في موضع الحق إذ هو جهل بمواقعها أي الحقوق. أنظر: التعريفات. للخرجاوي ص ٢٤.

(٤) سورة الإسراء الآية ٢٧

(٥) الفساد: خروج الشيء عن حال استقامته وكونه متفعلاً به، ونقصه، الصلاح. وهو الحصول على الحال المستقيمة النافعة. ويختلف الحروب فتارة حروب فعلاً، وأخرى حروب اعتقاداً وفعلاً، والفساد أعم من الظلم، لأن الظلم المقص فإن من سرق مال الغير فقد نقص حق الغير. أنظر: النكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، لأبيوت بن موسى الحسبي الكوفي. ط. مؤسسة الرسالة - بيروت. ٦٩٢ \ ١.

(٦) سورة القصص الآية ٧٧

٦- الإعتداء والعدوان: كلاهما عن مادة واحدة ومعناها التجاوز عن الحد^(١)، قال عز وجل:

[فَلَا تَتَنَجَّجُوا بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ]^(٢)

(١) العُدْوَان: تجاوز المقدار المأمور به بالانتهاء إليه والنهوض عنه، وقال الرُّاعِبُ الأَصْمَهَانِيُّ: العُدْوَان: الإحلال بالعُدَالَةِ في

المعاملة. أنظر: الكلبيات لأبي البقاء كنفوي. ص ٩٢٢.

أم الكتاب لمولانا آزاد ص-١٦٩-١٧٠.

(٢) سورة المحادلة الآية ٩

المبحث الثاني: تصور الإله في الديانات المختلفة القديمة،
والدراسات المعاصرة. ويشتمل على ثلاثة مطالب الآتية:
المطلب الأول: ارتقاء الديانة والدراسات الحديثة.
المطلب الثاني: الأديان المختلفة قديما وحديثا، والدراسات
المعاصرة.
المطلب الثالث: التصور البدائي للإنسان وشهادة القرآن الكريم.

المطلب الأول: ارتقاء الديانة والدراسات الحديثة.

التمهيد: التصور الذي قدمه القرآن الكريم حول الصفات الإله لأول مرة كشف في سورة الفاتحة، فإن أول تصور الذي قُدم أمام النوع الإنساني هي الربوبية، والرحمة، والعدل، وبواسطة التفكير في هذه الصفات نستطيع أن نحصل على معرفة تصور الصفات الإلهي، وأن الأساس الأخلاقي والروحاني لحياة الإنساني مبني على تصور الإله ^(١).

نظرية الارتقاء:

لما نطالع تصور الإنسان حول ألوهية الله تعالى في الأدوار المختلفة فنتعجب من سرعة التغيرات في تصوره ولا يجري فيه الأصول العامة للتعليل والتوجيه، ففي جميع أنحاء العالم يجري قانون الارتقاء التدريجي ^(٢) (Evolution) وعقل الإنسان وجسمه أيضاً لا يخرج عن هذا القانون فكما أن جسم الإنسان نمّاً تدريجياً حتى وصل من أدنى السلسلة إلى أعلاها فهكذا تصورات العقليه نمّاً من الدرجة الفكر تدريجياً ووصل إلى أعلى الدرجات، لكن بالنسبة لتصورات ذات الله تعالى فإنه عكس من ذلك فبدلاً من الارتقاء كان يعمل قانون الارتجاع ولما نبحت عن عهد الابتدائي للإنسان فإن أقدامهم ترجع إلى الخلف

(١) أم الكتاب لمولانا آزاد. ص-١٧١.

(٢) النظرية التي ظهرت في القرن التاسع عشر عن ارتقاء الإنسان، وكونه حيواناً مترقياً عما دونه من الحيوانات، لم يرل يختار مرحلة بعد مرحلة في رحلته الوعية التي استعرت ألفاً من السنين ولم يرل ينتقل من طور حيوان إلى طور آخر، من أميبا (Amoeba) إلى قرد ومن قرد إلى إنسان حتى بلغ كماله النوعي، ورعيم هذه النظرية وبطلها دارون الذي طهر كتابه أصل الأنواع (Origin of species) سنة ١٨٥٩ م فكان حديث النوادي والمحامع والمدارس وشغل الناس الشاغل، وكانت هذه النظرية تحمهاً حديداً لم يسبق في المسائل الشترية وما يتعلق بها، تقلب تيار الفكر وتصرف بظر الإنسان في الاستعلام والاستهداء في مسائله وفي تاريخه من الإنسان إلى الحيوان، وتحمه يعتقد أن هذا الكون سائر بعير عناية إلهية، وبغير أن تتداخل فيه قوة غير طيعية، وأن لا علة في الكون سوى السس الطبيعية، وأن الموحودات ترتقي من مراتب الحياة الأولى إلى مراتبها العليا بعمل فطري تدريجي غار من العقل والحكمة، وأن الإنسان وسائر أنواع الحيوان ليس من صرع صانع حكيم بل هو نتيجة بواميس طيعية انتهى بها التاراع للقاء وباموس بقاء الأصلح والانتخاب الطيعي الذي هو سائر في الكون إلى إنسان باطق دي شعور. أنظر: ماذا حسر العالم باخطاط المسلمين، لعلي أبو الحسن بن عبد الحي بن فحر الدين اللبوي (المتوفى: ١٤٢٠ هـ).

ط: مكتبة الإيمان، المصورة - مصر. ج-١. ص-١٧٠.

بدلاً من أن تقدم إلى الأمام، وهو هكذا أن تصور القدم لعقل الإنسان في عهد القدم هو تصور التوحيد ثم رجع تصورهم إلى الخلف تدريجياً.

فإذا علم بأن تصور التوحيد لفكر الإنسان من أعلى التصورات حول ذات الإله، وتصور الشرك وتعدد الآلهة أدنى التصور فإننا نعلم أن التصور الأول للفكر الإنساني هو التصور الأعلى لأنه مبني على التوحيد، ثم رجع تصورهم إلى الأسفل، وقانون الارتقاء أصبح غير مؤثر هنا، لأن وجد الارتجاع بدلاً من التطوير والارتقاء^(١).

نظريات القرن التاسع عشر وارتقاء الدين:

كان علماء علوم الاجتماعية يعتقدون في القرن التاسع عشر بأن العقائد الدينية للإنسان ابتدأت من التصورات الوهمية ثم تم تنشئتها وتنميتها حسب مقتضيات الطبيعة والأحوال والظروف وهذه التصورات كانت تمر تدريجياً تحت قانون الارتقاء حتى في صورة التطور والارتقاء هم وجدوا الكيان الأعلى الذي خالق للكون، فالارتقاء في البداية مبني على الاوهام التي تولدت منها تصور الآلهة المختلفة ثم تطور هذا التصور حتى برر في شكل التوحيد الإله.

حسب الدراية العلمية فإن التاريخ العقائد والتصورات الدينية بدأ في القرن التاسع عشر، ففي أواخر القرن الثامن عشر ظهر تاريخ اللغات للقبائل الآرية^(٢) من آسيا الوسطى وهكذا مع تاريخ لغاتهم

(١) أم الكتاب لمولانا آزاد، ص-١٧٢.

(٢) الآرية أو آريان (Aryans) هم شعب قديم أصلهم من شرق أوروبا، وهم استولوا على إيران من الشمال الغربي للهند عام ٢٠٠٠ ق.م. وكان سبباً في تدهور حضارة الهند، وكانت لغتهم الأصلية السانسكريتية ويطلق عليها الآرية، ولغتهم أساساً للغات الهندو الأوروبية لأن الشعب الآري كانت سكن المناطق المعتدة من شرق أوروبا إلى جنوب آسيا، وقد وصلوا للهند سنة ٣٠٠٠ ق.م. سكن بعض الآريين شمال الهند إبان العصر البرونزي وقد تسمت لها القبائل الآرية لتسم نفسها من السكان المحليين الغيديين الداكي الشيرة والآريون أيضاً الخلد. وقد عرفوا بالنوريكيين والتيتونيكين. ولم يبق من هذا الجنس سوى اللغة الآرية التي تصمم عدة لغات تعرف باللغات الهندو أوروبية. برح الشعب من شرق أوروبا (روسيا الحالية) عام ١٥٠٠ ق.م. نسيبوا أعالي هيمالايا بـ Yamuna وجانجيتك Gangetic. وكان يتكلم إحدى الشعب الهندو أوروبية وبعد آلهة الإغريق والأوروبيين السمايين. وقد انتكروا أشكالاً من الفصوص الشفوية في الفيدا المقدسة لدى الهندوس. أنظر: قصة الحضارة. لول ديورانت = ويليام جيمس ديورانت (ميتوف: ١٩٨١ م). برحمة: الدكتور ركني نيب محمود وأخريين. ط: دار احيل، بيروت - لبنان، المؤسسة العربية للتربية والثقافة والعلوم، تونس. عام النشر: ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م. ج ٣-ص ١٩.

ظهرت عقائدهم أيضاً، من هنا وجد مجال جديد للبحث والتنقيد، وهذه المباحث نشأ مجال مستقل للبحث والنظر في أوائل القرن التاسع عشر، بدأ تاريخ العقائد الدينية ودون تاريخ نشأة هذا العلم وتطوره، وفي هذا الدور كانت توجد نظرية عامة أن تصور الإله وعوديته بدأ من أساطير مظاهر الفطرة، مثل الضوء كان يتصور كيان مستقل، والمطر قد اختار شكل قوة الإله، فهذه التصورات التي كانت مبنية على مظاهر الفطرة وفكرتها كانت أحدث من تصور القبائل الآرية.

ولكن في بداية نصف القرن التاسع عشر لما برز تاريخ القبائل الوحشية في أفريقيا وأمريكا ففي تصوراتهم الدينية برزت نظريات أخرى ففي سنة ١٧٦٠ م جاء "تشارلز دي بروسس" (١) واستنبط من تصورات تلك القبائل الوحشية عقيدة "فيتشية" (٢) يعني عبادة الأشياء التي يعتقد بأن لها علاقة بأرواح الجن، ثم في سنة (١٨٥١م) اختار "أوغست كوت" (٣) من هذه العبادة نظرية عبادة الإله، ثم جاء "السير

(١) تشارلز دي بروسس - (Charles de Brosses) (٧ فبراير ١٧٠٩ - ٧ مايو ١٧٧٧) كان كاتب فرنسي من القرن الثامن عشر وكان رئيس رمان ديجون (Dijon) من عام ١٧٤١، وهو عضو في أكاديمية الفنون والكتاب من عام ١٧٤٦، وعضو في أكاديمية ديس سسسييس، أرتس إت بيليس-ليرس دي ديون (

Academy of Sciences, Arts and Belles-Lettres of Dijon) من ١٧٦١. وكان صديق قريب لـ جورج لويس لكليرك دي بوفون (Georges-Louis Leclerc of Buffon)، عالم الضمعات الذي كتب تاريخ الطبيعة (Natural History). وعضو شحصى لـ فولتير (Voltaire)، الفيلسوف الشهير. الذي مع دحوته في الأكاديمية الفرنسية في ١٧٧٠. لانه معارض السلطة المطلقة للملك، وقال انه بقي مرتين، في ١٧٤٤ و ١٧٧١. وكتب العديد من الانتخاب الأكاديمية حول موضوعات سعلق بالتاريخ القديم. علم اللغة والتعويبات. أنظر: "النحت في ديدروت والموسوعة" (Research on Diderot and the Encyclopedia). لـ "فرانك A. كوفكر". ج-١٧-ص-١٢٥.

(٢) الفيتشية أو التوتية أو التقديس الأعمى (Fetishism) أصلها من الكلمة الفرنسية fétiche، هي الاعتقاد بأنه كائن من صنع شخص له قوة حارقة، أو يمكنه التحكم في الآخرين. أنظر: فيتش العادة، لـ بيليروسي. ط: طبعات سيرلر. ص ١٣٤.

(٣) أوغست كوت (١٩ يناير ١٧٩٨ - ٥ ستمبر ١٨٥٧) عالم اجتماع وفيلسوف اجتماعي فرنسي، أعطى لعلم الاجتماع الاسم الذي يعرف به الآن، أكد ضرورة بناء النظريات العلمية المسية على الملاحظة. إلا أن كتاباته كانت على جانب عظيم من التأمل الفلسفي، ويعد هو نفسه الأب السري والمؤسس للفلسفة الوضعية، وهو "يعبر تلמידا لـ سان سايون وهو فيلسوف فرنسي، وُلد في مدينة موبليه وتخرج من مدرسة البوليتكنيك، ثم عمل سكرتيراً عند الفيلسوف سان -سيمون الذي كان لأفكاره أثر كبير على نظرياته التي عرضها فيما بعد في أهم مؤلفاته: "مخاضات في الفلسفة الوضعية" و"نظام في السياسة الوضعية". أنظر: موسوعة السياسة. ط: المؤسسة العامة للدراسات والشر، (الطبعة الثالثة، ١٩٩٠). ص ٢٧٣.

حون لوبوك^(١) الذي اشتهر بعد ذلك بلقب "لارداد بيرى" وقدم هذه النظرية بمزيد من البحث والنظر وقبلت هذه النظرية في ذلك العهد عموماً حتى جعلت المقام في الحلقات العلمية أيضاً .

وبهذا الزم ظهرت نظرية "مين ازم"^(٢) يعني عبادة الأجداد والآباء وأصل هذه النظرية مبسطة على عظمة الآباء ومحتهم وبسببها كانوا يعبدونهم، ثم تحت قانون الارتقاء تقدم هذه النظرية واختار نوعية الألوهية، وهذه النظرية لم يكن موجوداً في قبائل الندية والمرعى حتى في تاريخ القدم الصيني لم يكن آثار هذه العقيدة إلا بعيداً، ولذا توفرت لهذه النظرية المواد اللازمة وفي سنة (١٨٧٠م) لما جاء "هربرت اسنسر"^(٣) وأقام نظريته المحروحة (*Ghost Theory*) "نظرية الأشباح"^(٤) على أساس هذا التخييل فقبلها الفلاسفة وعلماء علم الاجتماع مباشرة.

(١) حون لوبوك (٣٠ أبريل ١٨٣٤ - ٢٨ مايو ١٩١٣)، والمعروفة باسم السير حون لوبوك، البارون الرابع من ١٨٦٥ حتى ١٩٠٠، كان مصري إكليري، سياسي ليبرالي، الموسوعي، لوبوك كان مصري وعمل مع شركة عائلته، ولكن أيضاً له مساهمات كبيرة في علم الآثار، الإثنوغرافيا، والعديد من فروع البيولوجيا. صاغ مصطلحات "العصر الحجري القديم" و "العصر الحجري الحديث" للدلالة على العصور الحجرية القديمة والجديدة، على التوالي. ساعد في تأسيس علم الآثار كأظمة علمية. وكان له تأثير أيضاً في المناقشات التي دارت في القرن التاسع عشر حول النظرية التطورية وقدم أول قانون لحماية التراث الأثري والمعماري في المملكة المتحدة. المرجع: ١٩ August. London. (٣٦٨٥٠). *The Times*. "Court Circular". P- ٨- ١٩٠٢.

MAINISM (٢)

(٢) هربرت سسبر (Herbert Spencer) هو فيلسوف بريطاني (٢٧ أبريل ١٨٢٠ - ٨ ديسمبر ١٩٠٣)، مؤلف كتاب "الرجل ضد الدولة" الذي قدم فيه رؤية فلسفية متطرفة في ليبراليتها. كان سسبر، وليس داروين، هو الذي اوجد مصطلح "البقاء للأصلح". رغم أن القول يربط عادةً لداروين. وقد ساهم سسبر في ترسيخ مفهوم الارتقاء؛ واعطى له ابعاداً اجتماعياً، فيما عرف لاحقاً بالدارونية الاجتماعية. وهكذا يعد سسبر واحداً من مؤسسي علم الاجتماع الحديث. أنظر: معجم علم الأخلاق، لـ ايجور كون. ط: دار التقدم ١٩٨٤. ص ٢٢١.

(٣) مصطلح "تنشع" يشير إلى الفكرة القائلة بأن أرواح الموتى من البشر والحيوانات، لها تأثير على العالم المادي. هذه الفكرة الموروثة للبعض — غالباً — ما تشمل أي شيء، من وجود فعلي يمكن الشعور به، أو أجسام تتحرك بشكل غير طبيعي، إلى ما يطلق عليه البعض نشاط الروح، ولكن في عالم مليء بالعلم والعقل، فإن فكرة التنشع والأجسام المسكونة بالأرواح هذه كثيراً ما يمكن أن نخرجها من حلال تفسير بسيط جداً. وفيما يلي أهم التفسيرات العلمية والنفسية الخاصة بالتنشع والأرواح، وكل شيء حارق للطسعة. أنظر: مقالات مسورة في مجلة "الأبعاد الخفية" (قسم التنشع) للدكتور سيد راتند. ص ٢٥.

ثم في نفس العهد جاءت نظرية أخرى التي مقبولة عند العامة وكانت هذه النظرية نظرية "الإحياء"^(١) لـ "اي بي تيلر"^(٢) ففي سنة (١٨٧٢م) نشر كتابه المشهور باسم "PRIMITIVE CULTURE"^(٣) وعرف فيها التصورات الدينية تحت نظرية "انيمزم"، والمقصود من انيمزم هو أن يوحد في تصورات الإنسان تصور الحياة الروحية مستقلاً غير تصوره لحياة الجسمانية، وتصور الحياة الروحية عند "تيلر" هي مادة أساسية للعقائد الدينية والعبودية، ثم تطورت هذه النظرية حتى ظهرت في شكل عقيدة وجود الإله.

و ربما بين جميع التصورات الديانة هذه هي النظرية الأولى التي رتبت بطريقة علمية كاملة، ونظمت بجميع أطراف وجوانب البحث والنظر ولذا أثرت هذه النظرية في جميع الحلقات العلمية وقدمت هذه النظرية في شكلها الأصلي كاملاً وظلت السلطة لهذه النظرية إلى نهاية القرن التاسع عشر.

(١) انيمزم الإحيائية بمعنى "الروح والحياة" من اللاتينية، هي الاعتقاد بوجود الأرواح وأن أي نظام حي أو كائن أو حتى المواد الخامدة أحياناً تمتلك نوعاً من الروح مثل الحجارة، والنباتات، وكذلك في الظواهر الطبيعية مثل الرعد، وحتى بداخل المعالم جغرافية كالخبال والأهبار، الإحيائية منتشرة في الديانات القومية ولكن يمكن العثور عليها في التستو، والهندوسية، ووحدة الوجود، والسيحة، والوثنية الحديثة. على مر تاريخ أوروبا، كان العديد من الفلاسفة قد فكروا باحتمال وجود الروح في الحيوان، الأسان، والسات، ولكن التفسير المنقول الحالي قد وضعه إدوارد بيرت تايلور في القرن التاسع عشر. أنظر: مباحث الفلسفة، لـ ول ديورات. ترجمة: أحمد فؤاد الأهواني. ط: مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة ١٩٥٦. ص ٥١٢.

(٢) إدوارد بيرت تايلور (Edward Burnett Tylor) (١٨٣٢ - ١٩١٧ م) هو أنثروبولوجي إنكليزي، ساعدت دراساته على تحديد مجال الأنثروبولوجية وتطور الاهتمام بذلك العلم. كان أستاذاً للأنثروبولوجية بجامعة أكسفورد (١٨٩٦ - ١٩٠٩ م). أهم كتبه "الثقافة البدائية" (١٨٧١ م) و"الأنثروبولوجية" (١٨٨١ م). أنظر: الموسوعة العربية الميسرة، (تايلور إدوارد بيرت). تحت إشراف: محمد متقي عزال. ط: مؤسسة فرانكلين للطباعة والنشر. ص ١٦٥.

(٣) "الثقافة البدائية" الذي سرعان ما ترجم إلى الفرنسية عام ١٨٧٦ وهو كتاب قيل أنه يؤسس للإناسة كعلم مستقل، يتكلم فيه عن "أصول الثقافة وعمل آليات تطورها، وكان أول إناسي يتطرق فعلياً إلى الوقائع الثقافية ضمن هدف عام ومنظم، وكان أول من اهتم بدراسة الثقافة في كل أماط المحتمعات في مختلف أوجهها المادية والرمزية وحتى الحسدية. قاموس علم. الاحصاء الحديث. توتانوا، بيو جيرسي، الولايات المتحدة. ص ٥٩.

وفي هذا الاثناء فتح مجال جديد من تحليل الكائنات والآثار القديمة في مصر والبابل^(١) والآشوريا^(٢) ومباحث هذه الآثار احتارت شكل علوم مستقلة، وظهر أصل عبادة مظاهر الفطرة في شكل جديد، لأن بتصور هذه النظريات الدينية ظهرت الحضارات القديمة لواءى الدجلة والفرات^(٣)، و النيل^(٤) وبهذا برز ديانة جديدة أخرى الذي جعل التأثير بمظاهر الفطرة أساس البدائي لعبادة الإله، ويركز خاصة على تأثر

(١) هي مدينة عراقية كانت عاصمة البابليين أيام حكم حمورابي حيث كان البابليون يحكمون أقاليم ما بين النهرين وحكمت سلالة البابليين الأولى تحت حكم حمورابي (١٧٩٢-١٧٥٠) قبل الميلاد في معظم مقاطعات ما بين النهرين، وأصبحت بابل العاصمة التي تقع على نهر الفرات. التي اشتهرت بحصارها. وبلغ عدد ملوك سلالة بابل والتي عرفت "بالسلالة الآشورية / العمورية" ١١ ملكا حكموا ثلاثة قرون (١٨٩٤ ق.م. - ١٥٩٤ ق.م.)، في هذه الفترة بلغت حصارا المملكة البابلية أوج عظمتها وازدهارها وانتشرت فيها اللغة البابلية بالمنطقة كلها، حيث ارتقت العلوم والمعارف والفنون وتوسعت التجارة لدرجة لا مثيل لها في تاريخ المنطقة. أنظر: موسوعة حصار العالم، لأحمد محمد عوف. ص ٢٣٥.

(٢) آشور أول دولة قامت في مدينة آشور في شمال بلاد ما بين النهرين، وتوسعت في الألفية الثانية ق.م. وامتدت شمالا لمدن بيبوى، عمروود وحورساد. ولقد حكم الملك شمشي مدينة آشور عام ١٨١٣ ق.م. واستولى حمورابي ملك بابل على آشور عام ١٧٦٠ ق.م. إلا أن الملك الآشوري شلمنصر استولى على بابل وهرم الميتانيين عام ١٢٧٣ ق.م. ثم استولت آشور ثانية على بابل عام ١٢٤٠ ق.م. وفي عام ١٠٠٠ ق.م. استولى الآراميون على آشور، لكن الآشوريين استولوا على فينيقيا عام ٧٧٤ ق.م. وصور عام ٧٣٤ ق.م. والسامرة عام ٧٢١ ق.م. وأسر سارحون الثاني اليهود في أورشليم عام ٧٠١ ق.م. وفي عام ٦٨٦ ق.م. دمر الآشوريون مدينة بابل وثار البابليون على حكم الآشوريين وهرموهم بمساعدة ميديا عام ٦١٢ ق.م. تس الآشوريون حملاتهم على باقي مناطق سوريا وتركيا وإيران. انصدر السابق ص ٢٤٥.

(٣) دجلة والفرات هما نهران يجريان مترافقين عبر عدة دول، فإن أردت الحديث عن أحدهما لا بد من التكلّم عن الآخر، وفي الحديث عن نهر دجلة يمكن القول بأنه يسع من تركيا وتحديدًا من جبال طوروس في الأناضول، ثم يعبر سوريا في القامشلي، وهذا على طول ٥٠ كم، ثم يعبر الحدود العراقية في بلدة فيش حاور، ويتفرّع نهر دجلة إلى فرعين هما: نهر العراف، ونهر الدحيلة، وتعدّ نهر الكثير من الروافد التي تأتيه من كلّ من العراق وسوريا وتركيا، وهي: نهر الخاور، ونهر الراب الكبير، ونهر الراب الصغير، ونهر العظيم. ونهر ديبالي، ويلتقي نهر دجلة مع نهر الفرات شقيقه في بلدة القرنة حوض العراق. ليكوّن معاً في البصرة ما يسمّى بسط العرب، وهو النهر الذي يمتدّ على طول ١٥٠ كم حتّى يصبّ في الخليج العربي. أنظر: المسالك والممالك، لأبو القاسم عبيد الله بن عبد الله المعروف بابن حرداده. ط: دار صادر أفسست ليدن، بيروت. ٢٠١١.

(٤) نهر النيل التي سميت مصر هبة النيل أي أنها لم توحد دولة مصرية لو لم يوحد النيل، فالنيل هو النعمة التي نعمت بها تسع دول إفريقية، يقع في الجزء الشمالي الشرقي من القارة الإفريقية، ويسع من نيرة فيكتوريا التي تكمن في أثيوبيا، ويكون النيل هو المنسب الرئيسي لجعل دولة مصر مثل الحبة الخضر فيمما يحيطه. انصدر السابق ٨٤١١.

إجرام السماوية، فحالفوا اتباع هذه النظرية لعقيدة (انيمزم) واشتهروا باسم "آستريا"^(١) ولكن في أواخر النصف الأخير من القرن التاسع عشر لما برزت جميع هذه النظريات هناك حلقة علمية أخرى التي بحثت أساس نظرية أخرى، ومواد هذه النظرية وصلت بواسطة قبائل المهنية عن تحضر العهد القديم الذين كانت أحوالهم توجد في نطاق التاريخ، واشتهرت هذه النظرية باسم نظرية "الطوطمية"^(٢) وامتدت جميع الحلقات العلمية إلى هذه النظرية وتوجهت إليها، والمقصود من "توتنزم" الأشياء تعظيم الحيوانات التي خلقت في بداية الحياة البشرية وبعد مدة أصبحت قابل التعظيم والاحترام، وأن أساس هذه النظرية كانت البقرة في الهد، والتمساح والبقرة في مصر، الدب في المنطقة الشمالية، والعجل الأبيض لقبائل البادية كل ذلك في الحقيقة من آثار "توتنزم"، وأولا أعلن عن هذه النظرية "ويليام روبرتسون سميث"^(٣) في سنة (١٨٨٥م) ثم خطت نحوها حطر المشاهد الأخرى للوقت .

(١) آستريا (Astral & Nature mythologists) في الميثولوجيا الإغريقية، هي إلهة العدالة عند اليونانيين القدماء. وفصلاً عن تحسيدها للعدالة، فقد تم ربطها أيضاً بالنزاهة والنقاء. قيل بأنها إحدى سات ريوس. أنظر: مباحث الفلسفة، لـ ول ديورانت. ١١ / ٣٤٤.

(٢) الطوطمية (Totemism) هي ديانة مركبة من الأفكار والرموز والطقوس تعتمد على العلاقة بين جماعة إنسانية وموضوع طبيعي يسمى الطوطم، والطوطم يمكن أن يكون طائراً أو حيواناً أو نباتاً أو ظاهرة طبيعية أو مظهراً طبيعياً مع اعتقاد الجماعة بالارتباط به روحياً. وكلمة طوطم مشتقة من لغة الأخوة الأمريكية الأصلية. الطوطمية منتشرة في ماليزيا وغينيا وأفريقيا وبين السكان الأصليين من الأمريكيين والأستراليين. وهو رفيق ومساعد مع الأرواح الخارقة، وهو مقدس والمناسبات، حيث تعتبره الجماعات كهوية لها، حيث يحرم نمسه وتخطيمه. قد تعود أصول الطوطم إلى أحد الاحداد الأوائل من التسامان، إن طيب القبيلة وساحرها هما المكلفان تسمية العلاقة بين الأفراد والطوطم. أنظر: دراسات في تاريخ الدين الشرقي. ص ٥٢٠.

(٣) ويليام روبرتسون سميث (William Robertson Smith) (١٨٩٤ - ١٨٤٦) مستشرق إسكتلندي وعالم في العهد القديم وأستاذ الإلهيات وقس كنيسة اسكتلندا الحرة، كان من محرري الموسوعة البريطانية وهو معروف بكتابه دين الساميين الذي يعتبر نصاً أساسياً في مقارنة الأديان. ولد في أبرديسير وعرف بدكانه في صغره، دخل جامعة أبردين وعمره ١٥ تم اسقل في ١٨٦٦ إلى بيو كوليج في إدبرة ليتدرج كقس، بعد التخرج أصبح رئيس اللغة العبرية في معهد كنيسة أبردين الحرة في ١٨٧٠. كتب عدة مقالات مهمة عن مواضيع دينية في الطبعة الحادية عشرة للموسوعة البريطانية، اشتهر بسبب محاكمته بالهرطقة في السبعينات بعد مقالة له في الموسوعة البريطانية. أنظر: موسوعة الكتب (قاموس نقدي للتاريخ الأدبي والسياسي

ولكن بعد مدة قصيرة بل تراجع هذه النظرية وأصبحت مرفوضة لما قدم الأستاذ "جيمس جورج فريزر"^(١) مجموعة مواد، وعُلم بأن تصورات "توتنزم" لا يكون نوعيتها تصوراً دينياً ولا يصلح أن يكون مبدأ التصورات الدينية وحقيقتها ليست رائدة عن نظام الاجتماعي. ولكن هناك جانب آخر لهذه النظرية الذي يصلح أن يجعل مواداً ابتدائياً لعقائد الدينية وهذا القسم متعلق بعقائد السحر، ونتيجة هذا التحقيق توجه كثير من المفكرين إلى جانب البحث والنظر، واشتهرت نظرية السحر في الحلقات العلمية، ففي سنة (١٨٩٣م) كان هناك عالماً أمريكياً باسم (J.K kenneg) الذي توجه إلى هذا الجانب (توتنزم المتعلق بالسحر) وفي بداية القرن العشرين بدأت الحلقات العلمية في المان وإنجلترا، والفرنسا وأمريكا في تحقيق "توتنزم" وعملوا خلاف انيمزم.

ثم انتشرت نظرية أخرى وهي أن قبل تصورات انيمزم مضى دور آخر وهو دور السحر الذي مضى ما قبل انيمزم (Animism) تم هذه العقيدة أعمال السحر تطورت واحتارت شكل العقائد الروحية وظهرت مبادئ العقائد الدينية وعبادة الإله.

والدي والأثار والجغرافية والتاريخ الطبيعي للكتاب المقدس). لمجموعة من الأساتذة من أساتذة جامعات عربية من لندن ودبلن وأكسفورد. ٢٨٢\٢.

(١) جيمس جورج فريزر (James George Frazer) أحد لقب سير (Sir)، (ولد في حلاسكو، اسكتلندا، ١ يناير سنة ١٨٥٤ - توفي في حلاسكو، اسكتلندا ٧ مايو سنة ١٩٤١). عالم اثروبولوجيا إسكتلندي كبير، ألف كتابه المشهور "العصص الذهبي" (The Golden Bough) "وهو عباره عن دراسته في السحر والدين (١٨٩٠)، وصح فيه إن كثير من الاساطير الدينية والتعائير الدينية أصلها مد أيام ظهور الزراعة في عصر ما قبل التاريخ، وإن التطور العقلي السري مر ثلاث مراحل: السحر البدائي، والدين، والعلم. من كتبه المهمة الأخرى: "الطوطمية و الروح غير ذوي القرى Totemism and Exogamy" و "الطوطمية Totemism" عن نظام الطوطم في المجتمعات البدائية. كتب بطريقة أدبية شيقه. مؤلفاته كان لها أثر كبير في تطور علم الاثروبولوجيا وعلى العالم النفسى الكبير فرويد الذي ألف كتاب "طوطم و طابو". أنظر: دراسات في تاريخ الدين الشرقي. ط: لندن: ماميلان، ١٩٠٧. ص ٤٥٢.

فأصبحت نظرية السحر نظرية مقبولة عامة وفقدت النظريات السابقة بدلها، ففي سنة (١٨٩٥م) "روبرت رانولف ماريت"^(١) وفي سنة (١٩٠٢م) "هيوت" وفي سنة (١٩٠٤م) "أولريش"^(٢) وفي سنة (١٩٠٧م) (اي وائر كندت) وفي سنة (١٩٠٨م) "كان إدوين سيدني هارتلاند"^(٣) كلهم أقاموا جداول أفكارهم على أساس هذه النظرية وشروها، وشارك في هذه النظرية الحظ الوافر من طبقة العلماء الفرنسية الذين كان لهم علاقة مع نظرية "دوركايم"^(٤) وكان زعيم هذه الطبقة "روبرت هيوبرت"^(٥) و "مرسيل موس"^(٦)، تم في سنة (١٩١٢م) تقدم دوركايم بنفسه وأصبح زعيم هذه النظرية، وكانت نظرية هذه

(١) روبرت رانولف ماريت (١٣ يونيو ١٨٦٦ - ١٨ فبراير ١٩٤٣) كان إثنولوجي بريطاني. وكان أسس المدرسة التطورية على نحو المدرسة البريطانية التطورية للأنثروبولوجيا الثقافية. وقد أكد إدوارد بوريت تايلور، وهو زميل أقدم لماريت، أن المجتمعات البدائية الحديثة تدل على بقايا المراحل في تطور الثقافة، التي حاولت الاستيلاء عليها بطرق مقارنة وتاريخية. ركزت ماريت في المقام الأول على الأنثروبولوجيا الدينية. موسوعة الكتب للتاريخ الأدبي والسياسي. ١٤٥/٢.

(٢) أولريش K. Preus (ولد في ٦ ديسمبر ١٩٣٩) يعلم نظريات الدولة في مدرسة هرتي للحكم، وهو حاصل على درجة الدكتوراه من جامعة خيس وعمل أستاذًا للقانون العام في جامعة برين من عام ١٩٧٢ إلى عام ١٩٩٦. ومنذ عام ١٩٩٦، كان يبرو أستاذًا للقانون العام والسياسة في جامعة فري ونيفرريتات برلين. أنظر: المصدر السابق. ص ١٦٧.

(٣) كان إدوين سيدني هارتلاند (Edwin Sidney Hartland) (١٨٤٨-١٩٢٧) مؤلفًا لأعمال الفولكلور، وتشمل أعماله مختارات من حكايات، ونظريات على الأنثروبولوجيا والأساطير مع منظور إثنولوجي. وأعرب عن اعتقاده بأن تجميع ودراسة الفولكلور المستمر والمستمر يوفر رؤية علمية للعرف والمعتقد. كانت هارتلاند رئيسة جمعية الفولكلور، ١٨٩٩-١٩٠١، وساهمت في مجلة فولك-لوري، وشملت مساهماته السابقة براعا مع أندرو لاي. أنظر: مباحث الفلسفة، ول ديورات. ص ٢٤٢.

(٤) إميل دوركايم (Durkheim) (١٥ أبريل ١٨٥٨ - ١٥ نوفمبر ١٩١٧) فيلسوف وعالم اجتماع فرنسي. أحد مؤسسي علم الاجتماع الحديث. وقد وضع لهذا العلم منهجية مستقلة تقوم على النظرية والتحرير في آن معا. أُرر آثاره "في تقسيم العمل الاجتماعي" De la division du travail social (عام ١٨٩٣)، و"قواعد المنهج السوسيولوجي" Les Règles de la méthode sociologique (عام ١٨٩٥). أنظر: الموسوعة الفلسفية، لمجموعة من العلماء السوفييتيين. إشراف: م. رورنتال، تحقيق. يوديس. ترجمة: سمير كرم. ط: دار الطليعة. بيروت. (الطبعة الخامسة ١٩٨٣)، ص ١٨٣.

(٥) روبرت هوبرت (Hubert Robert) (٢٢ مايو ١٧٣٣ - ١٥ أبريل ١٨٠٨) رساما فرنسيا، أشار إلى لوحات المناظر الطبيعية و كارتونكتيو، أو صور حالية تند أهمية للأطلال في إيطاليا وفرنسا. المصدر السابق. ص ٢١٥.

(٦) مرسيل موس (Marcel Mauss) (١٨٧٢-١٩٥٠) هو ابن أخت إميل دوركايم وولد مثله بإيبال. اهتم بموضوعات كثيرة دون أن يستقصيها إذ أن فصوله الفكرية كان يحمله على الانتقال من موضوع إلى موضوع بسرعة تنديدة. بيد أن تلاميذه استأنفوا بعض أعماله غير المسحرة وأبأنوا ما فيها من الحواضر السديدة والآراء الحصيفة. كما يجدر الإشارة إلى أن أعمال

الطبقة مجموعة مركبة من عقيدة "توتنزم" و"التصورات السحرية" كما توجد في أوهم قائل استراليا، وكما عرفنا توتنزم أولاً مبدأ التصورات الدينية لجميع البشر ثم تطورت واحتار شكل عقائد الألوهية.

ثم بعد بضع سنين من هذا العهد بعض علماء "البروتستانتية"^(١) الذين كانوا قبل ذلك مشغولين في الدراسة النفسية للعقائد الدينية توجهوا إلى هذه المسألة من الزاوية النفسية، وبدأ دعم هذه النظرية، وكانوا يعتقدون أن يبحث مبدأ عقيدة الألوهية في التصورات المركبة التي مجموعة من الديانة والسحر، وكان زعيم هذه الجماعة هو "لارس أولف ناتان سودر بريلوم"^(٢) ونشرت دراسته سنة (١٩١٦م)، وبعد ذلك بدأ عهد الحرب العالمية الأولى، وكان هذه الحرب انتهى دور القرن العشرين وبدأ الدور الآخر، وكما في هذا الدور وقع التغيرات التورية في مجال العلم والظن هكذا بدأ دور جديد في هذا الجانب العلمي أيضاً، وكان جميع هذه النظريات السابقة مبنية على الأصل "التطور المادي"^(٣).

كنود ليبي ستروس استقادت كثيراً من بعضصوص موس. بعد أن حصل موس على التبرير في الفلسفة بدأ في تأليف أطروحة عن الصلاة لم يكملها قط (وجمعت ونشرت أجزاء منها). ثم شارك في تأسيس معهد الإثنولوجيا في باريس وعين أستاذاً في الكوليج دو فرانس حيث تلمذ له كثير من مشاهير العلماء الفرنسيين المقلين في هذا المجال. لا نغذ له كتاباً كاملاً من تأليفه ولكن ألف مقالات كثيرة إما مع علماء آخرين إما وحده. المصدر السابق. ص ٢٣١.

(١) البروتستانتية حركة إصلاحية قامت في القرن السادس عشر هدفها إصلاح الكنيسة الكاثوليكية في أوروبا الغربية. وكانت شريعة واسعة من المسيحيين العربيين قد رأت انتشار ما اعتبروه أفكار باطلة وتصرفات غير لائقة داخل حسم الكنيسة، وفي مقدمتها بيع صكوك العفوان، وشراء رجال الدين المناصب العليا كالمطران والكاردينال وصولاً إلى البابا، في عام ١٥١٧م أخرج إلى العلن مارتى لوتر أطروحته في انتقاد الكنيسة الكاثوليكية وقد ترحبها في ٩٥ مد، فكانت تلك نقطة انطلاق الإصلاح البروتستانتي، والذي استند أيضاً على العمل الذي قام به مصلحون مختلفون مثل جون ويكليف وجون هوس وآخرون، أُرر النقاط التي هاجمها المصلحون البروتستانت في الكنيسة الكاثوليكية هي: صكوك العفوان، المطهر، الدينونة، سراكة مريم في الخلاص، شفاعة القديسين، معظم الأسرار الكنسية، وسلطة البابا. أنظر: تاريخ الفلسفة الحديثة، لـيوسف مكرم. ط: مكتبة الدراسات الفلسفية. ١٩٨١.

(٢) لارس أولف ناتان سودر بريلوم (Nathan Söderblom) ولد في ١٥ يناير ١٨٦٦ وتوفي في ١٢ يوليو ١٩٣١ هو رجل دين سويدي تحصل على جائزة نوبل للسلام سنة ١٩٣٠. أنظر: ناتان سودر بريلوم، لـسيدير لاج. ط: أندهيوك نغ روبريتست (٣١ ديسمبر ٢٠٠٦).

(٣) التطور المادي (materialistic evolution) يمكن أن تشير إلى هذه النظرية بالاشتغال بسبب مع العلم المادي. ولا من المفاهيم الفكرية أو الروحية. أو إلى أن المادة هي كل شيء هناك. هذه النظرية هي مشهورة بكثير من التركيز على

وحقيقة هذا الأصل (التطور المادي) الاعتقاد بأن مثل الأجسام والمادة الديانة أيضا يتطور تدريجيا ويعلو من الأسفل إلى الأعلى، وتصور "اللا ألوهية"^(١) في التوحيد لعبادة الإله هي نتيجة لسلسلة طويلة في الارتقاء.

في النصف الأخير من القرن التاسع عشر ظهرت النظرية "داروينية"^(٢) وشاعت في هذه العهد، تم جاءوا "كارل جورج بوشنر"^(٣)، "ويلز" (Wells) "اسبنسر" (Spencer) ونشروا هذه النظرية

الممتلكات المادية، وهو يرض على أن كل شيء في الكون هو المادة، من دون أي وجود الروحي أو الفكري الحقيقي. وتعهد أن الحاج المادي والتقدم هي أعلى القيم في الحياة. ويدعو أن هذا المبدأ سائد في المجتمع لعربي اليوم. أنظر: القرن العشرون، نعباس محمود العقاد. ص ١٢٥.

(١) اللا ألوهية (Nontheism) مصطلح يعطي مساحة واسعة من التصرفات المتدنية واللامتدنية، التي تصف رفض الإلوهية أو اعتقاد في إله شخصي أو تعدد الآلهة، بدأت موضوع اللاألوهية كوصف مرادف للعلمانية، فأصبحت مصطلح يصم مصطلحات مختلفة عن بعضها لكن لها مواقف مثل طسعية محددة. مثل اللاأدرية والشكوكية والإلحاد، واستخدمت اللاألوهية في اللاهوت الدفاعي واللاهوت التحرري كما تستخدم أحياناً كمرادف للإلحاد، وتضم اللاألوهية عدداً من الأفكار: "الإلحاد القوي" هو التعبير الموحى لعدم وجود الخالق، شخص لا يفكر بوجود الإله يمكن أن يسمى "ملحد ضعيف" أو ملحد صفي. وهناك فئات أخرى من اللاألوهية معروفة باسم اللاأدرية: لأدري "قوي" أو "إلخاني" يستحيل عليه معرفه إذا كان الخالق موجوداً أم لا، وهو رأي أكثر دقة من لا أدري ضعيف، حيث يعتقد ذلك بأنه غير معروف وجود أو عدم وجود الآلهة ولكن ليس بالضرورة مستحيل معرفته. وهناك آراء فيسوفية أخرى عن وجود الإله، من صممها الشكوكية، فسب المعالي المختلفة لكلمة إله، فقد يكون الشخص ملحداً من بعض البواحي، لكن لأدري من بواحي أخرى، وقد لعبت اللاألوهية دوراً في المسيحية، واليهودية، والهندوسية. أنظر: "The Nature of Religion" (مجلة لدراسة العلمية للدين) بـ "J. Paul Williams and Horace L. Friess". ١١٧٢.

(٢) الداروينية (Darwinism) مصطلح يطلق على مجموعة حركات ومفاهيم فلسفة وإحصاء مستمدة من أفكار عالم البيولوجيا سارلر داروين. كما أيضا تشمل أفكار لا تتعلق به. ومن أهم هذه الأفكار ما يتعلق بالتطور والاصطفاء الطبيعي. يقترن اسم الداروينية بشكل خاص بفكرة التطور عن طريق الاصطفاء الطبيعي. فعمليات التطور التي لا تدرج في إطار الاصطفاء الطبيعي مثل الطفرات الوراثية لا تصنف ضمن الداروينية. وإن أعلن البشر (عد داروين) يعود أصلهم إلى القرد، فسيهم بدرجوا حسب أصلهم أحوال إلى سب عشرة مرتبة. يأتي في أسفل السلسلة كن من الزبون، الهنود، المناوين. العرب. ويأتي في المرتبة التي حسب الرقم عشرة الآريون، أما في المرتبة الخامسة والسادسة عشرة فيأتي البيض وهم الآريون، وهم من أعلى المراتب. وهناك المرتبة الأكثر والتي تعد الأعلى، حيث تأتي بعد السادسة عشرة، إذ تطورت بشكل أسرع. وتنتار بإبدعها وتعوقها عن صف البشر، حيث يدعى (بالجنس الحارق)، من حيث المحقر والمدنية والرتب وأيضا السقيم والتخلف. وفي كل من الاقتصاد والتجارة وحتى السياسة، وأيضا دعت في كل من الثقافة والفنون ولتسلخ، وهي ما تمثل حسب اليهودي. أنظر: نشأة الأنواع الحية عن طريق الانتخاب الطبيعي أو لاصطفاء بالاعراض المفضلة في أثناء الكفاح من أجل الحياة. تأليف سارلر داروين. ترجمة: محمد محمود المنجس. ط ١. مجلس الأعلى للثقافة القاهرة. ٢٠٠٤. ص ٢٩٣.

(٣) كارل جورج بوشنر (Karl Georg Büchner) هو شاعر ألماني اشتراكي، ولد عام ١٨١٣ في جوديلاو، ومات عام ١٨٣٧ في ريبورج. أنظر: عصور الأدب الألماني (تحولات الواقع ومسارات التحديد)، تأليف: "نارنار ناومان"، و"ريختا أورلر". ط: منشورات عالم المعرفة، فبراير ٢٠٠٢. العدد ٢٧٨. ص ٢٣٤.

بمناقشات الفلسفية في جميع دوائر الفكر والعمل الإنساني، وتأثرت به عقيدة وحود الإله وجميع الحلقات البحث والنظر توحته إلى تلك الخطوات (١).

نهاية نظرية الارتقاء والدراسات المعاصرة:

وقبل تقدم القرن العشرين في اكتشافاتها الثورية اهتزت مباني هذه النظريات (داروينية، توتمزم، انيم ازم وغيرها) وبعد الحرب العالمية الأولى تلاشت جميع هذه النظريات واتفقوا جميع أهل النظر على أن جميع الدراسات في هذا السبيل خاطئة لأن جميع تلك التحقيقات مبنية على أساس قانون الارتقاء وثبت أن قانون الارتقاء دليلاً مضللاً مكان المقيّد، ووضح أمامهم من شواهد التاريخية بأن التصور الأعلى (التوحيد الإله) للإنسان حول الإله ليس من انتاج زمن الأخيرة بل هو تصور قديم للبشرية بأنهم في البداية كانوا على عقيدة توحيد الإله.

فلما علم بأن التصور التوحيد كان موجوداً في قلب الإنسان قبل النظريات الارتقائية مثل نظرية عبادة مظاهر الفطرة وتصور (طوطمية) تعظيم الحيوانات، و (مين ارم) عبادة الآباء والأجداد، وإشاعة الأوهام السحرية (جانب من الطوطمية) وغيرها من جميع النظريات تلاشت في محال الدراسات العلمية.

هناك محقق آخر باسم "ويلهلم شميث" (٢) كان أستاذاً في جامعة وائنا وكتب كتاباً جيداً في هذا الموضوع باسم "The Origin and Growth of Religion"، حيث يقول في كتابه هذا: "في مجال علم الشعوب

(١) أم الكتاب لمولانا آزاد. ص-١٧٢ إلى ١٧٨.

(٢) ويلهلم شميث (Wilhelm Schmidt) (١٦ فبراير ١٨٦٨ - ١٠ فبراير ١٩٥٤) كان لعوي ممساوي، عالم الأنثروبولوجيا، وعلم الأعراق. ولد ويلهلم شميث في هورد، ألمانيا في عام ١٨٦٨. دخل جمعية الكلمة الإلهية (Society of the Divine Word) في عام ١٨٩٠، وكان أصبح كاهناً كاثوليكياً رسمياً في عام ١٨٩٢.

درس علم اللغة في جامعة برلين وفيينا، وكان عاطفته الرئيسية هي اللغويات لذا قضى سنوات عديدة في دراسة اللغات في جميع أنحاء العالم تقريباً. من عام ١٩١٢ إلى وفاته في عام ١٩٥٤، نشر له الكتاب المهم في ١٢ مجلدات باسم "The Origin of the Idea of God" (أصل فكرة الله). في عام ١٩٠٦ أسس شميث مجلة (Anthropos) أنثروبوس، وفي عام ١٩٣١ معهد أنثروبوس (Anthropos Institute) وكلاهما لا يزال قائماً اليوم. في عام ١٩٣٨ فر شميث من احتلال النمسا إلى فيربورج. سويسرا وتوفي هناك في عام ١٩٥٤.

أعماله المناحة في الرحمة الإلهية هي: أصل وعمو الدين (The Origin and Growth of Religion) (١٩٣١)، الآلهة العالية في أمريكا الشمالية (High Gods in North America) (١٩٣٣)، الثقافة الطريقة التاريخية للأنثروبولوجيا (The Culture Historical Method of Ethnology) (١٩٣٩)، والوحي البدائي (Primitive Revelation).

والقبائل الإنسانية نظرية الارتقاء الديانة (القديمة) أصبحت مفلسة تماماً، وسلسلة النشؤ والتطور التي مبنية عليها هذه النظرية تلاشت كاملاً، وتركها الدراسات التاريخية الجديدة^(١).

ثم يقول في موضع آخر: "الآن وضع تماماً أن التصور الأول للإنسان حول الكيان الأعلى، في الحقيقة كان مبنياً على عقيدة التوحيد، واعتقاد الإله الواحد في التصور الإنسان بدأ من هنا، وهذا هو الدين التوحيد كاملاً، وهذه الحقيقة واضحة جداً حيث يكفي لكشفها أدنى التحقيق أيضاً، ويمكن أن يقال بالوثوق نسبة قبائل الاجسام الصغيرة من جنس الإنسان والقبائل البرية (الوحشية) في عهود الأولى مثل قبيلة "جوليان بيرميغو"^(٢) و "كوماي"^(٣) وقبيلة "يوي"^(٤) في جنوب الشرق الاستراليا، في ضوء الأخبار التاريخية التي وصلت إلينا حول تلك القبائل من كلها تظهر هذه النتائج (بأنه كان التصور الأول للإنسان مبنياً على التوحيد الإله)، كذلك يتضح لنا نفس النتائج (تصور التوحيد الإله) من اخضارة القبائل "المطقة القطبية الشمالية" (Arctic) ومن تحقيق تصورات الديانة من القبائل الساكنة في شمال أمريكا^(٥).

والباحثين المعاصرين بحثوا عن هذه المسئلة كموضوع الدراسة وجمعوا جميع جوانب المعلومات والمباحث القديمة ثم أخرجوا منها النتائج الإجمالية^(٦).

أنظر: The Origin and Growth of Religion by: Wilhelm Schmidt الترجمة: Herbert Jennings

Rose. الطبع: ٢٠١٤، Mark S. Phillips Publishing، ص: ٤-٣.

(١) The Origin and Growth of Religion by: Wilhelm Schmidt (أصل الدين و نموه لـ ") ص

٨ .

(٢) Julin Berneji .

(٣) كوماي (Kumai) هو مباءة في مقاطعة كاليمانتان الوسطى في اندونيسيا، في جزيرة بورنيو. ويقع على بحر كوماي. مأخوذ

من كتاب: "بيرماغوي - قرن من الميراث والأسر" (Bermagui - A Century of Features and Families).

تألف: رون غاها وجودي هيرن، (Ron Gaha and Judy Hearn). ص ٥٥.

(٤) يوي (Yuin) يتبر هذا الاسم المستعار إلى مجموعة من الشعوب الأصلية الأسترالية من الساحل الغربي لنيو ساوث ويلز،

وكل الناس من "يوي" يشاركون في الأحداث، ولغة واحدة من اللهجات اللغة يوي كلعتهم الأولى، من أشهر اللهجاتهم: دجيريغانج،

توا، والناخا، أو واندانديان ولغة دورغا (من ناروما إلى بورا) المصادر السابق. ص ٦١.

(٥) كتاب: أصل الدين و نموه لـ "ويلهلم شميت". ص ٨ .

(٦) أم الكتاب مولانا آزاد. ص-١٧٨-١٧٩.

المطلب الثاني: تصورات القبائل المختلفة قديما وحديثا حول الإله والدراسات المعاصرة.

القبائل الوحشية في أستراليا والجزائر، والدراسات المعاصرة لآثار القديمة في مصر:

القبائل الوحشية في أستراليا وفي الجزائر البحر المحيط كانوا يعيشون حياة غير متحضرة، وكانت لا توجد عندهم وسائل الحياة والعيش التي تصلها الإنسان إلى الحضارة والارتقاء الذهني، وكانت تنظر فيهم آثار البدائي للعهد البشري جسما وعقلا، وكانت تصوراتها محدودة جدا حيث لا يوجد في أوهامهم تصور الارتقاء والحضارة، لكن رغم ذلك (حياة الغير المتحضرة) تصورهم للديانة واضح جدا حيث كانوا يعتقدون بأن هناك دات (الإله) الذي خلق لهم السموات والأرض، وحياتهم وموتهم في تصرف تلك الدات.

هكذا ظهرت أمامنا سلسلة التصورات المصرية القديمة في أدوار المختلفة بتعبيرات، ونحن ننظر بالوصوح أن تصور عبادة ذات الواحد وتعبد الإله الواحد ليس تصورا بعديا بل كان هذا تصور قدم في سلسلة العبادة الإله، وجميع الآلهة التي جعلت تذكاراتهم الأحياء والممارات المشهورة ليس لها أي وجود في عهد القديم، كان يوجد اعتقاد إله الواحد باسم "أوزيريس" ^(١) وكان له السيطرة على جميع سكان واد النيل ^(٢).

السكان القديم على واد الدجلة والفرات وتصور الإله الواحد :

لقد أحدثت البحوث الجديدة في سلسلة الحفريات التي بدأت بعد الحرب العالمية الأولى (World War I) في مصر في مجال التصور الإله الواحد، واكتشف لنا بأن كما السكان على واد النيل كانوا يعبدون للإله الواحد كذلك السكان على واد الدجلة والفرات أيضا يعبدون للإله الواحد، وكان أهمهم

(١) أوزيريس (Osiris) إله البعث والحساب وهو رئيس محكمة الموتى عند قدماء المصريين، من آلهة التأسوع المقدس الرئيسي في الديانة المصرية القديمة. صفا للأسطورة الدينية المصرية القديمة كان أوزيريس أبا لإيريس وبميس وسب، وبروح من "إيريس"، وأبوهما "حب" إله الأرض و "نوت" إله السماء. أنظر: تاريخ الفكر الديني الخاهلي، لمحمد إبراهيم القومى . ط: دار الفكر العربي. ٥٨١١.

(٢) أم الكتاب لمولانا آزاد. ص: ١٨٠.

ظهر في صورة الذات الواحد غير مرئ، وكانت قبائل "سومريون"^(١) و "الأكاديون"^(٢) أيضا لا يعبدون الشمس ولا القمر بل كانوا يعبدون الذات الذي خلق الشمس والقمر والنجوم الساطعة.

الموهنجودارو والههم الواحد:

كانت توجد في الهند آثار موهنجودارو^(٣) من العهد الآرية وإن كانت عملية التحقيق والدراسة لم تتم بعد لكن توضح من تلك الآثار الحقيقة واحدة وهي أن تصور سكان هذه القرية القديمة هو تصور

(١) الحصار السومرية من الحصار القديمة المعروفة في حوب بلاد الرافدين وقد عرف تاريخها من الألواح الطينية المدونة بالخط المسماري. وظهر اسم سومر في بداية الألفية الثالثة ق.م. في فترة ظهور الحيتيين لكن بداية السومريين كانت في الألفية السادسة ق.م. حيث استقر شعب العبيديين غوب العراق وشيدوا المدن السومرية الرئيسية كأور وبيور ولارسا ولجاش وكولات وكيش وإيرين وإريدو وأداب (مدينة). واحتلظ العبيديون بأهل الشام والحريرة العربية عن طريق المحجرة أو شن غارات عليهم. وبعد عام ٣٢٥٠ ق.م. وكانت خاصة هم وانتكروا الكتابة على الرقم الطينية وهي مخطوطات ألواح الطين وظلت الكتابة السومرية ٢٠٠٠ عام: لعة الاتصال بين دول الشرق الأوسط في وقتها. استقرت مجموعة في ناحية من العراق يعرف سهيل تسعار، فعظم شأنهم، وعرفوا بالسومريين عملوا بالزراعة. وسوا السدود، أقام لحاسهم قوم عرفوا بالأكاديين وعاصمتهم (أكاد)، وانتقل بعضهم إلى المرتفعات الشرقية من هذه البقعة، وسوا مدينة (سورا) وهم العيلاميون، وكان السومريون أكبر قوة في المنطقة، ومن أشهر ملوكهم (سرحون)، ومن مدحهم الشهيرة (أور)، عدوا التماثيل والكواكب وتمادوا في عيهم وصلاتهم، فعت الله إليهم بيه إبراهيم وهو من مدينة (أور). أنظر: موح التاريخ الإسلامي منذ عهد آدم عليه السلام (تاريخ ما قبل الإسلام) إلى عصرنا الحاضر، لأحمد معمر العسيري. ط: مكتبة الملك فهد الوطنية-الرياض (١٤١٧هـ-١٩٩٦م). ج-١١ص-١٦.

(٢) احد هذا الاسم من النهضة السامية العالة (اللغة الأكديّة) في العترات النالية القديمة. الأكديّة هي إمبراطورية تركزت في مدينة أكاد وبالمناطق المحيطة بأكد في منتصف بلاد الرافدين (حاليا العراق) تقع مدينة أكد على الضفة العربية لنهر العرات بين رمير وكش (في العراق ٥٠ كم حوب عرب مركز بغداد). أزهت الحصار الأكديّة خلال الفترة ٢٢-٢٤ ق.م. ووصلت دروتها، عقب عرو سرحون الأكدي. كان الأكاديون فرعا من هحرات سامية متوالية، تكاثرت أعدادها بوادي العراق، والشام قبل منتصف الألف الثالث قبل الميلاد؛ تم تشعت فروعا كثيرة؛ فكان منها ما انتشر في بواحي الشام، وانجتهت أماخا نحو المناطق الحصنة بالعراق. وكانت الجماعة تعرف "بالأكديين"، الذين اكسوا اسمهم بالانتساب مؤحرا فيما يمتل إلى العاصمة "أكد" التي أصححت مركزا لنشاطهم السياسي والحربي، بعد فترة من استقرارهم بالعراق، وبعد أن انتظمت أمورهم وعر شأنهم فيه. أنظر: تاريخ الفكر النديي الحاهلي، لمحمد إبراهيم النيومي ط. دار الفكر العربي (الرابعة) ١٠٤١٥هـ-١٩٩٤م. ٢٣١١.

(٣) موهنجودارو موقع أثري يقع في إقليم السند. باكستان. وقد تم تشييده عام ٢٦٠٠ قبل الميلاد، ولقد كان واحدا من أكبر المستوطنات القديمة في حضارة وادي السند وواحدا من أوائل مستوطنات الحضرة الرئيسية، التي وحدثت في نفس الوقت كحصارات مصر القديمة وبلاد ما بين النهرين وكريت. وقد هحرت موهنجو دارو في القرن التاسع عشر قبل الميلاد، ولم يعاد

وحدانية الإله ولم يكن تصورهم تصور عبادة الأصنام وكانوا ينادون إلههم الواحد باسم "اون" (Oun) الذي يشابه مع "اندوان" (Undwan) من سنسكريتية وكانوا يعتقدون أن سلطة هذه الذات تسيطر على جميع الأشياء وجميع أشياء الكون تعمل تحت قانون تلك الذات، وكان صفتها "فيدكون"^(١) (Vedukun) أي الذات التي كانت أعينها لا تغفل أبداً كما جاء في قوله تعالى: [لَا تَأْخُذْهُ سِنَّةٌ وَلَا نَوْمٌ]^(٢).

تصور السامية القديم حول ذات (الله) الواحد:

إن المصدر الأصلي للقبائل السامية^(٣) هو بعض المناطق الخضراء في صحاري العرب حيث تمتلئ هذه المنطقة من النسل الإنساني فكانوا يخرجون من تلك المنطقة وينتشرون في الأطراف العالم وبعد قرون

اكتشافها حتى عام ١٩٢٢. ومنذ ذلك الحين أحرث حفريات كبيرة في موقع المدينة، والتي احتريت كموقع للتراث العالمي لليونسكو (UNESCO) في عام ١٩٨٠. وكانت موهيحو دارو المدينة الأكثر تقدماً في وقتها، مع تطور ملحوظ في مجال الهندسة المدنية والتخطيط الحضري، وعندما حدث انهيار مفاجئ لحصارة السند تقريباً في عام ١٩٠٠ قبل الميلاد، هُجرت موهيحو دارو. الآن لم يبق لنا شيء من العمارة الهندية قبل "أشوكا" ولكن لدينا آثار "موهيو - دارو" على أشياء عديدة التي تشمل أشتكالا واقعة وحالسة ونحاساً وأدوات حجرية أحتام محوتة وميزان المقاييس والأورار وذهب وأحجار كريمة ولعب أطفال ومجوهرات. أنظر: قصة الحصارة لـ "ول ديورانت" ج-٣/٣٦١.

(١) تظهر أن شعب موهيحو دارو لم يتت في تعدد الآلهة واعتبروا في قوة واحدة سبحانه وتعالى، وهو الإله باسم "اون" الذي يشبه مصطلح السنسكريتية "وندوان" وكانوا يعتقدون أن كل شيء يرجع إلى قانون الحياة الذي جعله تلك الذات للناس، وأن من صفاته "فيدكون" أي "اليقظة الأبدية". أنظر: الأدان العالمية والإسلام (دراسة مقارنة)، للدكتور حامد سيم رافي انادي. ص ٥٥.

(٢) سورة البقرة، الآية: ٢٥٥. وأم الكتاب لمولانا آزاد. ص-١٨١.

(٣) الساميون هو مصطلح يصف أي مجموعة أتبية أو ثقافية أو عرقية تنحدر باللغات السامية وقد استخدم المصطلح لأول مرة في العقد ١٧٧٠ من أعضاء مدرسة عوتن للتاريخ والدين اشتقوه من سام واحد من أبناء نوح الثلاثة في سفر التكوين. يُزعم أن المهد الأصلي للساميين إما هو أرض أرمينية (القفقاس) وبعضهم يقول أن هذه المنطقة هي المهد الأصلي للأمم السامية والأمم الآرية جميعاً ثم تفرعت منها جموع المنتر في أرض الله الواسعة. وللنوراة بطرية خاصة عن أهدم ناحية عمرها سو نوح وهي أرض نابل وقد تكون هذه البطرية أقرب إلى الحقيقة فقد أنتت السحوت التاريخية أن أرض نابل هي المهد الأصلي للحصارة السامية. وقد أيد العالم (حويدي) هذه البطرية في رسالة يقول فيها إن المهد الأصلي للأمم السامية كان في نواحي حوت العراق على هر المرات وقد سرد عددا من الكلمات المألوفة في جميع اللغات السامية من العمران والخيوان والنبات وقال أن أول من

كانوا يختارون اللون الحديد والاسم الحديد والشكل الحديد وكان تشعب القبائل في الكرة الأرضية جزئي الأرض المختلفين وبعد زمن تظهر هذه الأقوام المختلفة في الشكل الحصادات الجديدة.

وخرجت القبائل المختلفة إلى الصحراء "الجوي"^(١) الذين يعرفون بأسماء الهندية والأوروبية والآرية، هكذا خرج من صحراء العرب أقواماً الذين يسمون في البداية باسم "سامية" ثم فقدت هذا الاسم في هجوم الاسماء المختلفة، و معلومات التاريخ توقف إلى هذا الحد ولا يعرف مزيداً عنهم. ثم نشرت تشعب قبائل العرب تدريجاً إلى غرب آسيا وكثير من الحصص الأجزاء الأفريقية قريباً، كذلك فلسطين، شام، عراق، وسواحل الخليج والفراس كلها دخلوا في دائرة انشعابهم، كذلك عاد، ثمود، العمالققة^(٢)، الآشورية^(٣)

استعملها هم أهل تلك المنطقة ثم أحدها عنهم جميع الساميين. أنظر: تاريخ الفكر الديني الجاهلي، لمحمد إبراهيم العيومي. ح-٤٦-٤٧.

(١) صحراء حوي هي إحدى أكثر الصحاري الموحدة في القارة الآسيوية، الصحراء مترامية الأطراف في الجزء الشرقي من وسط آسيا. تفصل ما بين معوليا الداخلية ومعوليا الخارجية، وتتحد شكل قوس يبلغ طوله ١٠٦٠٠ كيلو متر، ويتراوح عرضه ما بين ٤٨٠ و ٩٦٠ كيلومتراً. مساحتها ١٠٣٠٠٠٠٠٠ كيلو متر مربع. تشهد توسعاً سريعاً. وتنحصر إحدائيات الصحراء بين ٤٢،٥٩° باتجاه الشمال، و ١٠٣،٤٣° باتجاه الشرق. أنظر: قصة الحصار. ح-١٤-٢١٩.

(٢) العمالققة أو العماليق شعب من أقدم سكان سورية الجنوبية ومن درية عيسو، وكانوا يقيمون في البدء قرب قادش حوب عربي حمص، وكانوا ينتشرون في فلسطين عند مجيء العربانيين من مصر. أنظر: قصة الحصار لـ ول ديورنت. ١٦٢/٢٤.

(٣) آشور أول دولة قامت في مدينة آشور في شمال بلاد ما بين النهرين، وتوسعت في الألفية الثانية ق.م. وامتدت شمالاً لمدن نينوى، نمرود و حورساد. ولقد حكم الملك شمشي مدينة آشور عام ١٨١٣ ق.م. واستولي حمورابي ملك بابل على آشور عام ١٧٦٠ ق.م. إلا أن الملك الآشوري شلمنصر استولي على بابل وهرم الميتانيين عام ١٢٧٣ ق.م. ثم استولت آشور ثانية على بابل عام ١٢٤٠ ق.م. وفي عام ١٠٠٠ ق.م. استولي الآراميون على آشور، لكن الآشوريين استولوا على فينيقيا عام ٧٧٤ ق.م. وصور عام ٧٣٤ ق.م. والسامرة عام ٧٢١ ق.م. وأسر سارحون الثاني اليهود في اورشليم عام ٧٠١ ق.م. وفي عام ٦٨٦ ق.م. دمر الآشوريون مدينة بابل وتار البابليين على حكم الآشوريين وهزمهم بمساعدة ميديا عام ٦١٢ ق.م. تس الآشوريين حملاتهم على باقي مناطق سوريا وتركيا وإيران.

وبعد سقوط الإمبراطورية السومرية أصبحت آشور مثل كثير من المدن الأخرى مستقلة وبدأ "نورور - آشور الأول" الذي حكم حوالي سنة ٢٠٠٠ ق.م. سلسلة جديدة من الملوك الذين يحملون أسماء أكديّة نحتة. وقد ترك لنا اثان من هؤلاء "إيلوشوما، إيروشم الأول" بصوضاً تدل على ساء معاند للألّة آشور وأداد وعشتار في المدينة، كما أن من المعروف أن "إيلوشوما" توغل في حوب بلاد النهرين أثناء حكم "شمشي - داحان" ملك أيسين ١٩٥٣-١٩٣٥ ق.م. أنظر: معالم تاريخ الشرق الأدنى القديم، لمحمد أبو المحاسن عصمور. ط: دار النهضة العربية - بيروت - لبنان. ح-١١-٣٧٤.

الأكدية، السومرية، الآرية، والعبرانية^(١) وغيرهم كلها أسماء للأقوام الذين مضت في الأزمان والأماكن المختلفة، وكان مصدرها الأصلي واحد للجميع وهم العرب.

ووضحت الحقيقة الواحدة من دراسة الأثرية القديمة للسامية الجديدة التي تتعلق بتلك الأقوام وهي أنه كان في جميع تلك الأقوام يوجد اعتقاد الإله الواحد الغير المربى وكانوا ينادونه باسم "أل" "ألاه" و "الله"، وهذا "الاه" الذي أحيانا يختار صورة "ايل" أحيانا "الوه"، وأحيانا شكل "الاهيا"^(٢).

(١) اللغة العبرية أو العبرانية حقيقة هي لغة واحدة، والعبرانيين هم الجنس الثالث من الاحساس السامية وسبب تسميتهم عبرانيين او عبرانيون. إهم من نسل عابر بن سام بن نوح وقيل سموا عبرانيين لانهم عمروا مع بنى الله ابراهيم كمر الفرات. وقد سنى فيما بعد بنى اسرائيل باسم العبرانيين او العبريين.

هي لغة سامية من مجموعة اللغات الشمالية العربية من الفرع الكنعاني، تنتمي إلى مجموعة اللغات الأفريقية الآسيوية. حالياً تستمر اللغة العبرية الحديثة كلغة حديث وأدب وتعاملات رسمية، ويتحدث بها أكثر من سبعة ملايين شخص مورعين في حدود إسرائيل والأراضي الفلسطينية. اللغة العبرية القديمة هي العبرية التي كتب فيها العهد القديم، وتنسب إلى حد كبير لغات قديمة أخرى مثل اللغة الفينيقية والعربية والمؤابية؛ وهذا يعتبر علماء اللغات بأن كل هذه اللغات الأخيرة لحقات للغة الكنعانية. أنظر: المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، للدكتور حواد علي (المتوفى: ١٤٠٨ هـ). ط: دار الساقى (الطبعة الرابعة) ١٤٢٢ هـ / ٢٠٠١ م.

ج-١٢/ص-١٢٩.

(٢) أم الكتاب لمولانا آزاد. ص-١٨٢.

المطلب الثالث: التصور البدائي للإنسان وشهادة القرآن الكريم.

كان الإنسان أولاً على طريق الهداية ثم سلك طريق الضلالة:

قد ظهر من التحقيقات العلمية في القرن العشرين بأن التصور البدائي (في العهد القديم) للإنسان كان مبنيًا على عقيدة التوحيد دون الوثنية، وتصور التوحيد من أقدم التصورات في ذهن الإنسان منذ طفولته لأنه لما ولد وفتح عينيه فوجد في نفسه اعتقاد الإله الواحد، ثم زل بعد ذلك عن طريق الحق وتأثر من المؤثرات الخارجية ونشأ في ذهنه تصور التعدد الآلهة وعبادة مظاهر الفطرة وبسبب طبيعة بيئته ما استطاع أن يجتنب نفسه عن هذه الضلالة، فعلم من ذلك بأن الإنسان كان على الهداية أولاً^(١) ثم ضل بعد ذلك، فإن كان يعبر عن الحالة الثانية بالضلالة فبالضرورة كانت الحالة الأولى حالة الهداية التي ولد عليها الإنسان، فالإنسان فتح عينيه على النور و الهداية ثم دخل في الظلمات وترك طريق الهداية واختار طريق الضلالة والخسران^(٢).

شهادة كتب الدينية وتصريح القرآن :

النتيجة المأخوذة ضمن الدراسات العلمية المعاصرة (عن تصور التوحيد البدائي) هي تطابق لتصريحات الكتب المقدسة لأديان العالم، وجميع الحضارات الدينية مثل مصر، يونان، هند، صين، إيران وغيرها من الحضارات يخبرنا عن التصور الأولي للإنسان في العهد البدائي بأنه كان على هداية الفطرة (الوحدانية الإله) في ذلك العهد دون الضلالة كما ذكره " كريتياس " ^(٣) عن سكان العالم في حكاية

(١) كمفهوم الحديث الذي أحرجه مسلم في صحيحه عن رواية أبي هريرة بـرقم (٢٦٥٨) في باب: معنى كل مولود يولد على الفطرة وحكم موت أطفال الكفار وأطفال المسلمين. أنه كان يقول: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ما من مولود إلا يولد على الفطرة، فأبواه يهودانه ويصرانه ويمجسانه، كما تنتج البهيمة بهيمة جمعاء، هل تحسون فيها من جدعاء؟" ثم يقول: أبو هريرة وأهروا إدا شنتم: {فطرة الله التي فطر الناس عليها لا تدلّل لخلق الله} [أنروم: ٣٠] الآية. ٢٠٤٧/٤.

(٢) أم الكتاب لمولانا آزاد. ص-١٨٣.

(٣) كان كريتياس (Critias) شخصية سياسية أثينية قديمة ومؤلفة، ولد كريتياس في أثينا. وكان ابن كاليبسكروس وابن عم لأم أفلاطون بيريكليون. أصبح عضوا قياديا وغيما من الطغاة الثلاثين، كما أنه كان معاون لـ"سقراط"، وهي حقيقة لم تظهر سقراط على الجمهور الأثيني

"طيماوس"^(١) هي أيضا نغیرنا عن هذا الاعتقاد (التوحيد) لحضارة مصر، كذلك التوراة لما تذكر قصة آدم -عليه السلام- تقول إن آدم كان أولا في الجنة ثم أخطأ وحُرم من حياة الجنة، فعلم من هذه الرواية بأن العهد الأول للبشرية كان عهد الهداية، ثم انحرف الإنسان عن الهداية وسلك طرق الضلالة، لذا صرح القرآن الكريم بذلك: [وَمَا كَانَ النَّاسُ إِلَّا أُمَّةً وَاحِدَةً فَاخْتَلَفُوا] ^(٢).

وقال الله تعالى في مقام آخر بمزيد من الوضوح: [كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ وَأَنْزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِيَمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ] ^(٣).

نظرية الارتقاء لا يساعدنا في اعتقاد وجود الله بل يساعد في معرفة صفات الله تعالى:

نظرية الارتقاء التي وجدت في القرن التاسع عشر انتهت الآن أهميته ولا يساعد في مجال البحث والنظر إلا قليلا، لكن يساعد في مطالعة صفات الله تعالى لأن في تصور صفات الله توجد سلسلة النشأة والتطور وبقانون الارتقاء نستطيع أن نصعد من الأسفل إلى الأعلى، واعتقاد وجود الله تعالى ليس نتاج ذهن الإنسان لذا لا يتغير بتغيير ذهن الإنسان بل هو شعور حدسي لعطرة الإنسان وفي الشعور الحدسي لا تتأثر مؤثرات الفكر ولا تتغير بالتغيرات الخارجية، فذهن الإنسان عاجز عن تصور وجود الله فإنه لما يتصور عن ذات الله فيأتي في تصوره صفات النقص والعوارض لذات الله تعالى، لأن الإنسان يتصور في ذاته تعالى حسب طاقة ذهنه، ومن هنا بدأ تدخل الذهن والفكر في الشعور الفطري لعبادة الله.

حتى الموت. أنظر: "أسرة كريتاس" المحلة الأمريكية لعقه اللغة باسم (The Family of Critias) ط: مطبعة جامعة حوبر هو بكتز. ص ٧٠.

(١) طيماوس (Timaeus) هي إحدى محاورات أفلاطون كتب حوالي عام ٣٦٠ قبل الميلاد وتنع حوار كريتاس، فيها يُتناول موضوع الطبيعة ونشأة الكون والحائق، نقلها إلى العربية يحيى بن الطريق، ومن بين المشاركين في الحوار سقراط؛ تيماوس من لوكري؛ هرموكراتس. كريتاس. ويعتقد بعض العلماء أن كريتاس الذي يظهر في هذا الحوار ليس كريتاس من الطعارة الثلاثين، ولكن حده الذي يدعى أيضا كريتاس يعتقد أن هذا الحوار ضمماوس أثر كتاب حول فيثاغورس، والذي كسه فيلولاوس. أنظر. معجم الفلاسفة، لجورج طرايشني. ط: دار الطليعة - بيروت. ص ٧٤٢.

(٢) سورة يونس، الآية: ١٩.

(٣) سورة البقرة، الآية: ٢١٣. أم الكتاب لمولانا آزاد. ص-١٨٤.

العقل الإنساني وتصوره في الصفات الإلهي:

إن عقل الإنسان محدود في دائرة المحسوسات ولا يستطيع أن يخرج عن هذه الدائرة ولا يمكن تصوره للأشياء غير المحسوسة فالإنسان يتصور في الأشياء الذي يحسه، ويذوقه، ويسمعه، ويشمه وغيره ذلك، ثم التفكير والتصور يتغير بطول الزمان فالذهن الإنسان كان محدوداً في عهد الطفولة ثم لما كبر ارتفع تصوراته وتخيله، فكلما تصور الإنسان عن ذات الإله يكون تصوره حسب استطاعة فكره فهو يجعل صورة الإله في ذهنه في عمر ثم لما يكبر فيتغير تلك الصورة الإلهية ويجعل شبيهاً له في ذهنه، ويظن بأن هذا ممكن إله، والحقيقة على عكس ذهن الإنسان، ولهذا العجز نحس ضرورة وحي الله ويأتي وحي الله تعالى لارالة هذه التخيلات.

ثم إذا نزل وحي يكون تصور الإله حسب ذهن المخاطبين ووفق طاقة ذهنه وفهمه لأن النبي - صلى الله عليه وسلم - كان معلم الإنسان ومن مهمة المربي أن يعلم تلميذه حسب استعداد فهمه، فالأسلوب الذي احتاره الأنبياء - عليهم السلام - لبيان صفة الله تعالى هو ليس خارجاً عن سلسلة الارتقاء بل كان في درجات ومراحل المختلفة .

النقاط الثلاثة لتصور الارتقاء :

لما نفكر في مراحل تطور الهداية ونقوم بتحليل العناصر الهداية فيمكننا أن نعرف السلسلة الإرتقائية من خلال نقاط ثلاثة:

أول: الارتقاء من التجسم إلى التنزيه .

الثاني: الارتقاء من الشرك والتعدد (polytheism) إلى التوحيد (Monotheism) .

الثالث: الارتقاء من الصفات الغضبية والجلالية إلى صفات الرحمة والجمال^(١).

لماذا التصور الإنسان يبدأ من الصفات الغضبية:

فالرحمة صفة إيجابية والغضب صفة سلبية ومن طبيعة الإنسان أنه لا يتأثر من الصفة الإيجابية مباشرة بل يتأخر، ويتأثر من صفات السلبية فوراً، وكما عرفنا أن عمارة الكون وباءه مستور في تخريب الكون فمن طبيعة البناء الصمت والسكون، ومن طبيعة التخريب الهيبة والدهشة، فالإنسان لم ير حس

(١) أم الكتاب لمولانا آزاد. ص-١٨٦-١٨٧.

العمارة و البناء بسبب صغر ذهنه وفزع من دهشة التخريب، فلرؤية البناء والحسن يحتاج إلى الفهم العميق والبصيرة وهو لا يوجد عنده بعد.

لذا هو متأثر من صفات الغضب والجلال بسبب الدهشة والفزع وكما قلنا أن طبيعة الإنسان يتأثر من صفات السلبية فوراً بسبب الفزع ودهشته لذا الإنسان لو فكر وتصور في صفات الله تعالى يتأثر من المظاهر السلبية في فطرة الكون لأنه كان ظاهراً واضحاً مفزِعاً وتأخر في مظاهر الإيجابية بسبب صمته، فرأى الإنسان في الكون الرعد والبرق، وبركان الجبال، والانهيار، وسيلان الماء، والزلازل في الأرض، المطر والتلج وغير ذلك فتأثر من فزع هذه الأشياء ودهشته فإذا تفكر ورأى هذه الأشياء يبقى في ذهنه الصورة المخيفة والغضبية لذات الله تعالى لذا هو تأثر من صفاته الغضبية والجلالية، وإلا إذا نظر بدقة ففي جميع هذه الأشياء توجد رحمة الله تعالى .

هكذا عند ولادة الإنسان أيضاً حياته مفرعة جداً لأنه كان ضعيفاً جداً، ويظهر إلى الأرض فيرى العقرب والحية والبعوضات وغير ذلك، هكذا حرارة الشمس، ووجود الحيوانات السامة مثل الحية والعقرب والبهائم الوحشية الغرض فإنه بسبب هذه الأشياء يصبح مشهد الكون رهيباً، فعند وجود هذه الأشياء لا يتصور ذهن الإنسان عن رحمة الله تعالى في البداية بل يتصور غضبه ودهشته وفزعه، فهو يتأثر بصفاته الغضبية بدل صفاته الرحمة والجمالية^(١).

إشتمال صفات الرحمة والجمال:

ثم عندما جاء التغير في دهنه وفي بيئته ودخل عنصر الرحمة في تصوره مع اليأس والدهشة حتى في تصوره العبودية دخلت صفات الرحمة والجمال مثل صفات الغضب والجلال. ولما نطالع التصورات الوثنية في الأقوام القديمة فنحن نرى أن تصوره بدأ من صفات الغضب والجلال ثم صاروا إلى الرحمة والجمال تدريجاً ثم أصبح مساوياً تصوره بين الجلال والجمال والغضب والرحمة وكما عبدوا آلهة الغضب والجلال هكذا عبدوا آلهة العلم والحسن والرزق والحياة^(٢).

(١) أم الكتاب لمولانا آزاد. ص-١٨٧-١٨٨.

(٢) إن الوثنية في العالم بدأت بتقديس الصالحين والعلو فيهم وتعظيم مواضع عبادتهم وبجاسمهم، أو تعظيم قبورهم ومشاهدتهم، كما حصل ذلك في قوم نوح عليه السلام، وكذلك بدأت الوثنية في العرب تعظيم أحجار الحرم، حيث كان العرب يقل معه إلى ياديه حجراً من أحجار الحرم يُتبرك به ويحرف حوله كونه من بيت الله الحرام. ثم تطور الحال فصارت تلك الأحجار أصناماً بعد من دون الله تعالى، وكان الإنسان منذ خلقه يعرف الله ولكن عندما تفرقت الشعوب في الأرض بعد رح نابل وتسلت الألسنة غشى الوقت سوا الله أو عبدوا عنه بعدهم عن التقليد السليم، ولما كان الله غير مظهر لهم مثل الشمس مصدر النور والحرارة في علوها وحماها أو مثل الله الذي يعطيهم الماء مصدر الحياة أو الرى للإنسان والخيول والسات، أو صاروا يعبدون ملوكهم مظهر القوة والعظمة والسيطرة والإرادة أمامهم الذين كانوا يستطيعون أن يحكموا عليهم بالموت أو يهبوهم الحياة أو يحوهم من حيرات الدولة ومناصها،

و علم الأصنام في اليونان تعد من لطائف تخيله وله أهمية خاصة بين جميع تخيلات الوثنية لكن آلهة عبادتهم التي تعد قوة الخوف والغضب والجلال، وفي الهند حتى الآن تعبد الآلهة الهلكة أكثر من آلهة المغفرة والحياة^(١).

وصاروا أيضا يعدون كائنات يخافونها ويقدمون لها القرابين إسترضاء لها حتى لا تؤذيهم مثل النار أو الحية أو بعض الوحوش كالأرواح وما إلى ذلك. وتمثال الإله الذي تقدم له العبادة يسمى وتاً فليس كل تمثال من تماثيل القدماء كان وتاً إنما الوتن هو التمثال الذي كان يُعبد، وبعض هذه الأوتان كانت ضخمة تقام في المعابد بينما بعضها كان صغيراً يحتفظ به الناس في بيوتهم، ويأخذونها معهم في أسفارهم، والآلهة (وتو) أي الحية كان يصنعها الفراعنة في تيجانهم، كحجر من التاج، هم في الواقع لم يعدوا التماثيل كأحجار، وإنما لأنها تمثل آلهة. وهذه الآلهة الوثنية، ما كانوا فيها يعدون الحيوان أو الإنسان كحيوان أو إنسان، ولكن لأنه متأل للإله الذي في دهنهم بما حوله من أساطير. أنظر: الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة، للدعوة العالمية للإسلام. بإشراف ومراجعة: د. مانع بن حماد الخهني. ط: دار الدعوة العالمية للطباعة والسر والوزيع. ٧٣١\٢.

(١) أم الكتاب لمولانا آزاد. ص- ١٨٩ .

المبحث الثالث: الديانات والأفكار العامة عند نزول القرآن

الكريم. ويشتمل على خمسة مطالب الآتية:

المطلب الأول: ديانة أهل الصين، ونظرية الشمنية في الصين.

المطلب الثاني: تصور الديانة في الهند ونظريات الهندوس.

المطلب الثالث: الديانة المجوسية ونظريات الزرادشتية.

المطلب الرابع: التصورات اليهودية والمسيحية.

المطلب الخامس: فكرة فلاسفة اليونان وفلسفة الأفلاطونية

المحدثة.

المطلب الأول : ديانة أهل الصين، ونظرية الشمسية في الصين.

التمهيد: لابد أن نتدبر في نوعية الفكرة العامة والخاصة حول الصفات الإلهية التي قدمها القرآن الكريم، فمن المعلوم أن وقت نزول القرآن الكريم كانت السيطرة لخمس تصورات دينية على فكر الإنسان، وهي : ١- الصينية، ٢- الهندية، ٣- المجوسية، ٤- اليهودية، ٥- المسيحية، وفيما يلي تفصيل هذه التصورات:

عقائد أهل الصين:

في أقوام العالم بالأخص كانت نظرة أهل الصين تجاه الألوهية مبهمة واستمرت هذه الحالة إلى زمن بعيد، لكن مع مضي الزمن دخل بعض التغير في عقائدهم لكن هذا التغير كان تدريجياً في الصين مع معتقدات أخرى منها كانت عقيدة إله السماء، فالسمااء بنفسها كانت مظهر الحسن والجمال كالشمس يستفيد بحرارتها أهل الأرض، وبالمطر تحيي الأرض بعد موتها وتترين، ومظهر الغضب والجلال، مثل رعد وبرق، فإله السماء عندهم منتصف صفتين مختلفتين: صفة الجود والإحسان والنعيم، وصفة الغضب والجلال. هناك توجد بعض الخطب والأشعار لأهل الصين تكلموا فيها عن أعمال السماء المتضادة وعن إله السماء، ويقولون ليس في أمور الإله الانسجام والمساواة، فهو يعطي الحياة ويملك أسباب الهلاك أيضاً مثل الرعد والبرق والصاعقات.

والشعب الصيني يُعرف بهذه العقيدة (السماوية) حتى الرومان إذا عرفوا أهل الصين عرفوهم ببلد السماء، وتستعمل لأهل الصين كلمة (coelom) السماوي أو أهل السماء، وفي الانجليزية تستعمل لأهل الصين كلمة (celestial) أي سكان مدينة السماء، والصينيون يعتقدون أن أرواح الموتى الذين ذهبوا إلى عالم آخر لهم قوة التصرف والتدبير لذا فهم يستحقون العبادة، ولكل عائلة أرواح خاصة للعبادة ولكل منطقة إله مستقل^(١).

(١) أم الكتاب مولانا آزاد، ص-١٨٩-١٩٠.

أفكار لاؤتزو وكونفوشيوس:

قبل ميلاد المسيح -عليه السلام- قرابة خمس مائة سنة ظهر لاؤتزو^(١) وكونفوشيوس^(٢)، فكونفوشيوس أرشد الناس إلى سعادة الحياة العملية وجعل لهم دستوراً حول أداء الفرائض وحقوق الأسرة، أما في العقيدة فما رالت على عقيدة السابقة (تصور السماء) على حالها، لكنه أمرهم بعبادة الآباء والأجداد وجعل فيه بعض التغيرات مثلاً قال: "بأن الإله الذي في السماء وسيلة تتوصل إليه أرواح، وأن أرواح الصالحين تتصرف مع الإله السماء، فهم يشتركون مع الديانة الهندوسية واليونانية في الشرك، فالهندالة واليونانية يجعلون الأوثان والأصنام شركاء لله في العبادة، وهم أي أهل الصين يجعلون أرواح الموتى والصالحين شركاء لله تعالى فهم (أهل الصين والهند واليونان) شركاء في عقيدة الشرك والتعدد.

(١) "لاو تزه" (LaoTzu) أو "لاو تسي" فيلسوف صيني قديم وشخصية مهمة في الطاوية ولد ٦٠٤ ق.م. تعني الكلمة السيد القديم وتعتبر لقب تلميح. ومن ألقابه تاي شانغ لاو حو وهو أحد الأتقياء الثلاثة في الطاوية. حسب التقليد الصيني عاش لاوتزه في القرن السادس قبل الميلاد، لكن المؤرخين يقولون إنه شخصية خيالية أو أن الشخصيات متحيزة جمع عدة شخصيات مختلفة أو إنه عاش في القرن الرابع قبل الميلاد بالترامس مع مدارس التفكير المائة وعصر الدول المتحاربة. يسب إليه كتابة العمل الأهم في الطاوية (تاو تي تشيع) الذي كان يعرف باسم لاوتزه. لاوتزه من الشخصيات الرئيسية في الحضارة الصينية. ويدعي سلاء وعامة أنهم يتسبون لسله. وعبر التاريخ اعتنقت عدة حركات معادية للسلطات أفكار لاوتزه. أنظر: الموسوعة الثقافية، للدكتور حسين سعيد. ط: مؤسسة فراكلين للطباعة والشر، القاهرة- نيويورك، ١٩٧٢م. ص- ٨٤٢.

(٢) ولد كونفوشيوس (Confucius) باسم "كونك - فو - دره" وكان أتباعه وتلاميذه يدعونه كونك المعلم، كونفوشيوس أو كونك المعلم ولد في عام ٥٥١ ق.م. في بلدة شانتونك، ولاية لو في شمال الصين. مات أبوه وهو طفل. فعاش مع أمه في فقر شديد. وعندما كبر عمل موظفاً في الحكومة. ثم اعتزل العمل الحكومي وبعدها أمضى ستة عشر عاماً من عمره يعط الناس متحلاً من مدينة إلى أخرى. وقد ألّف حوله عدد كبير من الناس، ولما بلغ الخمسين من عمره عاد إلى العمل في الحكومة. و لكن استطاع بعض الخافدين عليه أن يطردوه من الحكومة، فترك لهم البلاد كلها. وأمضى بعد ذلك ثلاثة عشر عاماً مستراً متحلاً. ثم عاد ليقم في بلدته الخمس سنوات الأخيرة من عمره. وتوفي سنة ٤٧٩ ق.م.

كونفوشيوس هو أول فيلسوف صيني نفلح في إقامة مذهب يتضمن كل التقاليد الصينية عن السلوك الاجتماعي والأخلاقي. وفلسفته قائمة على القيم الأخلاقية الشخصية وعلى أن تكون هناك حكومة تخدم الشعب تطبيقاً لثلاث أخلاقي أعلى. ولقد كانت تعاليمه وفلسفته ذات تأثير عميق في الفكر والحياة الصينية والكورية واليابانية والتايبانية والفيتنامية. ويلقب سي الصين. أنظر: مختصر دراسة للتاريخ لأربولد تويني. ترجمة: لسفاد محمد شل. ص- ٧٧.

قبل ظهور كونفوشيوس كانوا يقدمون الأضاحي لله تعالى فهو (كونفوشيوس) لم ينتبه إليه ولم أعرض عنه، وكانوا يقدمون الأضاحي لله لمقصدين، أحدهما: لأكمال أعمالهم وأهدافهم. والثاني: يقولون بوسيلتها سحفظ أنفسنا من غضب الله وجلاله، فيسمون الأول نذرا والثاني فدية .

ثم جاء لاوتزو وأسس طريقة التصوف يقال لها (تاؤ). وأمر الناس بالاستغراق الروحي والمراقبة الداحلية وبسبب التصوف وجد العمق في تصوراتهم الأخلاقية والدينية، وفتح لهم أبواب لطائف الفكر ورقة الخيال، ولكن التصوف لم يصبح ديناً للجميع الناس بل وجد في بعض المناطق ولبعض الناس، كما وجد تصور "ويدانت" في الهند والتصوف في المسلمين محدوداً إلى بعض الناس والمناطق^(١).

الشمسية في الصين:

ثم بعد ذلك وصلت الديانة الشمسية^(٢) (البوذية في الهند) إلى الصين بعيدة عن صورتها الأصلية ومبادئها الأساسية، وهذه الديانة ظهرت في كل بيئة حسب طبيعتها لذا فإنه لما وصلت إلى كوريا واليابان وحدث البيئة مختلفة من بيئة الهند فاختارت حالة تلك البيئة، وكان يتصور عن الديانة البوذية أنها خالية من تصور الإله، جعلت الأوثان مكان الإله وجعل لعبادة تلك الأوثان نظاماً ليس لها مثيل في تاريخ الديانة البوذية، ولها معابد في الصين واليابان وكوريا التي زينت بالأوثان الحديدية.

(١) أم الكتاب مولانا آزاد. ص-١٩١-١٩٢.

(٢) ذكر أبو الريحان البيروني عن الشمسية في كتابه: "تحقيق ما للهند من مقولة"، قائلاً بأنهم "أصحاب الدِّ" أي البوذيون وأن حراسان وفارس والعراق والموصل إلى حدود الشام كانت قديماً على دين هؤلاء حتى ظهور ررادشت الذي دعا إلى المحوسية، فلما انتشرت المحوسية على أيدي الملوك بعده في فارس والعراق اخلت السمية إلى متشارك بلح وبقي المحوس نأرض الهند إلى أن عرى المسلمون آسيا الوسطى في القرن الأول الهجري/ الثامن الميلادي على يد قتيبة بن مسلم الباهلي، وهي الحقبة التي عاش فيها الخيم بن صفوان ولقي فيها السمية وناظرهم. كذلك يشير إليهم كتاب المسالك والمعالك على أن السمية فرقتان: فرقة ترعم أن الدِّ كان نبياً مرسلأ، وفرقة ترعم أن الدِّ هو الماري. أنظر: تحقيق ما للهند من مقولة، لأبو الريحان البيروني. ط: عالم الكتب، بيروت ٢٠١١م. ص-١٩. و البدء والتاريخ، لمطهر بن طاهر المقدسي. ط: المكتبة الشاملة، الإصدار الثاني. ج-١١ ص-

المطلب الثاني: تصور الديانة في الهند ونظريات الهندوس.

تصور الديانة في الهند:

لقضية العقيدة تصور عجيب في الهند، فخواصهم اختاروا لأنفسهم التوحيد واحتاروا للعوام طريق الأوثان والشرك حتى إن كل حجر وشجر أصبح معبوداً لهم، ومذهبهم العملي يختلف تماماً عن مذهبهم الفكري والنظري، فمذهبهم العملي الشرك وتعدد الآلهة ومذهبهم الفكري والنظري التوحيد.

وفنسفتهم التوحيدي مضت عبر المراحل العميقة للفكر والنظر، والمراحل الدقيقة للاستغراق ورقّت هذه الفلسفة إلى الدرجة الأعلى للفكر والنظر التي لا توجد لها نظير في الديانات القديمة^(١).

نظرية وحدة الوجود لـ "أبانيشاد"^(٢)

حينما نظر في تعاليم "ريچ فيدا \رك ويد"^(٣) فنجد بأنهم يعبدون من جانب واحد لمظاهر القدرة ومن ناحية أخرى يقدمون تصور التوحيد للذات الأعلى والخالق للكل، وخاصة في جرءه العاشر يلاحظ هذا التصور بالشكل الواضح.

(١) أم الكتاب لمولانا آزاد. ص-١٩٣.

(٢) الأوبانيشاد الجزء الأخير في مجموعة من الكتابات الهندوسية التي تُسمى العيدات (جمع فيدا) وهي الأسرار والمشاهدات النفسية للعرفاء من الصوفية. وتكوّن الأوبانيشاد جزءاً أساسياً من مصادر الديانة الهندوسية، كما أثّرت في معظم الفلسفات الهندية. ويُطلق عليها أحياناً اسم العيدنا، وتعني الكلمة تجميع العيدا. أما كلمة أوبانيشاد فتعني الخلوّس بالقرب من. وهذا يشير إلى أن هذه المادة كانت سرية في الأصل. كان معظم أحرّاء الأوبانيشاد مصوغاً في شكل حوار بين معلّم وتلميذه، وظهرت أهم أحرّاء المجموعة بين عامي ٨٠٠ و ٦٠٠ ق.م. تأسست عدة مدارس فكرية هندوسية بارزة، منها مدرستا السانخيا واليوخا، على تعاليم الأوبانيشاد. هذه التعاليم تنع فلسفتين أساسيتين ترى إحداهما أن هناك حقيقة أساسية واحدة تُسمى براهما، أو الإله، ويقال له أتمان أو الروح، وعلى ذلك فإنه لا يوجد تمييز حقيقي بين الروح والإله حسب معتقدتهم. أما الفلسفة الأوبانيشادية الأخرى، فإنها ترى أن كل روح هي بمفردها سرمدية. أنظر: الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحرار المعاصرة، للدوة العالمية للكتاب الإسلامي. إشراف ومراجعة: د. ماع بن حماد الجهنّي. ط: دار الدوة العالمية للطباعة والنشر والتوزيع ١٤٢٠هـ - ح-٢٠ ص-٧٢٠.

(٣) (Rigveda) مجموعة نصوص هندية مقدسة قديمة من آناشيد باللغة السنسكريتية الهندية مكرسة للديانات أي الآلهة. وهي أحد أربعة نصوص مقدسة قانونية في الهندوسية. تقرأ نصوصها في الصلوات والمناسبات الدينية مما يجعلها إحدى أقدم النصوص الدينية التي ظلت مستعملة. أنظر: الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحرار المعاصرة. ح-٢٠ ص-٧٣٠.

العهد القديم الذي ينظم في "رك ويد" يتضمن عقائد ونظرية أنانيشاد منها مظاهر التوحيد وتعداد الآلهة، وقد وصلت عدد آلهتهم إلى (٣٣٣) ثلاثمائة ثلاث وثلاثين، وقد جمعت هذه الآلهة في ثلاثة أماكن: الأرض، والسماء، والفضاء، وأكبرهم يسمى رب الأرباب (Henotheism)، وخالق الكون يسمى البرهمن وينسبون إليه الشمس، ويقولون أن هناك حقيقة واحدة تسمى براهما أو الإله ويقابله الروح ولا يوجد تمييز بين الروح والإله، وهذه الآلهة تسمى بـ "إندرا"^(١) وباسم "شيفا"^(٢) أي ربك الكون وخالق الكل، وباعتبار الأصل فهي حقيقة واحدة ولكن أهل العلم ينادونها بأسماء مختلفة، وهذه المبادئ ظهر في

(١) إندرا إله الحرب والطقس وملك الديفات أو الآهة ورب السماء في الهندوسية. وهو الإله الرئيسي في نص ريعندا الهندوسي المقدس، وهي شخصية بطولية بقيت مهمة في التقاليد الهندوسية. وهو الحاكم الرئيسي لكل الديفات حتى بعد تنويه سمعته في الهندوسية المتأخرة وصعود الترمموري (ثلاث آلهة). أنظر: أديان الهند الكبرى، دكتور أحمد شلبي. ط: مكتبة النهضة - المصرية - ١٩٨١ م. ٧٢٦\٢.

(٢) شيفا أو شِوا هو أحد أهم الآلهة في الهندوسية، وعالمنا ما يسمى "المسيطر"، وهو أحد الآهة في الترمموري (كلمة سسسكريتية تعني الأشكال الثلاثة) إلى جانب براهما الخالق وبيتسو الحافظ. وفي الشيفية هو الإله الأعلى، أما في فروع الهندوسية الأخرى مثل سمارتا فهو يعدد كواحد من خمسة مظاهر إلهة. ويعكس كونه الإله الرئيسي في الشيفية في كلمات تصفه مثل مهاديما ("الإله العظيم")، ماهستفارا ("الرب العظيم")، وبارامشفارا ("الرب الأعلى"). والشيفية حسا إلى حسب مع التقاليد القسوية التي تركز على بيتسو وتقاليد شاكتا التي تركز على الإلهات المؤنثة (ديفي) هي من أكبر الطوائف الهندوسية نعوذا. أنظر: دراسات في الديانات الهندية، لمحمد صياء الرحمن الأعظمي. ط: مجلة الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة. ح-٨\ص-١١٤.

"أبانيشاد" عقيدة وحدة الوجود^(١) وتصور "ويدانت" لما وراء الطبيعيات^(٢) مبني على هذا الأساس الفكري والنظري.

و اعتقاد وحدة الوجود مبنيا على مشاهدات الكشف لذات المطلق أي البرهمن ويقولون لا يمكن بيان صفات الإلهي إلا بعض الصفات السلبية فقط، لأن فكرنا مقيد في إحاطة الإمكان بحيث لا يتصور حول المطلق أو الحقيقة البعيدة لذا لما يتصور عن ذات المطلق فلا بد أن يتزل المطلق (الذات الغير المرئي) في صورة المشخص (المرئي) فإذا حاء الشخص فلا يبقى الاطلاق. وهذا هو السبب بأن "أبانيشاد" لما جعل المطلق "برهمن"^(٣) في صورة المشخص "الإشور" فألبس المطلق على وجهه ستار الشخص فهم وصفوا هذا

(١) وحدة الوجود (Pantheism) مذهب فلسفي يقول بأن الله والطبيعة حقيقة واحدة، وأن الله هو الوجود الحق، ويعتبرونه - تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً - صورة هذا العالم المخلوق، أما مجموع المظاهر المادية فهي تعلن عن وجود الله دون أن يكون لها وجود قائم بذاته. وآثار هذا المذهب وبعض أفكاره لا زالت مستوتة في فكر أكثر أهل الطرق الصوفية المنتشرة في العالم العربي والإسلامي، وفي أناشيدهم وأدكارهم وأفكارهم. والمذهب كما سرى موحود في الفكر الصراي واليهودي أيضاً، وقد تأثر المادون بهذا الفكر من أمثال: ابن عربي، وابن الفارض وابن سبعين والتلمساني بالفلسفة الأفلاطونية المحدثة، وبالعناصر التي أدخلها إخوان الصفا من إغريقية وبصرية وفارسية الأصل ومنها المذهب المناوي والمذهب الرررادي وفلسفة فيلون اليهودي وفلسفة الرواقيين. أنظر: مصرع التصوف وهو كتابان: تنبيه العبي إلى تكفير ابن عربي، وتحديد العباد من أهل العباد سدعة الاتحاد، لإبراهيم بن عمر بن أي بكر القاعلي. بتحقيق: عبدالرحمن الوكيل. ط: عباس أحمد البار - مكة المكرمة. ١٨٩١١.

(٢) ما وراء الطبيعة (Metaphysics) (المتافيزيقيا) شُعبة من الفلسفة تبحث في ماهية الأشياء وعلة العلل أي القوة المحركة لهذا العالم. والفلاسفة يطرون إلى طائعات الأشياء بفكرهم لمعرفة عللها وأسبابها الخفية وراء ظواهرها، وهم لم يتوقفوا في النظر والتفكر فيما هو ظاهر أمام أعينهم من المخلوقات، وإنما راحوا يبحثون فيما وراء ذلك وهو الخالق حل وعلا، ويسمون ذلك ما وراء الطبيعة أو يسمونه الإلهيات. أنظر: ما وراء الطبيعة (المتافيزيقيا) شُعبة من الفلسفة تبحث في ماهية الأشياء وعلة العلل أي القوة المحركة لهذا العالم. والفلاسفة يطرون إلى طائعات الأشياء بفكرهم لمعرفة عللها وأسبابها الخفية وراء ظواهرها، وهم لم يتوقفوا في النظر والتفكر فيما هو ظاهر أمام أعينهم من المخلوقات، وإنما راحوا يبحثون فيما وراء ذلك وهو الخالق حل وعلا، ويسمون ذلك ما وراء الطبيعة أو يسمونه الإلهيات. أنظر: أصول مسائل العقيدة عند السلف وعند المنتدعة، سعود بن عبد العزيز الحلف. ط: ١٤٢٠هـ. ج- ١١ ص- ٩٥.

(٣) "برهمن" ويطلق عليه اسم "ساحهياج" وهو الخالق، حسب معتقدتهم، لذلك سحوا حوله أسطورة تدور حول عممية الخلق. أنه "خالق مانح الحياة، سيد الآلهة، خلقت السماء وبخار الأعداء، وكان له من الشهامة ما أعدده عن الميل مع الخوى. وهو القوي القادر الذي تصدر عنه جميع الأفعال وهو يمثل إله الخير، وهو الذي يرحو رحمته وكرمه وعطفه جمع الأحياء ويسون إليه الشمس التي يكون بها الدفء وانتعاش الأحسام، وتخري سسها الحياة في السات والحيوان، ويعتقد أنه خالق الكون

الذات المشخص بصفات الكمال، وعقيدة وحدة الوجود اتصف هذا الذات المشخص باسم "ساكون"^(١).

عقيدة الهندوس في صفات الله تعالى:

قسم الهندوس الصفات إلى نوعين: الصفات الإيجابية والأخرى السلبية مثلاً يقولون: "هو في ذاته أحد، ليس له مثل، هو أعلى من قيود الزمان والمكان، وذاته الأبدية الخالدة، هو غير ممكن الإدراك، هو خالق ومحافظ ويفني مرة أخرى، هو علة العلل وعلة المطلق (اوبانا ونيتا كارنا) خلق جميع الموجودات هو نور وكمال، حسن وطهارة، هو أقوى من كل شيء، هو أكثر حبا ورحمة، هو المقصود الحقيقي لجميع العبادات"^(٢).

عقيدة الهندوس في صفات الله تعالى مثل عقيدتهم في ذات الله ممزوجة بالشرك فهم أشركوا مع الله في داته وصفاته، ويمضي الفيلسوف الشهير الهندوسي^(٣) قائلا: "إن تصور الإشراف والتعدد أصبح قويا وراسخا في قلوب الهندوس وعقولهم حيث لا يمكن إقلاعها من عقولهم فإذا تصوروا إلها واحدا يتصورون آلهة أخرى أيضا ولكن يقولون بأن السيطرة على جميعهم كان لذات الواحد والآلهة الأخرى كان في رعايا ذلك الإله الواحد"^(٤).

وهم يقولون أن آلهة أخرى لا تستطيع أن تفعل شيئا دون الإله الأعلى يقال له "برهمن"، ومن خوف البراهمان آلهة أخرى يؤدون فرائضهم، وعندهم خمسة مظاهر إلهية يعبدونها ويعتقدون أنهم يعبدون جزء واحد من الحقيقة.

على طريقته. فقد أحد براهما يتأمل ويفكر طويلا فتأ عن تعكيره هذا فكرة محصنة، تطورت إلى بيضة ذهبية، ومن تلك البيضة ولد براهما، خالق كل شيء، فهو الخالق والمخلوق. أنظر: دراسات في الديانات الهندية، لمحمد صبيح الرحمن الأعظمي. ج- ١٨ ص- ١١٨.

(١) أم الكتاب لمولانا آزاد. ص- ١٩٤-١٩٥.

(٢) انديين فلاسفي، (١) Indian Philosophy, Vol. ١) لأستاذ اس - رادها كرتشنا (Radhakrishnan S). ١١ ص- ١٦٥.

(٣) Sarvepalli Radhakrishnan (رادها كرتشنا) الفيلسوف الشهير والرئيس السابق للهند.

(٤) انديين فلاسفي، لأستاذ اس - رادها كرتشنا، ١١ ص- ٤٤، الطعة الثانية.

ومن عقائد نظرية ويدانت أنهم يقولون: "إن السالك إذا وصل منزلة العرفان والحقيقة فيعدم جميع الكيان ما عدا أشياء، وفي ذلك يدخل كيان الآلهة أيضاً، ولكن عندما لا يصل إلى هذه الدرجة فلا بد عبادة الآلهة"، فهذا وجد التصور المختلط بالشرك والتوحيد (Polytheism Monotheistic) الذي يقتضي التشريك والتوحيد معاً.

وينبغي أن يتضح هذه الحقيقة بأن القوة المدبرة في الكون عبر عنها في السامية باسم "ملاك" و "ملائكة"، وعبر عنها بالآرية "ديو" وبرومية "دى يوس" (Deus) "يزتا"، وبال يونانية تيوس (Theos) و(يزدان) لاهل الفارس. وكلمة "ديو" في سنسكريتية تستعمل لعدة معان ولكن وضع للذوات ما فوق الطبيعة، ومعناه الذات الروحي والغير المادي. الديانة السامية تعتقد أن الإله خلق للعمل فحسب ليس له حيثة أخرى، والأديان الآرية جعلها قوة مستقلة فإذا قام تصور التوحيد لم يبق له ذلك المقام، فهم اختاروا طريق الاعتدال والوسطية وهو التوسل والترلف حيث قالوا: "لا نستطيع الوصول إلى ذات الله وهذه الأصنام وسيلة بيننا وبين الله، وهي نفس عقيدة العرب الجاهلية الذين نقل عنهم القرآن في الآية : **[مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى]** (١).

بالاحتصار أنه بسبب هذه العقيدة المختلطة بالشرك في الذات والصفات أصبحت الديانة الهندوسية موضع الشرك وبسببه فقد تصور التوحيد في عقيدة الهندوس تماماً.

في القرن الحادي عشر الميلادي لما وصل أبو ريحان البيروني^(١) إلى الهند في تحقيق علوم الهند وعقائده فتعجب من التناقض في العقائد الهندوس، هكذا وجد أبو الفضل^(٢) في القرن السادس عشر، وكذلك وليم جونر^(٣) الذي وجد في القرن الثامن عشر وتعجب من عقائدهم.

والشيء الذي أعجب منه البيروني هو أن خواص الهندوس احتاروا لأنفسهم التوحيد واختاروا للعوام طريق الأوثان، ثم بسبب تأثير الخواص البيئة عبدوا الأوثان، وأصبح حياة الهندوس حياة مليئة بالشرك والوثنية.

يقول البيروني في كتابه (مقولة الهند) حين نقل قواعد صعة الأوثان من كتب السنسكريتية حيث قال ما نصه: "وكان العرض في حكاية هذا الحزيان أن تعرف الصورة من صناعة صنم، ولتحقق ما قلنا من أن هذه الأصنام للعوام الذين سفلت مراتبهم وقصرت معارفهم، فما عمل صنم قط فضلاً عن الله تعالى،

(١) أبو الريحان محمد بن أحمد البيروني (٣٦٢هـ - ٤٤٠هـ) ولد في حوارزم في أوزبكستان، كان رحالة وفيلسوفاً وفلكياً وجغرافياً وحيولوجياً ورياضياتياً وصيدلياً ومؤرخاً ومترجماً لثقافات الهند. وكان يتقن عدداً من اللغات غير العربية كالفارسية والسنسكريتية والسريانية واليونانية. وهو أول من قال إن الأرض تدور حول محورها، وصف كتباً كثيرة تربو عن المائة والعشرين من أهمها: تحقيق ما للهند من مقولة مقبولة في العقل أو مردولة، الإستيعاب في تسطيح الكرة، القانون المسعودي، كتاب الأحجار، وكتاب الصيدلة. أنظر: موسوعة علماء العرب والمسلمين، للدكتور محمد فارس. ط: مطبعة جمعية دائرة المعارف العثمانية ١٩٤٨ ج-١١ ص-٣٥٦.

(٢) هو أبو الفصّل علامي فهامي بن مبارك ناكواري هو كاتب، وشاعر، ومؤرخ. وسياسي من سلطنة مغول الهند ولد في أعرة. قام بآلّف كتاب أكثر تشكليف من السلطان المعوي خلال الدين أكبر وقام بترجمة الإحيى لنفارسند. وتوفي عام (١٦٠٢م). أنظر: موسوعة المورد. نشر نعلنكي. ط: دارالعلم للسلايين بيروت. ١٦٥١.

(٣) السير وليم جونر (١٧٤٦ - ١٧٩٤ م) هو مستشرق بريطاني وفقيه قانوني، وُلد جونر في لندن في وسمسسر، كان عالم رياضيات من أعبري في ويلز. التحق جونر بمدرسة هارو في سبتمبر ١٧٥٣ وبعدها التحق بجامعة كسفورد. تخرج من كلية جامعة كسفورد في ١٧٦٨ وحصل على ماجستير الآداب ١٧٧٣. في عام ١٧٧٠، درس القانون لمدة ثلاث سنوات. مما أدى من شأنه مستقلاً أن يعمل ما بقي له من عمره في الهند، أنشأ "الجمعية الآسيوية" سنة ١٧٨٤ وتولى رئاستها إلى آخر حياته. توفي في كلكتا في ٢٧ أبريل ١٧٩٤ عن عمر ساهر ال ٤٧ ودفن في مقبرة شارع ساوث بارك بلكلكا. الهند. أنظر: الأعلام. لخير الدين بن مسعود بن فارس. الرركلى الدمسقى (المؤلف: ١٣٩٦هـ). ط: دار العلم للسلايين. ج-١٨ ص-١٢٣.

ليعرف كيف يعبد السفلى بالتمويهات وكذلك قيل في كتاب "كيتا"^(١) بأن كثيراً من الناس يتقربون في مباحيهم إلى يغري (tempt)، ويتوسلون بالصدقات والتسبيح والصلاة لسوى فاقويهم عليها ووافقهم لها وأوصلهم إلى ارادتهم"^(٢)، جميع الهندوس لما يقدمون تصور الفلسفة لعقائدهم يذكر هذا التوجيه الذي قدمها البيروني حتى أبو الفضل ودارا شكوه^(٣) أيضاً قدم هذا التخييل والفلسفة^(٤).

(١) تُعد الكتاب الهندي المقدس في الديانة الهندوسية، وهي الحوار الذي جرى بين السيد أو الرب المبارك كريشنا وأرجونا عند بداية المعركة هو عبارة عن ٧٠٠ بيت أو آية تقع في ثمانية عشر فصلاً، يعرف باسم الهاعافاد عيتا ويعود تاريخها إلى قرابة الألف الثالث قبل الميلاد. دراسات في الديانة الهندية لصياء الرحمن الأعظمي. ص: ١٥٥.

(٢) في تحقيق ما للهند من مقوله مقبولة في العقل أو مرروله، لأبي الريحان محمد بن أحمد البيروني. ص ٥٩.

(٣) هو محمد بن شاه جهان الكورگالي الهندي، الملقب بدارا شكوه. المشتهر بقادري، هو الابن الرابع للسلطان شاه جهان ملك الهند وولي عهده، وكان صوفياً و أدبياً، اعرط في الطرق الصوفية وصار مهم. له تصانيف و كان يترحم من الهندية إلى الفارسية، من آنارد. "سر الأسرار" و "مجمع البحرين" و "سكنية الأولياء" و "حسبات العارفين" و "حق نامه" و "سكنية الأولياء" و ديوان شعر. حرج عليه أخوه الأصغر أورنكيرب عالم كبير واقمه بالاحاد وأمر باعدامه سنة ١٠٦٩ هـ فأعدم. لإعلام عن في تاريخ الهند من الأعلام، لعد الحبي بن فخر الدين الحسيني الطالبي. ط: دار اس حرم - بيروت، لبنان. ٥٠٤/٥.

(٤) أم الكتاب مولانا آزاد. ص-١٩٦ إلى ٢٠٢.

الديانة الشمسية وتصوراتها:

بعد مذهب البرهمن القديم ظهرت ديانة الشمسية (البوذية) و قبل ظهور الإسلام كانت هذه الديانة عامة في الهند، وكان بعض المستشرقين في القرن التاسع عشر يظنون أن الشمسية جزء من عقيدة البرهمن، وهذا استغراق عملي لأبانيشاد والأصل الروحي للانفعال مستتر في "نروان"^(١)، لكن الآن يُحِيل بأنه لا يوجد تصور الإله والروح في ديانة الشمسية، وكانت دائرة اعتقادهم محدودا إلى نجاة الحياة وسعادتها والمقصود من "نروان" أن يفني الإنسان الانانية وينجي من مصائب الحياة.

وعند ظهور هذه الديانة كانت توجد عبادة الأوثان فمذهب بوذا "غوتاما بودا"^(٢) ردّ على تلك العقيدة وركز على سعادة الحياة العملية وقال أن النجاة لا توجد في عبادة الأوثان بل السعادة الحقيقية

(١) مفهوم البرفانا في البوذية الخايية هي حالة الخلو من المعاناة. تعتبر الـ (برفانا) هي حالة الانطفاء الكامل التي يصل إليها الإنسان بعد فترة طويلة من التأمل العميق، فلا يشعر بالمتوترات الخارجية المحيطة به على الإطلاق، أي أنه يصبح مفصلاً تماماً بدهمه وحسده عن العالم الخارجي، والهدف من ذلك هو شحن طاقات الروح من أجل تحقيق النشوة والسعادة القصوى والقناعة وقتل الشهوات، ليبعد الإنسان هذه الحالة عن كل المشاعر السلبية من الاكتئاب والحزن والقلق وغيرها. ويصل الكهنة البوديون والعقراء اليهود إلى حالة الـ (برفانا) بعد فترات طويلة جدا من التأمل العميق، إلا أن الأمر وبطبيعة الحال صعب جدا على عامة الناس، وكل ما ذكرناه واقعي تماما على الرغم مما يبدو عليه الأمر من مجرد فكرة فلسفية. وبقي أن نذكر أن أصل كلمة (برفانا) من لغة الهند الأدبية القديمة ويطلق عليها اسم (اللغة السنسكريتية). أنظر: أديان الهند الكبرى، للدكتور أحمد شلي. ص: ٢٣٥.

(٢) هو مؤسس ديانة أو فلسفة البوذية (وهي أقرب إلى فلسفة الحياة منها إلى الدين حيث لا تؤمن بإله، وتقوم على التحرر والزهد تخلّصاً من الشهوات والألم وطريقاً إلى الصفاء التام، وتقول بالتناصح ومبدأ السيئة، وتكر العت والحساب، وهي من أكثر الديانات انتشاراً في الهند والشرق الأقصى). ويلفظ اسمه أيضا (بودا أي الساهر أو اليقظ، واسمه بالعربية الهند، وفي الفارسية بددة) وبودا ليس اسم علم على شخص بعينه، وإنما هو لقب ديني عظيم، معناه الحكيم، أو المستنير، أو ذو البصيرة العادة، وهو الذي يعلى طريقة خلاص البشر من دائرة الولادة المتكررة (سمسارا) ولكن أتباعه حولوا تعاليمه إلى مبادئ دينية وأطوه، وتذكر الروايات أنه ولد سنة ٥٦٨ ق م، فيما تذكر أخرى أنه ولد سنة ٥٦٣ ق م، في بلدة على حدود الهند ومملكة ببال، وكان من أسرة سيلة، وكان أبوه ملكاً صغيراً في تلك البلاد. وقد ترى بودا في وضع من الرفاهية، وكان يعيش كما يعيش أساء السادة والملوك في عيم عظيم. توفيت أمه مايا وهو في السابعة من عمره، فربته عمته وتزوج صغيراً ولما بلغ السادسة والعشرين هجر روحته إلى الرهد والتفتش والتأمل في الكون وانتبه بها حاصاً في الكون ليتخلص الإنسان من آلامه ودعا إلى ذلك كثيراً من الناس. أنظر: أديان الهند الكبرى، د أحمد شلي، ص: ١٤٢.

توجد في علم الحق والعمل الحق، ووضع لها أصول باسم "الطرق الثمانية"^(١) ثم بعد بوذا ذهبوا أتباعه إلى عبادة آثارها والتبرك بها ورفع درجة الإنسان إلى درجة الإله. وفي المجلس البوذي الأول التي عُقدت بعد وفاة بوذا بفترة قصيرة، كان "أناندا"^(٢) يُدعى لإلقاء العديد من المحاضرات فلما قدم وصاياه لم يرضوا أتباعه بهذه الوصايا وخالفوا لتلميذه، لأن في نصيح تلميذه لم يوجد تعظيم لشخصيته التي عظموها في أدهائهم لذا ما طمأنوا له. ثم انعقد المجلس مرة ثانية في "ويسالي"^(٣) وجد في عقائد البوذية الأقاليم الثلاثة كما وجد الأقاليم عند المسيحيين وقالوا إن تصور الأقاليم بعيد عن تصور الإنسان وفكره وظنوا أن شخصية بوذا مكونة من ثلاث شخصيات كما يلي :

١- الشخصية التعليمية ٢- الشخصية الدنيوية ٣- والشخصية الحقيقية في الجنة.

فحسب عقيدتهم كلما ظهر شبيه "بوذا" في الدنيا يكون شبيهاً بوحوده الحقيقي، ومعنى النحلة أن يصل الإنسان إلى "بوذا" الحقيقي ما وراء العالم، ثم مرة ثالثة إذا انعقد مجلسه العلمي في برشادر (بشارور الحالي) كان مذهبه الأصلي مفقوداً وأقيم مقامه طرق كيسة، وأصول بوذا (طرق ثمانية) كان معدوماً بين الرسوم مختلفة.

وأخيراً قسمت أتباع بوذا إلى طائفتين "هنيان" و "مهايان"، كالمذكور أولاً كانوا يعتقدون عن شخصية بوذا بأنه معلم ومربي الإنسانية، وأما الثانية فاعتقدوا عن "بوذا" بالآلهية (ما وراء الإنسانية)،

(١) يتألف الطريق بوذا من ثمان مراحل، ويسمى بالدرج الثماني السبل، تمتد على طول هذا الطريق ثمان فصائل:
١- الفهم السوي، ٢- التفكير السوي، ٣- القول السوي، ٤- الفعل السوي، ٥- الارتقاء السوي، ٦- الجهد السوي، ٧- الانتباه السوي، ٨- وأخيراً التركيز السوي. وتورع هذه الفصائل إلى ثلاث أقسام: ١- الفضيلة، ٢- الحكمة، ٣- التأمل. أنظر: تاريخ الفكر الديني الجاهلي، لمحمد إبراهيم العيومي، ٣٠٦\١.

(٢) أحد تلامذة بوذا الأساسيين وأحد مرافقيه المنحصرين، ومن بين العديد من تلامذة بوذا، تميز آناندا بذاكرة حديدية، وتُعرف عالية بصوص كاماسوترا المقتسة منسوتا بيتاكا إلى حفظه لتعاليم بوذا في أثناء المجلس البوذي الأول. لهذا، كان يُطلق عليه حارس دارما. أنظر: أعلام الفلاسفة (كيف نفهمهم؟) لنكتور هنري توماس، ص ٣٣.

(٣) هي مدينة فرعية تقع في منطقة مظفرنور في ولاية بهار الهند، وهو بمثابة مقر لستيرهوت، وهي مدينة هامة في بهار بعد شته (Patna)، عدد سكانها حسب تعداد سنة ٢٠٠١ هو ٤،٧٧٨،٦١٠، مساحتها ٣،١٧٣ كم^٢ وكثافة السكان ١،٥٠٦ لكل كم^٢. أنظر: تاريخ حضارات الهند للدكتور غوستاف لوبون، ١٢٥\١.

وأتباع هذا المذهب (مهايان) توجد في الصين، وكوريا، واليابان، تبت، آسيا الوسطى، وقدما كانوا في أفغانستان في منطقة باميان، وفي العصر الحاضر أينما وجد مذهب "هنيان" فهي طريقة محرفة باسم (تهيراداد) والأتباع الحقيقيين لبوذا "مهايان". وشرع عبادة تمثال البوذا بعد عهد آشوك سنة (٢٥٠) قبل الميلاد وقبل ذلك كانت عبادة الأوثان غير موجودة في الديانة البوذية حسب زعم بعض المعاصرين منهم^(١).

(١) أم الكتاب لمولانا آزاد. ص-٢٠٢ إلى ٢٠٥.

المطلب الثالث: الديانة المجوسية ونظريات الزرادشتية.

عقيدة المجوس الإيراني:

قبل ظهور الزرداشت الطريقة الرائجة للعبادة في عاصمة فرنسا (باريس) طريقة قديمة باسم "الاييرياني" (والايريان أصبح في الهند "آريا") وفي "الأبستاق"^(١) ذكر انشاء أربع وعشرين بلدا فالأول والأفضل فيه (ايريانا ويچ) والمقصود منه "ايران".

وكما كان في الهند كانت رائجة طرق عبادة الآلهة والأعمال الأضاحي رائجة فنفس الأعمال رائجة في عقائد "الباريس"، فهم جعلوا الآلهة على قسمين: آلهة للخير وآلهة للشر، الأول يأتي بالفرح والسرور، والثاني يأتي بالمصائب والهلاك، والأقوام الأخرى كانوا يسمون الآريين أو الإيرانيين بالمجوس لأنهم كانوا يجعلون لعبادة النار أماكن خاصة ويسمون عبدة النار باسم "موجوش" أو "الموكوش" والعرب جعلوا من "الموكوش" المجوس^(٢).

الزرداشتية:

لما ظهرت الديانة الزرداشتية^(٣) في إيران تخلوا الإيرانيون من العقائد القديمة وتعلموا الزرداشتية، وبدل آلهة كثيرة اجتمعوا على إله واحد باسم (اهورا مزو) واثبتوا جميع صفات الألوهية لـ "اهورا مزو"

(١) هو كتاب الرسول زردشت الذي يعد الكتاب المقدس لدى أتباع الديانة الزردشتية، والأبستاق مكتوب باللغة الافستية ذات صلات قوية باللغة السسكريتية الهندية القديمة، ويقول المؤرخون أن (الافستاق) المقدسة كتب على ١٢٠٠٠ قطعة من حلود النقر اتلفت أغلبها نتيجة مرور تلك القرون من الزمن ونقيت ٣٨٠٠٠ ألف كلمة منها، وتقول بعض الروايات انها كانت حوالي ٣٤٥،٧٠٠ كلمة اي اربعة أصعاف، وعدد سورته احدى وعشرون سورة، كل سورة في مائتين من الأوراق. وعدد حروفه وأصواته ستون حرفا وصوتا. لكل حرف وصوت صورة مفردة منها حروف تتكرر ومنها حروف تسقط، إذ ليست خاصة بلسان الأستاق. أنظر: التسيه والإشراف، لأبو الحسن علي بن الحسين المسعودي (المتوفى: ٣٤٦هـ). ت: عبد الله إسماعيل الصاوي. ط: دار الصاوي - القاهرة. ٨٠\١.

(٢) مجوس هو لفظ يطلق على أتباع الديانة الزرداشتية، وكلمة مجوس مأخوذة من كلمه مگوش من اللغة الفارسية القديمة. واستخدم لفظ المجوس بالإضافة إلى العرب. البيهاقيون والرومان. أنظر: المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، لندكور حواد علي. ١٨٤\٧.

(٣) الزرداشتية وتعرف بالمجوسية هي ديانة إيرانية قديمة وفلسفة دينية آسيوية. كانت الدين الرسمي للإمبراطوريات الأخمينية والبارثية والساسانية. يقدر عدد معتنقي الديانة ما بين ١٤٥،٠٠٠ إلى ٢٠٦ مليون نسمة كان معظمهم اليوم في الهند ويتواجدون في إيران وأفغانستان

مثل: هو حكيم، ونور، واحد، هو خالق للكون، لا مثل له، خلق للإنسان عالمين: عالم الحياة الدنيوية، والآخرى الحياة الأخروية، بعد الموت الجسم يفنى ويبقى الروح ويعاقب حسب الأعمال ويجازي عليها. ومكان الآلهة هو جعل تصور "امش سيسند" و "يزتا" يعني الملائكة لأجراء الأحكام "اهورا مرو"، وأخير عن تعود "انكري بيوشن" مكان الظلمات والسيئات يعني جعل تصور الشيطان، وهذا (انكري نيوشن) أصبح "اهر من" في معجم "بارند"^(١).

وفي تعليم الزرداشت ظهرت عقائد الآرية في الهند واسم موحد يشأ في الهند واليران ولكن يأخذ معان مختلفة ومستفادة مثل (اهورا) في اوستا يصبح "اسورا" في يجرويد وإن كان اطلاق هذا اللفظ على معاني الجنة لكن في زرادشت أصبح هذا اللفظ في السيئة والروح الشيطانية، هكذا في ويدو "اندرا" أصبح اومتا "انكرا" ففي مذهب ويدو هو إله السماء وفي اوستا أصبح شيطان الأرض. هكذا كلمات "ديو" (ديوس) و "تمبوس" في الهند والأروبا استعملت للإله ولكن في الإيران استعملت كلمة "ديو" للحس، وكأن العقيدتين تتحاربان كالإله الأول يصبح شيطانا للآخر وشيطان للآخر يكون إلهاً للأول.

وفي روايات الأفيستا^(٢) كلمة "يم" بمعنى نمو الحياة والانسانية وهذا "يم" ثم "جم" فأصبح جمشيد، ولكن كلمة "يم" في الهند يستعمل لقوة الموت.

وأدريحان بالإصافة لمهاجرين من هذه المناطق في الولايات المتحدة وأوروبا وأستراليا وكندا وسعافورة. سست الديانة إلى مؤسسها ررادشت، وتعد واحدة من أقدم الديانات التوحيدية في العالم، إذ ظهرت في بلاد فارس قبل ٣٥٠٠ سنة. ظهرت الرادشتية في المنطقة الشرقية من الإمبراطورية الأخمينية عندما قام الفيلسوف ررادشت بتبسيط مجمع الآلهة الفارسي القديم إلى متبوية كوية: ستامبو (العقلية التقدمية) وأنكرامبو (قوى الظلام أو الشر) تحت إله واحد وهو اهورامردا (الحكمة المصينة). هناك إعتقاد خاطئ ساد بين أتباع الأديان الإبراهيمية أنهم يعبدون النار، ولكنهم في الحقيقة يعتنقون النار والماء أدوات من طقوس الطهارة الروحية. أنظر: كتاب الديانة المنحوسية، لأحمد الكايد. ط: المطبعة الشرقية الحري - الطبعة الأولى ٢٠١٢. ص: ١٤٧.

(١) وهناك شروح على الأفيستا ستمام معجم: ناريد، يعني: تفسير التفسير، وفيه علوم مختلفة كالرياضات وأحكام الحوم والطب وغير ذلك من أبحار القرون الماضية وكتب الأنبياء، وفي كتابه: تمسكوا بما حثتكم به إلى أن يجيئكم صاحب الحمل الأحمر، يعني محمداً، صلى الله عليه وسلم، وذلك على رأس ألف سنة وست مائة سنة، وسبب ذلك وقعت العضاء بين المحوس والعرب، ثم يذكر عدد أبحار سابور دي الأكتاف أن من حملة الأساب المنوحة نعروة العرب هذا القول، وقد فقدت معظم هذه الشروح ولم يصل إليها إلا القليل. أنظر: الكامل في التاريخ، لاس الأثير. ص: ٨٥.

(٢) وكتاب الرادشتية المقدس يعرف بكتاب الأفيستا، من أقدم الكتب الأدبية في بلاد فارس، وهو مجموعة أقوال قديمة تعرى إلى النبي ررادشت، وتراثيل ديسة ترتل عند تقديم الدائح وصلوات وسرائع كهوتية وطقوس عبادة حوهر الديانة الرادشتية

ولكن بعد قرون غلبت التصورات القديمة على إيران لذا كان في عهد الساسان^(١) لما بدا تدوين "الزرادشتية" من جديدًا كان مركبًا مختلطًا لعقائد المحوسية اليونانية القديمة وعقائد الزرداشتية، فلما جاء الإسلام هذا التصور المحتلط كان مذهبًا قومياً للإيران^(٢)، ثم مهاجري البارس في مغرب إيران نقلوا هذا التصور إلى الهند وهنا غلب عليه تأثير البيئة .

وكان أساس مذهب المحوس مبني على عقيدة الثنوية (Pluralism) يعني كان في عقيدتهم قوات مختلفة للخير والشر، (فاهورا مزو) يعمل أعمال الخير (وانكرامي نيوشن) يعني آهرمن يعمل أعمال الظلمات والسيئات، وكان أساس تعبدهم على عبادة الشمس والنار، لأهم يعتقدون بأن الضياء هو المظهر الأعلى لصفة اليزدان أي الإله فكانوا مقسمين نظام الكون إلى القوتين المتعارضين (إله الخير والشر)^(٣).

تقوم على ثنائية تحسد المبدأين المتضادين مبدأ الخير ومبدأ الشر، أو مدأي النور والظلام، ويمثل هذين المبدأين إلهان كبيران - أهورا ماردا "أو رمارد" وصدّه أهريمان؛ والمبدأان الخير والشر مبدأان يتصفاان بقوة مدعة حائلة، ويذكرنا الإله أهوراماردا بالإله العري يهود بوصفه إلهًا كلي المعرفة، كلي الوجود، غير مخلوق، مدعا لكل ما هو نقي وحي، وأما صدّه أهريمان فيذكرنا بالشیطان على ما عرفه في العصور التالية. والزرادشتية تتصور الحياة أهما صراع دائم بين هاتين القوتين، قوة الخير وقوة الشر. وهذه الديانة لا تحيز عبادة الأصنام أو احترام الأوثان مطلقًا، ولا تقر إلا بإله واحد أرلي سرمدني أندي ليس له شريك في الملك ومنه الأمر وإليه يرجع، ويسمون "الله": "أورمريد. أو -هرمر أو هرمس" والإله "إيرد"، ويعتقدون بخلود النفس وعالم آخر بعد الموت يكون فيه العقاب والثواب، ولكن يعتقدون بأن الله خلق مع الخلق قوتين عظيمتين: اسم أولاهما: يزدان مصدر الخير. واسم الثانية: أهرمن مصدر الشر. فجميع الخيرات والشرور في هذه الدنيا ينسب إلى هاتين القوتين ويفسرهما حكماءهم بالعقل والنفس. أنظر: تاريخ الفكر الديني الجاهلي، لمحمد إبراهيم الفيومي (المتوفى: ١٤٢٧هـ). ط: دار الفكر العربي ١٤١٥هـ. ج- ١٣٨-٣٤٠.

(١) الإمبراطورية الساسانية الاسمُ استعملَ للإمبراطورية الفارسية الثانية (٢٢٦ - ٦٥١م) والتي يرجع تسمية الساسانيين إلى الكاهن الزرادشتي ساسان الذي كان حد أول ملوك الساسانيين، الأرض الإمبراطورية الساسانية أحاطت كل إيران اليوم، العراق، وأجزاء من أرمينيا وأفغانستان، والأجزاء الشرقية من تركيا، وأجزاء من الهند. والعصر الساساني يخيظ طول فترة العصر القديم المتأخر، ويعبر أحد أهم العوامل المؤثرة في تاريخ إيران القديم، شهدت الفترة الساسانية الإنحار الأعلى الميضية، وشكّلت هذه الفترة الإمبراطورية الإيرانية العظيمة الأخيرة قبل الفتوحات الإسلامية وتبني الإسلام. أنظر: أطلس تاريخ الإسلام (موسوعة تاريخية جغرافية مصرية) بإشراف الدكتور حسين مؤنس. ط: دار الرهراء للإعلام العربي - مصر. ١٩٨١.

(٢) بعض البيانات الإيرانية أحدثت إلتسار واسعا في حقبة معينة من التاريخ كالزرادشتية حيث أن الزرادشتية أخذت انتشارا واسعا في العصور الوسطى في معظم آسيا مثل بلاد فارس والهند وبعض المناطق العربية قبل صهر الإسلام، وعند مجيء الإسلام كانت الزرادشتية ديانة عامة لأهل الفارس والإيران. أنظر: العواصم من القواصم، للقاضي محمد بن عبد الله أبو بكر المالكي. ط: دار الخيل بيروت - لبنان. ١٩٨١.

(٣) أم الكتاب لمولانا آزاد. ص- ٢٠٦ - ٢٠٨.

المطلب الرابع: التصورات اليهودية والمسيحية.

عقيدة اليهود في ذات الإله:

كان التصور اليهودي في البداية تصورا قاصرا على الجيل الواحد فقط حيث كان إله للجيل المخصوص وهو يهودا من عائلة إسرائيل، ثم توسع هذا التصور تدريجاً في صحيفة يشعياہ الثاني وخطوب بالخطاب "إله جميع الأقوام". وكان إله إسرائيل واحتصاصه لجيل مخصوص يعمل في أشكال مختلفة، وعند ظهور الإسلام صارت السمة المتميزة والبارزة للتصور اليهودي بحسب الجيل والجغرافية ومن حيث التجسم والتثريه وقد فيه العدالة، لكن الغالب فيه كان عنصر الغضب والحلال والتعذيب والانتقام. وظهور الإله في أشكال مختلفة، وأسلوب الخطابات بأوصاف الإنسان كشدة الغضب والانتقام والأسلوب التمثيلي في البداية كان تصورا عاما لصحف التوراة.

ونوعية علاقة الإله مع الإنسان كعلاقة الزوج مع زوجته، فالزوج يكون عبور جدا وهو يعفو عن جميع خطايا زوجته دون جريمة إشراك رجل آخر في المحبة، هكذا إله عائلة الاسرائيل كان غيوراجدا فجعل عائلة إسرائيل مثل زوجة محبوبة، فكما أن الزوج لا يتحمل غدر زوجته هكذا إله هذه العائلة (إسرائيل) أيضا لا يتحمل غدرهم وعلاقتهم مع أقوام أخرى، لأنه كان ذلك شاقا على إلهه، وينبغي أن يعاقبهم بدل هذه الجريمة لذا كان الإله اخبرهم في وصايا العشرة^(١) بالتأكيد، فقد جاء في "سفر الخروج"^(٢): [أنا الرب إلهك الذي أخرجك من أرض مصر، من بيت العبودية، لا يكن لك آلهة

(١) الوصايا العشر في التراث اليهودي المسيحي: الوصايا تجاه الله: ١- لا يكن لك آلهة أخرى أمامي. ٢- لا تصنع لك تمثالا منحوتا، ولا صورة ما مما في السماء من فوق، وما في الأرض من تحت، وما في الماء من تحت الأرض. لا تسجد لهم ولا تعبدهم. ٣- لا تخلص باسم الهك باطلا. ٤- اذكر يوم السبت لتقدس. الوصايا تجاه القريب: ٥- أكرم أباك وأمك لكي تطول أيامك على الأرض التي يعطيك الرب إلهك. الوصايا تجاه المجتمع: ٦- لا تقتل. ٧- لا تزن. ٨- لا تسرق. ٩- لا تشهد شهادة زور. ١٠- لا تشته نيت قريبك. لا تشته امرأة قريبك، ولا عده، ولا أمته، ولا ثوره، ولا حماره، ولا شيئا مما لقريبك. انظر: التعليم المسيحي للكنيسة الكاثوليكية - بالعربية، مجموعة من الأساقفة موافقة البابا سدكت السادس عشر. ط: مكتب التبئية الطبريزكي، بكركي ٢٠١٢. ص: ١٩٢-١٩٣.

(٢) سفر الخروج أو كتاب الخروج هو أحد الأسفار المقدسة لدى الديانة اليهودية والمسيحية، يسب سفر الخروج في التقاليد اليهودية والمسيحية إلى موسى، ويدعى إلى حاب أول أربعة أسفار في العهد القديم باسم أسفار موسى الخمسة أو التوراة أو

أخرى أمامي، لا تصنع لك تمثالاً منحوتاً، ولا صورة مما في السماء من فوق، ومما في الأرض من تحت، ومما في الماء من تحت الأرض. لا تسجد لهم ولا تعبدهم، لأنني أنا الرب إلهك، إله غيور^(١). والتمثيل بعلاقة الزوج بدأ بخروجهم من مصر وبقي إلى العهد الأخير تقريباً، وترتب على كل ضلالة اليهود إظهار الغضب من جانب الإله كمثال الزوج العضبان الذي يذكر غدر زوجته واحداً تلو الآخر^(٢).

نظرية المسيحيين تجاه الإله:

في زمن يشيا الثاني تغيرت الحالة وبدأ التوسع واللطافة في تصور اليهودية، وفتح المجال لظهور ديانة وتصور جديد فجاء التصور المسيحي، ففي الديانة المسيحية ظهر تصور الرحمة والمحبة، والتصور اليهودي للإله يختلف تماماً عن المسيحيين لأن تصور الإله عند اليهود مثل سلطان جائر وزوج غضبان، لكن في المسيحية تصور الإله مبني على الرحمة والشفقة فكان مثل سلوك الأب أو الأم مع ابنه، لأن تعلق الاس والوالدين يكون مبني على الرحمة والشفقة والمحبة ففي مقابلة تمثيل اليهود بالزوج والسلطان الجائر ينبغي التمثيل بالأب مع الابن في التصور المسيحي. فمن حيث التجسيم والتزيه العقيدة المسيحية مثل اليهود، لكن إذا جمع تصور المسيح مع عقائد الوثنية الرومية فإنه يظهر في الديانة المسيحية عقائد التثليث والصلب والكفارة وعبادة المسيح وغير ذلك

وتصور الاسكندرية الوثنية المعشوشة من الفلسفة باسم (سراپيز) (SERAPIS) اختار شكل التصور المسيحي الوثني، والمسيحيون وإن كان ينكرون عبادة الأوثان لكن ليس لهم أي اعتراض على عبادة الأوثان بنفسه، وخلاصة القول أنه إذا نزل القرآن الكريمه فالتصور المسيحي يوحد بمثال الأبوي للرحمة والشفقة ومع عقيدة الأقانيم الثلاثة والتجسيم والكفارة في شكل المختلط والتشريك^(٣).

التشريعة، حيث أن كلمة تورا في العبرية تفسر معنى التشريعة. يتحدث هذا السفر عن كيفية نخاة بني إسرائيل من استبداد وظلم وبطش فرعون مصر واستعباده إياهم. يلتقي سفر الخروج مع القرآن في كثير من الأحداث والشرائع، بل إن أغلب الروايات الواردة في سفر الخروج ذكرت في القرآن، وكذلك يوحد تشابه في الشرائع، كالتوافق في شرائع الرى، ومن القصص المشتركة عصا موسى التي تحولت لأفعى، وعبور بني إسرائيل للبحر الأحمر، وسواهما. أنظر: دراسات في الأديان اليهودية والنصرانية، لسعود بن عبد العزيز الخلف. ط: مكتبة أضواء السلف، الرياض، المملكة العربية السعودية ١٤٢٥هـ. ح-١١-ص-٧٤.

(١) سفر الخروج الإصحاح العشرين فقرة ٣-٥، وانظر هذا المعنى في سفر الخروج أيضاً الإصحاح ٣٤ فقرة ١١-١٥.

وسفر التثنية الإصحاح ٥ فقرة ٦-٢٢.

(٢) أم الكتاب لمولانا آر. ص-٢٠٨-٢٠٩.

(٣) أم الكتاب لمولانا آر. ص-٢٠٩-٢١٠.

المطلب الخامس: فكرة فلاسفة اليونان والاسكندرية، وتوضيح فلسفة الأفلاطونية المحدثه.

فكرة فلاسفة اليونان وتصور الاسكندرية:

تصور فلاسفة اليونان مثل تصورات لأقوام العالم ولكن لها حظ وافر في تنمية الفكر الإنساني وتنشئته، تقريباً ٥٠٠ سنة قبل المسيح نشأ التصور اليوناني ونشأ هذا التصور في ضوء حكمة المعلم الكبير سقراط^(١) الذي دونها بعد ذلك أفلاطون بالضبط، وكما توجد في الهند تصورات ديوالي^(٢) في "رك ويد" تطورت في تصور رب الأرباب ثم هذا التصور رب الأرباب تطور تدريجياً إلى تصور التوحيد فكذلك في اليونان خضع جميع الآلهة لذات رب الارباب ثم رب الارباب تطور تدريجياً إلى تصور التوحيد، وكيفية فلسفة اليونان هو شعائرة القديمة فمن مطالعة الشعائره يعرف عقيدتان المعروفتان:

١- الحياة بعد الموت . ٢- تصور إله الأعلى والأكبر الذي له سيطر على الجميع.

(١) سقراط (٤٦٩ ق.م - ٣٩٩ ق.م) فيلسوف وحكيم يوناني كلاسيكي، يعتبر أحد مؤسسي الفلسفة الغربية، لم يترك سقراط كتابات وحل ما يعرفه عنه مستقى من خلال روايات تلامذته عنه. ومن بين ما تبقى لنا من العصور القديمة، تعتبر حوارات "أفلاطون" من أكثر الروايات شمولية وإلماماً بشخصية "سقراط". نحسب وصف شخصية "سقراط" كما ورد في حوارات "أفلاطون"، فقد أصبح "سقراط" مشهوراً بإسهاماته في مجال علم الأخلاق. وإليه تنسب معاهيم السحرية السقراطية والمهيج السقراطي (أو المعروف باسم Elenchus). ولا يزال المهيج الأخير مستخدماً في مجال واسع من النقاشات كما أنه نوع من اليداغوجيا (علم التربية) التي يحسبها تطرح مجموعة من الأسئلة ليس بهدف الحصول على إجابات فردية فحسب، وإنما كوسيلة لتشجيع الفهم العميق للموضوع المطروح. إن "سقراط" الذي وضعه أفلاطون هو من قام بإسهامات مهمة وحالدة لمحاولات المعرفة والمطلق وقد ظل تأثير أفكاره وأسلوبه قوياً حيث صارت أساساً للكثير من أعمال الفلسفة الغربية التي جاءت بعد ذلك. أنظر: ١٠٠٠ شخصية عظيمة؛ ترجمة للدكتور مارن طليمات. ط: دار طلاس للدراسات، دمشق. ١٣٥١.

(٢) ديوالي (Deewali) كلمة سسكريتية الاصل وتعني صف من الأصواء، وهي عيد ديني للهندوسية والسيحية يحتفل به في فصل الخريف ومعناه عيد الأنوار. يقام ديوالي احياناً لذكرى لاكشمي، انه البروة. ويستمر المهرجان لمدة ٥ أيام، ويكون اليوم الرابع ملئاً بالألعاب النارية احتفالاً براس السنة، وتضاء الشموع في البيوت خلال الديوالي. تكون مراسيم الحفل عبارة عن حمل الكثير من الشعل النارية على الخدران وعند المداخل، وبعد الاحتفال هو وقت ريارة الاقارب والاصدقاء واهداء الهدايا، رحوة البيوت. دراسات في الديانات الهندية، لمحمد صياء الرحمن الأعظمي. ١٥٥١.

في شخصية سقراط ظهرت عقيدة التوحيد والتنزيه في اليونان، لأن الفلاسفة قبل سقراط لم يتعرضوا الآلهة الباطلة للقوم، لأن قلوبهم وعقولهم كانت متأثرة بتلك الآلهة، فكان الأمر في اليونان مثل الهند كالفرق بين العوام والخواص، وكذلك وجدت فيهم العقيدتان: عقيدة الأوثان وعقيدة التوحيد.

لكن السقراط كان فكره أسمى من مستوى العوام وكان تصويره التوحيدي مترها عن تصور التحسيم والتشيه، وكان يقول للناس: "إن مذهبكم الموجود هو في السؤال والاعطاء، فنسأل من الإله ما يحتاج إليه ونعطي له ما يحتاج إليه فهذا ليس عبادة بل هذه تجارة".

للأسف الشديد لم يحفظ تعاليم سقراط من مصائب الوقت وشذائده، لكن رغم ذلك لم يغلب عليه شذائد الزمان، وكان سقراط شخصية قوية ذو صبر واستقامة يوجد أمثاله في الانبياء والشهداء، كما يقول الشاعر:

تمت سليمي أن نموت بجها --- وأهون شيء عندنا ما تمت^(١)

وكان آخر كلامه في وقت الموت: "أسافر من عالم ضعيف إلى عالم الخير".

ثم أفلاطون جمع أفكاره بالضبط ورتبه حسب التحليل المنطقي في صورة الكليات والجوامع، ووضع أساس البحث والنظر لجميع فلسفته على أساس الكليات (ABSTRACTS) ومن الحكومة إلى ذات الإله رتبها الجميع على أساس التصور (IDEA).

فإذا كان تصور الشيء منفصل عن المحسوسات هكذا النفس الناطقة أيضا كيان مستقل عن المادة فإذا كان النفس مستقل عن المادة فدات الإله أيضا كيان مستقل عن الماديات، ففي مذهبه وجد التمييز بين الشئيين فأصبح واحد (فانيا) والأخرى (الافان) فني الفاني يكون له الرغبة ويكن مجسم عن "الغرور" (EGO) ولكن نفس لا فاني أصل عاقلة الكون ويكون متره عن الجسم، فهذه هي شرارة نفس الكلي الذي أضاء المصباح في قوة مدركة الانسان، وهنا تصور نفس الكلي يختار نوع تصور وحدة الوجود وفي الحقيقة تصور (آتما) في الفلسفة الهندوسية والنفس في الفلسفة اليونانية اسمان لمسمى واحد،

(١) الكشكول، لمحمد بن حسين بن عبد الصمد الحارثي العاملي المهدلي، هاء الدين (المتوفى: ١٠٣١هـ). ت: محمد عبد الكريم الميري. ط: دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان. الطبعة: الأولى، ١٤١٨هـ - ١٩٩٨م. ج ٢ - ص ٦١.

فهنا بعد "آتما" ظهر "فرم آتما" و في اليونانية ظهر "نفس كلي" بعد النفس. السقراط أقام تصور الإله "اكاغوس" (ARAGUS) يعني تصور الخير بأن ذات الإله هو جماع الحسن والخير، ثم جاء أرسطو^(١) (ARISTOTLE) ونضج الفلسفة عن التصورات الروحية وقدمها في دائرة المشاهدة والمحسوسات وخالف التصور السقراطي. قدم تصور "العقل الأول" و"العقل الفعال"^(٢)، هذا في ذات الإله بحث أبدي غير متجزئ وبسيط، فالذات الذي أراد سقراط وأفلاطون في الخير رآه أرسطو في العقل فإذا وصل عنده

(١) أرسطو (٣٨٤ ق.م - ٣٢٢ ق.م) وهو فيلسوف يوناني، تلميذ أفلاطون ومعلم الإسكندر الأكبر، وواحد من عظماء المفكرين، أعطى كتاباته مجالات عدة، منها الفيزياء والميتافيزيقيا والشعر والمسرح والموسيقى والمنطق والبلاغة واللغويات والسياسة والحكومة والأخلاقيات وعلم الأحياء وعلم الحيوان. وهو واحد من أهم مؤسسي الفلسفة العربية. أنظر: ١٠٠٠ شخصية عظيمة. ترجمة للدكتور مارن طليمات. ١٥٧١.

(٢) اختلف الفلاسفة قديما وحديثا في ماهية العقل وتعريفه وإن كانت أغلب التعاريف تصب في بعضها البعض فهذا الفيلسوف يطر إلى العقل من زاوية والآخر من زاوية أخرى، إن العقل عند أرسطو هو القدرة على إدراك الصور الكلية والماهيات المحردة إدراكا مباشرا وصورة توحد بينه وبين جميع أفراد النوع. عند أرسطو أيضا الإنسان وحده يتميز بقوة الطق أو العقل وهو القوة النقادرة على إدراك ماهيات الأشياء والخواص العامة المشتركة بين المحسوسات التي لا تتغير سعي الرمان والمكان. فالخواس إنما تدرك اجزئيات أي الأعيان هذا أبيض وهذه امرأة رحية، " أما العقل فيدرك الكلي فهو لا يتعلق بهذا الإنسان أو ذاك وإنما هو يتعلق بماهية الإنسان التي تنطق على جميع الأفراد في كل زمان ومكان "، كذلك ذكر " بلاتوبوس " فيلسوف يوناني. " إن العقل هو أول مصدر معرفي فاص من الله سبحانه، ومن خلاله فاص العقل الأول ثم العقل الثاني ثم الثالث حتى انتهى بالعقل العاشر أي "العقل الفعال ". أنظر: أرسطو كتاب الاخلاق ترجمه حنا ميلا. الطبعة الاولى، القاهرة ١٩٩٣. ص: ١٠٣.

وقف، والأشياء التي نجداه في "الفلسفة المشائية"^(١) هو ليس لأرسطو بل هو إضافات من شراح العرب واليونانيين، فعلم أن الخير و العقل خلاصة الفلسفة اليونانية في تصور الألوهية^(٢).

(١) المدرسة المشائية (تسمى أحياناً "الحكمة المشائية") هي مدرسة فلسفية في اليونان القديمة، استمدوا أفكارهم من مؤسس تلك المدرسة الفيلسوف اليوناني أرسطو، الذي سماه تلاميذه المشاء. استمدت المدرسة اسمها من كلمة Peripatos، والتي تعني أروقة مدرج الألعاب الرياضية في أثينا، حيث كان أعضاء تلك المدرسة يجتمعون. وهناك كلمة يونانية أخرى مماثلة peripatetikos تشير إلى فعل المشي؛ والصيغة peripatetic التي تعني "المشاء". بعد وفاة أرسطو سنأت أسطورة أنه كان محاضراً "مشاء"، فحلت التسمية "Peripatetikos" محل الكلمة الأصلية "Peripatos" سنأت \ المدرسة عام ٣٣٥ ق.م.، عندما ستم أرسطو من خلافة أفلاطون في رئاسة الأكاديمية، وتحد هذه المدرسة المذهب العقلي والاستدلال على أسس منطقية، واعتبر اس سسا للمذهب العقلي حاكميته وأن العقل الطريق الوحيد للمعرفة، ولذلك تتحد موقف سلي نخاه المكاشفة والشهود. أنظر: تاريخ الفلسفة، لـ يوهان توتنكهام. الطبعة الثانية، بيروت - لبنان ١٩٩٦. ص: ٥١

(٢) أم الكتاب لمولانا آباد. ص- ٢١٠ إلى ٢١٦.

نظرية الأفلاطونية المحدثة:

في القرن الثالث الميلادي ظهرت فلسفة التصوف في الإسكندرية باسم الأفلاطونية المحدثة^(١) وكان مؤسس هذا المذهب أمونيس السقاص^(٢)، ثم أفلوطين^(٣)، أصبح خليفة أمونيس وتلميذ أفلوطين كان فورفوربوس^(٤)، الذي يعد شارحا كبيرا لفلسفة أرسطو، والذي خلط مبادئ أفلاطونية المحدثة (الجديدة) بالفلسفة المشائية.

(١) الأفلاطونية المحدثة (NEW- PLATONIC) هي التسمية التي أطلقت منذ القرن التاسع عشر على مدرسة للصوفية الفلسفية والتي تكونت في القرن الثالث مسية على تعاليم أفلاطون وتابعيه الأوائل. ويعد أفلوطين وأستاده أمونيس سكاس من المساهمين الأوائل في تلك الفلسفة. تركز الأفلاطونية المحدثة على الحواسب الروحية والكونية في الفكر الأفلاطوني مع مرحها بالديانتين المصرية واليهودية وعلى الرغم من أن اتاع الأفلاطونية الجديدة كانوا يعتبرون أنفسهم ببساطة متبعين لفلسفة أفلاطون إلا أن ما يميزها في العصر الحديث يرجع إلى الاعتقاد بأن فلسفتهم لديها الشروحات الكافية التي لا نظير لها لفلسفة أفلاطون والتي تجعلها مختلفة جوهرياً عما كان أفلاطون يكتب ويعتقد، الأفلاطونية الجديدة لأفلوطين وفورفوربوس هي في الواقع مجرد اتاع لفلسفة أفلاطون هكذا أثار إليها أساتذة مثل جون تربر. أنظر: (الأفلاطونية المحدثة والفكر المسيحي)

Neoplatonism and Christian thought

By Dominic J . ٣٩\٢ .

(٢) أمونيس السقاص (Ammonius Saccas) فيلسوف إسكندري، وُلد في أواسط القرن الثاني ورقد عام ٢٤١ م. كلمة "سقاص" مشتقة من كلمة "ساكس" CAKI اليونانية، ومعناها "كيس"، تعلم الفلسفة الأفلاطونية وتعمق فيها جداً، وفي أواخر القرن الثاني نال المعمودية، وإن كان بعض المؤرخين يرون أنه لم يبل العمد إلا ما كان معجماً بالمسيحية. أراد من الوثنيين أن يقبلوا مبادئها حساً إلى حب مع ما هو حسن في الوثنية ورفض ما هو فاسد في الوثنية. لم يبق من مؤلفاته سوى كتاب: "اتفاق الشارح الأربع". أنظر: صانعو التاريخ، لسمير شبحاني. ط: المكتبة الوطنية لسان. ١٧٥\١.

(٣) أفلوطين (Plotinus) (نحو ٢٠٥ - ٢٧٠ م) هو فيلسوف يوناني، يُعتبر أُرر ممثلي الأفلاطونية المُحدثة، يُعرف في المصادر العربية بـ "الشيخ اليوناني"، جميع المعلومات المتوفرة عن الفيلسوف أفلوطين أتت من تنميده فرفوربوس ودوها في مقدمة كتاب التاسوعات لأفلوطين. أما كتابات أفلوطين في الميتافيزيقيا كان لها تأثير كبير على العديد من الفلاسفات والأديان : الوثنية، اليهودية، المسيحية، الإسلام، الصوفية. أنظر: معجم الفلاسفة، لخورح طرابيتسي. ط: دار الطليعة بيروت (الطبعة الثالثة). ص: ٧٦.

(٤) فرفوربوس الصُوري (Porphyry) (نحو ٢٣٤ - ٣٠٥ م) فيلسوف يوناني، من مواليد صور، يُعتبر أحد أُرر ممثلي الفلسفة الأفلاطونية المُحدثة، تلمذ على أفلوطين ووضع ترجمةً لحياته، على أن أشهر آثاره هي إيساغوجي، وهي مقدمة لمقولات أرسطو كما انتقد النصرانية في كتاب دعاه "صد البصاري". أنظر: معجم الفلاسفة، لخورح طرابيتسي. ص: ٤٦٦.

وكان تعليم فلاطيس و فورفوروريوس مبنيا على الأساس الذي اختاره مذهب أبانيشاد في الهند بأن طريقة علم الحق هو الكشف وليس الاستدلال وكمال مرتبة المعرفة هو حصول مقام الجذب والفناء. ونظرية فلاطيس حول ذات الإله هو نفس الشيء الذي قاله أبانيشاد بأنه الذات المطلق وذاته بعيدة عن جميع تعبيرات التصور والإدراك ونحن لا نستطيع أن نعبر عنها بالجواهر أو الحياة لأن حقيقته ما وراء ذلك^(١).

السقراط والأفلاطون^(٢) عبر عن الحقيقة باسم "الخير" وفلاطيس لما وصل هنا ففلم يكر عليه لكنه قال: إذا قلت "الخير" فقف ولا تتحرك إلى الأمام، لأنه إذا تضيف أي شيء إليه تقرب الحقيقة إلى العيب والنقص. وأرسطو إذا وجد الحقيقة عن طريق العقول المجردة وعبر عن علة العلل بالعقل الأول فاطلاق فلاطيس لا يتحمل هذا التعبير وقال: "لا تقل أنه عقل لأن بهذا هو ينقسم، فعند فلاطيس طرق السلب والنفي مفتوح فقط وطرق الإيجاب والإنبات مسدود".

الفلاسفة اليهودية في الأزمنة الوسطى هم أيضا اختاروا هذا لمسلك لذا موسى بن ميمون^(٣) ينكر بوحود الإله ولا يقول له "الموجود" ويقول: "هو ليس موجود كمثلاً، لأن في تصورنا يأتي بأوصاف

^١ - Stephen McKenna ٣٤١/٢ .

^(٢) أفلاطون (٤٢٧ ق.م - ٣٤٧ ق.م) هو أرسطوكليس بن أرسطون، فيلسوف يوناني كلاسيكي، رياضياتي، كاتب لعدد من الحوارات الفلسفية، ويعتبر مؤسس لأكاديمية أتبيا التي هي أول معهد للتعليم العالي في العالم العربي، معلمه سقراط وتلميذه أرسطو. وضع أفلاطون الأسس الأولى للفلسفة العربية والعلوم، كان تلميذاً لسقراط، وتأثر بأفكاره كما تأثر بإعدامه الظالم، ظهر سوع أفلاطون وأسلوبه ككاتب واضح في محاوراته السقراطية (نحو ثلاثين محاضرة) التي تناول مواضيع فلسفية مختلفة: نظرية المعرفة، المنطق، اللغة، الرياضيات، الميتافيزيقا، الأخلاق والسياسة. أنظر: محاضرات في الفلسفة اليونانية، عبد الرحمن مكي ص: ٤٥.

^(٣) أبو عمران موسى بن ميمون بن عبيد الله القرطبي، المشهور بالرسم واشتهر عبد العرب بلقب الرئيس موسى. وُلد في قرطبة بلاد الأندلس في القرن الثاني عشر الميلادي، ومن هناك انتقلت عائلته سنة ١١٥٩ إلى مدينة فاس المغربية حيث درس جامعة العرويين، واستقرت في مصر آخر الأمر، وهناك عاش حتى توفي عام ١٢٠٤ م. عمل في مصر نقيباً للطائفة اليهودية، وطيّب لئلاط الوريير الفاصل أو السلطان صلاح الدين الأيوبي وكذلك استطاع ولده الملك الأفصل علي. كان أوحده رماه في صاعقة الطم و متفناً في العلوم وله معرفة جيدة بالفلسفة. يوجد معه يحمل اسمه في العباسية بالقاهرة. أنظر: الأعلام، خير الدين الزركلي. ٢١٦/١.

المخلوق والإله مترد عن هذا، هكذا هو ينكر أن يقال "وحده لا شريك" لأن الوحدة وعدم الشركة ليست خالية عن نسبة الإضافة، فمسلك ابن ميمون في الحقيقة هو تسلسل لفلسفة إسكندرية^(١).

(١) أم الكتاب لمولانا آزاد. ص-٢١٦ إلى ٢١٩.

المبحث الرابع : خصائص القرآن الكريم وبيان له صفات الإلهية.
ويشتمل على خمسة مطالب الآتية :

المطلب الأول : التنزيه الكامل والفرق بين التنزيه والتعطيل .

المطلب الثاني : بيان الصفات الإلهية ، ومفهوم المحكم والمتشابه .

المطلب الثالث : منع جميع الصور الشريكية ، وبيان التوحيد في الصفات .

المطلب الرابع : بيان مقام النبوة ، وتصور الواحد للعوام والخواص .

المطلب الخامس : التفكير في خلق الله سبحانه ، ومراتب الدين .

المطلب الأول: التنزيه الكامل والفرق بين التنزيه والتعطيل.

التمهيد: في القرن السادس الميلادي وصلت عقائد الناس في ذات الإله وطريق عبادته إلى هذا المستوى خلطوا الحق بالباطل، والشرك بالتوحيد وجاوزوا الحد في صفات الله الذي نزل بها القرآن الكريم بالحق المبين، وكان تصوير القرآن الكريم أعلى وأجمع وأحق فأثبت القرآن الكريم لله عز وجل صفات الكمال ونفي عنه صفات النقص. ففي سلسلة بيان صفات الله ينبغي أن نذكر القضايا التالية :

التنزيه الكامل:

نستفيد ونستنتج مما ذكرنا بأن ال تصور القرآني بالسبب لصفات الإلهية تنزيه كامل لله سبحانه وتعالى في صفاته حيث لا يوجد نظيره قبل هذا في العالم، لأن التصور الأعلى قبل القرآن حول التنزيه الذي كان يتحملة الفكر الإنساني عبادة للذات الغائب، لكن في مسألة صفات الإله جميع التصورات مليئة بالأوصاف التجسيم والتشبيه والتمثيل، وكما عرفنا في الديانات الهندية واليونانية، حتى اليهودية (التي لا تجوز عبادة الاوثان) قد ذكروا في كتبهم مصارعة الإله مع يعقوب عليه السلام، وشبهوا إله بني إسرائيل بزوجة محبوبة، والمسيح -عليه السلام- لما أراد أن يقدم تصور رحمة الإلهية شبه رحمة الإله بمحبة الأب وبهذا التشبيه ضلوا أهل الظواهر وجعلوا عقيدة ابنية المسيح عليه السلام، فهذه الديانات كلها فيها التشبيه والتمثيل والتجسيم لله سبحانه، وتعالى الله عما يقولون علواً كبيراً.

والقرآن الكريم هو الكتاب المبارك الذي تنزه الله تعالى عن صفات المخلوقين، وقد أثبت القرآن لله صفات الجمال والكمال دون تشبيه وتجسيم، حيث قال الله عز وجل:

[لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ] (١)، [لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ] (٢)، [قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ] (١) اللَّهُ الصَّمَدُ (٢) لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ (٣) وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ (٤) (٣).

١ - سورة نبورى. الآية : ١١

٢ - سورة الأعمام، الآية: ١٠٣

٣ - سورة الإحلاص .

وأم الكتاب لمولانا آزاد. ص-٢١٩ إلى ٢٢١.

الفرق بين التنزيه والتعطيل:

هنالك فرق بين التنزيه والتعطيل، فالمراد من التنزيه: تنزيه صفات الله عن التشبه بصفات المخلوقين بقدر الطاقة البشرية.

والمقصود من التعطيل: نفي الصفات الإلهية بحيث لا يبقى شيء للإنسان يتفكر فيه، فتصور القرآن مبني على التنزيه الكامل دون التعطيل.

فكما أن الغلو في إثبات الصفات يوصل الإنسان إلى التشبيه كذلك الغلو في نفي الصفات يوصل الإنسان إلى تعطيل الصفات، كما فعل أبائشاد في ديانته حيث شبه الذات المطلق (برهمن) بالذات المشخص (ايشور)، وربما هذا الجهد مكان إثبات الوجود الإله يصل إلى نفي الوجود، لذا الواجب الاجتناب عن الإفراط والتفريط في باب الصفات كاختيار القرآن منها وسطا عدلا بين التشبيه والتعطيل.

وبدون التفكير في الصفات لا يقع الإنسان في محبة الإله، لأن الإنسان إذا يتدبر في صفات جلاله وكبريائه وفي صفات رحمته ومحبته يشناق إلى محبة الإله والكلام معه وغيرها، والإنسان لما يعرف بأن الإله رغم مكانته الرفيعة يرى عباده ويقبل توبته فإنه يرجع إليه في حوائجه، كما قال الله تعالى: [إِنَّ رَبَّكَ لِبِالْمُرْصَادِ] (١)، [وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ] (٢).

التصور القرآني يحفظ الإنسان من الزيف والانحراف في مسألة صفات الله، ونفي الصفات أو تحميم الذات وتشبيهها لا يحفظ الإنسان من الزيف والزلل ولا يروي عطشه، فالقرآن يحفظ عقيدة المؤمن ويوصل الإنسان إلى درحة الكمال، يقول القرآن الكريم: إن الإله متصف بجميع صفات الحسن والكمال هو حي، قادر، رب، رحيم، سميع، بصير، عليم بكل شيء، والقرآن يستعمل جميع تعبيرات الجيدة التي تأتي في فكر الإنسان أو يختاره في الكلام والأفعال، مثلا لما يفكر الإنسان بأن يد الله ليست ضيقة فيعبر عنه القرآن: [بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ] (٣)، ولا يخرج أي شيء عن ملكه وكبريائه فيعبر عنه: [وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ

١ - سورة النحر، الآية ١٤ .

٢ - سورة البقرة، الآية: ١٨٦ .

٣ - سورة المائدة، الآية: ٦٤ .

وَالْأَرْضَ^(١). كذلك لما يتصف الإله بأنه ليس بمشابه لأي شيء الذي يأتي في تصوركم بل لا مثيل له فيقول: [لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ]^(٢). ولا تستطيع أعينكم أن تدركه حيث يقول: [لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ]^(٣). ولا تجعلوا له الأمثال من تخيلكم فيقول: [فَلَا تَضْرِبُوا لِلَّهِ الْأَمْثَالَ]^(٤).

الغرض بأن حياته ليست كحياتنا، كذلك سمعه وبصره وعلمه ليس كما نتصور بل ليس كمثلته شيء، لا نظير له، ولا مثيل له، ولا مثل له، فالإنسان لما يميل إلى جانب التزيه يقع في التعطيل ولما يركز على إثبات الصفات يقع في التشبيه والتجسيم فمنهج القرآن في صفات الإله هو الحل الأساسي لهذه المشكلة (أي تزيه الصفات عن التجسيم والتشبيه).

إن أتباع للديانة أنايشاد وقعوا في الغلو في مسألة نفي الصفات، وعلماء علم الكلام من المسلمين لهم نظريات وآراء مختلفة في هذا المجال، ومسألة صفات الله تعالى مسألة خلافية في مجال البحث والنظر، فذهبت الجهمية^(٥) إلى الإنكار القطعي، والمعتزلة^(٦) ما أنكروا ولكن كانوا مترددين فيها، كذلك الإمام

^١ - سورة البقرة، الآية: ٢٥٥.

^٢ - سورة التورى، الآية: ١١.

^٣ - سورة الأنعام، الآية: ١٠٣.

^٤ - سورة الحل، الآية: ٧٤.

(^٥) الجهمية - فرقة كلامية تنسب إلى الإسلام، ظهرت في الربع الأول من القرن المحجري الثاني، على يد مؤسسها الجهم بن صفوان الترمذي وهو من الحرية الخالصة، ظهرت بدعته ترمذ، وقتله سلم بن أحور المارنى بمرو في آخر ملك بني أمية. وافق المعتزلة في نفي الصفات الأثرية. أنظر: الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب، (مجموعة من المؤلفين) بإشراف: د. مامع بن حماد الجهمي. ط: دار البداة العالمية للطباعة والنشر والتوزيع. ص ٧٠.

(^٦) المعتزلة - فرقة كلامية ظهرت في بداية القرن الثاني المحجري (٨٠ - ١٣١ هـ) في البصرة (في أواخر العصر الأموي) وقد اردهرت في العصر العباسي، وقد لعبت دوراً رئيسياً سواء على المستوى الديني والسياسي، ولقد غلبت على المعتزلة التزعة العقلية واعتمدوا على العقل في تأسيس عقائدهم وقدموه على العقل، وقالوا بالفكر قبل السمع، ورفضوا الأحاديث التي لا يقرها العقل، وقالوا بوحوب معرفة الله بالعقل ولو لم يرد سرح بذلك، وإذا معارض النص مع العقل قدموا العقل لأنه أصل النص، ولا يتقدم الفرع على الأصل، والحس والقبح يحج معرفتهما بالعقل، فالعقل بذلك موجب وأمر وناه، لذلك فإنهم قد تطرفوا وغالوا في استخدام العقل وجعلوه حاكماً على النص، بعكس أهل السنة الذين استخدموا العقل وسيلة لفهم النص وليس حاكماً عليه، ومؤسسها هو واصل بن عطاء العرالى الذي طرده الإمام الحسن البصري عن مجلسه لما قال: العاسق لا مؤمن ولا كافر

أبو الحسن الأشعري^(١) - رحمه الله - بنفسه اختار طريق الاعتدال والوسطية لكن أتباعه سلكوا مسهجا بعيدا في تأويل صفات الإله، وفي بحوثهم ظهر لون الغلو ولم تحل المشكلة بينهم، وانحلت المشكلة بالمهج الذي اختاره القرآن، والإمام الجويني^(٢) - رحمه الله - اعترف وقت السكرة بهذا القول: "وها أنا أموت على عقيدة أُمي"^(٣) وترك الدنيا .

من جماعة الأشاعرة الإمام فخر الدين الرازي^(٤) - رحمه الله - بذل كثيرا من الجهد في هذا المجال، ولكن في كتابه الأخير الذي كتبه في آخر حياته اعترف بهذه الحقيقة، ويقول: "لقد تأملت الطرق الكلامية

فانصم إليه عمرو واعتزلا حلقة الحسن فسموا المعتزلة". أنظر: الفرق الكلامية الإسلامية مدخل ودراسة، للدكتور علي عبد الفتاح المغربي. ط: مكتبة الوهبة، الشارع للجمهورية - القاهرة مصر. ص: ٢١٩.

(١) أبو الحسن إسحاق بن سالم بن إسماعيل الأشعري (٢٦٠هـ - ٣٢٤هـ)، من سبل الصحابي أبي موسى الأشعري، وهو المنظر الأول لمواقف أهل السنة وإليه نسب الأشعرية، كان من كبار الأئمة المتهديين والمحددين الذين حافظوا على عقيدة المسلمين واضحة بقاء، وتعه حماهير العلماء على مر العصور حتى يومنا الحاضر، كان في أول حياته على مذهب الاعتزال، ثم تاب وتراجع بعد ذلك، وترأ من الأقوال التي كان يقولها المعتزلة وأصبح أهل السنة يتسبون إليه، حتى لقب بإمام أهل السنة والجماعة، وقد بيع الأشعري في العلوم العقلية، واشتهر بقوة الجدل والمناظرة بحاج محافظته على العقل، ونحاح براعته في علم الكلام كان أيضاً فقيهاً وعالماً ومحدثاً، يميل كثيراً إلى حياة الرهد والسطاة، وكان متصوفاً في أغلب سلوكه، وقد بلغت مؤلفاته نحو مائتي تلامذة كتاب. أنظر: إمام أهل الحق أبو الحسن الأشعري، لعبد القادر محمد الحسين. ط: دار المشرق للكتاب. ص: ٤٣-٣٩.

(٢) أبو المعالي عبد الملك بن عبد الله بن يوسف الجويني، الملقب بـ "إمام الحرمين"، (٤١٩هـ - ٤٧٨هـ)، فقيه شافعي وأحد أبرز علماء الدين السنية عامة والأشاعرة خاصة، أنه كان واحداً من علماء وفقهاء نيسابور المعروفين وله مؤلفات كثيرة في التفسير والفقه والعقائد والعبادات، وقد حرص على تستيئة ابنه عبد الملك تستيئة إسلامية صحيحة فعلمه نفسه العربية وعلومها، واجتهد في تعليمه الفقه الخلاف والأصول، واستطاع الجويني أن يحفظ القرآن الكريم في سن مكر، أصيب الجويني بعلة شديدة وانتقل إلى "ستيقان" للاستشفاء بنحوها المعتدل، ولكن استند عليه المرض فمات لها عن عمر بلغ تسعا وخمسين عاماً. أنظر: الأعلام، لخير الدين الزركلي. ١٤٧٤.

(٣) قال أبو المعالي الجويني: يا أصحابا لا تستعلوا بالكلام، فلو عرفت أن الكلام يبلغ إلى ما بلغ ما استعلت به. وقال عند موته: لقد خست الحر الخصم، وحليت أهل الإسلام وعلومهم، ودخلت في الذي فُورى عنه، والآن فإن لم يتداركي ربي برحمته فأويل لاس الجويني "وها أنا أموت على عقيدة أُمي، أو قال: على عقيدة عجائز نيسابور. أنصر: شرح العقيدة الطحاوية. لعل بن علي بن محمد الدمشقي. ط: مؤسسة الرسالة سنة ١٤١٧هـ. ص: ٢٤٥.

(٤) أبو عبد الله محمد بن عمر بن علي الشافعي الأشعري الملقب بفخر الدين الرازي، ولد في الري، قرني السب. أصله من طبرستان، هو إمام منسب فقيه أصولي، عالم موسوعي امتدت بحوثه ودراساته ومؤلفاته من العلوم الإنسانية المعرفية والعقلية إلى

والمناهج الفلسفية فما رأيتها تشفى عيلاً، ولا تروى غليلاً، ورأيت أقرب الطرق طريق القرآن، وأقرأ في الاثبات [الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى] ^١ وفي النفي [لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ] ^٢ ومن جرب مثل تجربتي فقد عرف مثل معرفتي" ^(٣).

وهذا هو السبب بأن أصحاب الحديث اختاروا مسلك التفويض في هذا المجال، وعبروا عن عقيدة الجهمية في إنكار الصفات بالتعطيل، وفي تأويلات الأشاعرة والمعتزلة شعروا بلون التشبيه، والمتكلمون اتهموا الأشاعرة والمعتزلة بالتحسيم والتشبيه ولكن قالوا (الأشاعرة والمعتزلة) إن عقيدة التشبيه أحسن من عقيدة التعطيل، لأن التشبيه يبقى عندنا تصور العقيدة ولكن بعد السلب والنفي لم يبق عندكم شيئاً. والمتأخرين من أصحاب الحديث كالإمام ابن تيمية وتلميذه الإمام ابن القيم قد ناقشوا هذه المسألة بالعمق واختاروا مذهب السلف - رحمهم الله - ^(٤).

العلوم الحقة و: الفيزياء، الرياضيات، الطب، الفلك.. رحل إلى حوارهم وما وراء النهر وحراساد، وأقل الناس على كتبه يدرسوها، وكان يحسن اللغة الفارسية، وكان قائماً لنصرة مذهب أهل السنة والجماعة الأشاعرة، كما اشتهر بردوده على الفلاسفة والمعتزلة. له تصانيف كثيرة ومفيدة في كل من أهمها: التفسير الكبير الذي سماه "معاني الغيب"، وله "المحصول" في علم الأصول، و"المطالب العالية" و"تأسيس التقديس" في علم الكلام، و"نهاية الإبحار في دراية الإعجاز" في البلاغة، و"الأربعين في أصول الدين"، وكتاب الهندسة وغيرها، توفي الرازي في مدينة هراة سنة ٦٠٦ هـ. أنظر: الأعلام، لخير الدين الزركلي. ٣١٣/٦.

١ - سورة طه، الآية: ٥.

٢ - سورة التورى، الآية: ١١.

(٣) كتاب "أقسام اللغات" مقاله في اللدة للإمام فخر الدين الرازي (ص: ٣٠٥).

(٤) أم الكتاب لمولانا آزاد. ص- ٢٢١ إلى ٢٢٦.

المطلب الثاني : بيان الصفات الإلهية، ومفهوم المحكم والمتشابه.

بيان الحكمة في الصفات الإلهية:

الآن نستطيع أن نفهم اختلاف وجهة النظر للآرية والسامية في هذا المجال، فالحكمة الآرية في جواب تلبية فطرة الإنسان (لعبادة الصورة)، فتحت باب الوثنية، والقرآن الكريم أجاب لهذه التلبية ببيان الصفات وقد سدّ القرآن وأغلق جميع الطرق والأبواب التي تؤدي إلى الشرك والوثنية (كما نشأت في الهند). (فالحكمة في بيان الصفات الإلهية هي الحفاظ على فطرة الإنسان وعقيدته من الزيف والزيل وتلبية فطرة الإنسان في هذا المجال).

المحكمات والمتشابهات:

القرآن الكريم جعل نوعين أساسيين لمطالبه وعبر عنهما بالمحكمات والمتشابهات، والمراد بالمحكمات: الأمور التي يفهمها الإنسان بالسهولة والوضوح وهي متعلقة بالحياة العملية للإنسان وعليه فإنها لا تحتل المعاني المتعددة.

والمتشابهات: هي الأمور التي لا يدرك حقيقتها الإنسان، ولا بد أن يحتج فيها عن تفسيرات غير ضرورية، كما قال الله تعالى: [هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ] (١)

فحقيقة كيفية الصفات الإلهية من نوع المتشابهات، لذا يقول القرآن بأن في هذا الباب لا يفيد الجهود الفكرية بل يفتح باب الشبهات، لذا لا بد من اختيار طريقة التفويض، وجميع الجهود الفلسفية للمتكلمين وغيرهم في كيفية الصفات الإلهية ليست موافقة للقرآن الكريم (٢).

١ - سورة آل عمران، الآية: ٧ .

(٢) أم الكتاب لمولانا آزاد. ص-٢٢٦ إلى ٢٢٩.

صفات الرحمة والجلال:

إذا تدبرنا في القرآن الكريم نجد بأنه في ذكر صفات الرحمة والجلال حكم عظيمة، فرحمته تدل على فضله، وجلاله تدل على عدله لا كما يتصور اليهود، لأن الغالب عندهم عنصر غضبه وجلاله، ولا التصور المسيحي الذين ركزوا على الرحمة والمحبة وأن تصور الجزاء والعقاب لم يوجد عندهم، كذلك أتباع "بوذا" و"المحوس" جعلوا الخير والشر منفصلان ولكل واحد منهما إله مستقل بنفسه.

فالقرآن الكريم من جانب واحد قدم تصور الرحمة والجمال دون الغضب والجلال، ومن جانب آخر قدم تصور العقاب والجزاء، وهذا العقاب والجزاء ليست بسبب الغضب والجلال بل هما مبنيتان على أساس العدل الإلهي، قال الله عز وجل عن صفات الإلهية: **[وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا]** (١)، **[قُلِ ادْعُوا اللَّهَ أَوْ ادْعُوا الرَّحْمَنَ أَيًّا مَا تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ]** (٢).

فالقرآن يعبر عن جميع صفات الإلهية بالأسماء الحسنى فعلم أن في جميع صفات الله تعالى توحيد الحس والجودة، والقرآن ذكر هذه الأوصاف في مواطن عديدة، وفيها بعض الصفات الغضبية والجلالة مثل "الجبار، القهار" وغيرها، لكن هي أيضا من أسماء الله الحسنى، لأن فيها تظهر قدرة الإله وعدله، فالقدرة والعدل أيضا من قبيل الحسن والجودة لا الظلم والخوف، لذا في سورة الحشر ذكرت صفات الغضبية والجلالية مع صفات الرحمة والجمال، وعبر عن الجميع بالأسماء الحسنى، قال الله تعالى: **[هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ (٢٣) هُوَ اللَّهُ الْخَالِقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ**

١ - سورة الأعراف، الآية: ١٨٠.

٢ - سورة الإسراء، الآية: ١١٠.

وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ^١ . وقال في سورة الأعراف: [وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ] (٢) (٣) (٤).

١ - سورة الحشر، الآيتان: ٢٣ - ٢٤ .

٢ - سورة الأعراف، الآية: ١٨٠ .

٣ - في الآية المذكورة جاء (يلحدون في أسمائه) فاللحد من لحد ومعنى اللحد الميلان عن الوسط، لذا المكان الذي يصنع في الغر للبعث في الطرف يقال له (لحد)، فإذا ذكر هذا اللفظ في أعمال الاسماوية فامرأه به (الأعراف عن طريق الحق) ويقال (أخذ فلان) أي مال عن الحق . يقول الامام رابع أصفهائي في تشريحه: "أن يوصف بما لا يصح وضعه به، أو أن يتأول أوصاف على على ما لا يليق به" . أنظر: المفردات، لإمام الرابع الأصفهائي. ص- ٤٦٤ .

(٤) أم الكتاب لمولانا آزاد. ص- ٢٢٩ إلى ٢٣١ .

المطلب الثالث: منع جميع الصور الشركية، وبيان التوحيد في الصفات.

المكافحة الكاملة لجميع التصورات الشركية:

التصور الذي قدمه القرآن الكريم حول التوحيد والشرك هو كامل إلى درجة حيث لا يوجد نظيره في الماضي، لأن جميع الديانات قبل القرآن ركزوا على الجانب الإيجابي للتوحيد وهو التوحيد في الذات، ولم يركزوا على الجانب السلبي للتوحيد وهو التوحيد في الصفات.

الجانب الإيجابي الذي نقول هو أن الله واحد في ذاته، والجانب السلبي الذي نقول ليس كمثله شيء، لأن الله تعالى إذا هو واحد في ذاته فلا بد أن يكون واحد في صفاته أيضاً، لأنه بوجود المشارك في صفاته لا يمكن عظمته وكبريائه، فالأول توحيد في الذات والثاني توحيد في الصفات .

ولأن الأقوام الماضية قبل القرآن كانوا لا يستطيعون أن يتحملوا توحيد الصفات، لأن استعدادهم ليس رفيعاً هذه الدرجة لذا ركزوا على جانب توحيد في الذات ولم يركزوا على جانب توحيد الصفات، لذا نحن نرى أنه في الأقوام الماضية رغم عقيدة التوحيد توجد عبادة الأشخاص والأوثان وغيرها، وزعماء الديانات كانوا أيضاً لا يسدون باب الشرك، لذا في الهند من أول يوم جعلوا للعوام عبادة الآلهة الأخرى مثل الأوثان والأشجار وغير ذلك، وعقيدة التوحيد كانت للخواص فقط، هكذا في اليونان (غير سقراط) كانوا يعبدون الأوثان، واليهود ما صنعوا الأوثان من الأحجار ولكن كانوا يصنعون الهيكل على قبور الأنبياء ويعبدونها.

ومعظمهم يعتقدون أن عظمة العلم لا تفيد دون عظمة المعلم ولكن ما وضعوا الحدود لهذه النظرية لذا فإن دعوة المسيح -عليه السلام- وإن كان مبنية على التوحيد ولكن بعد ظهوره بثلاثمائة سنة أتباعهم جعلوا المسيح ابن الله، وكذلك ظهرت عقيدة ألوهية المسيح -عليه السلام-، و بوذا قال في وصاياه لقومه أن لا تعبدوا تمثالي بعد وفاتي فإن فعلتم هذا تغلقون عليكم طرق السعادة والسجاة، لكن رغم ذلك بنوا أتباعه المعابد على تذكارتهم، ونشروا الديانة البوذية بواسطة هذه التماثيل، وفي الحقيقة لم يصنع لأحد التماثيل أكثر من تمثاله في العالم^(١).

(١) أم الكتاب مولانا آزاد. ص-٢٣٢-٢٣٣.

التوحيد في الصفات:

القرآن الكريم قدم تصور التوحيد في الصفات وسد جميع الطرق الموصولة إلى الشرك والإنزلاق، والقرآن لم يركز على التوحيد فقط بل ركز على سد الطرق الموصولة إلى الشرك أيضاً، وهذا من خصوصيات القرآن.

والقرآن يقول إن العبادة تكون لذات الله تعالى فإذا تركع وتسجد أمام آلهة أخرى فلم يبق اعتقاد توحيد الإلهية. كذلك الدعاء والاستعانة، والركوع، والسجود، والتوضع، والتوكل وجميع العبادات والأعمال تكون لله، والعلاقة بين الله وبين عباده تكون مبنية على العبادة لذا من الضروري أن جميع أنواع العبادات لله تعالى وحده ونداء غير الله مناقض للتوحيد، في السورة الفاتحة قال عز وجل : **إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ**^(١) . ذكر وقرن العبادة والاستعانة بهذا الحصر (إِيَّاكَ) وتقديم المفعول يفيد الحصر، هكذا في نية سور القرآن: لا تخلو سورة من بيان التوحيد.

^١ - سورة الفاتحة، الآية: ٥ .

المطلب الرابع: بيان مقام النبوة، وتصور الواحد للعوام والخواص.

بيان مقام النبوة:

المسألة المهمة هو تحديد مقام النبوة وأن محمداً عبد الله ورسوله وهو معلم ومرب لأُمته، فهو بشر وليس بإله وعبد من عباد الله. وحينما ننظر في كلمة التوحيد [أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً عبده ورسوله] ففي هذه الكلمة اقرار واعتراف بوحانية الله تعالى ورسالة محمد -صلى الله عليه وسلم- وأن عبداً لله ورسوله، لهذا السبب بعد وفاة النبي -صلى الله عليه وسلم- اختلف المسلمون في أمور كثيرة ولكنهم لم يختلفوا في رسالة رسول الله وعبوديته، وبعد ساعات من وفاة رسول الله قام أبي بكر -رضي الله عنه- خطيباً وأعلن للجميع: {فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ يَعْْبُدُ مُحَمَّدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَإِنَّ مُحَمَّدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَدْ مَاتَ، وَمَنْ كَانَ يَعْْبُدُ اللَّهَ، فَإِنَّ اللَّهَ حَيٌّ لَا يَمُوتُ} (١).

التصور الموحد لعامة الناس وخاصتها:

قبل نزول القرآن الكريم كان يوجد التمييز بين العوام والخواص ممارسة الطقوس الدينية، وتوجد تصوران حول الإله، واحد حقيقي والآخر مجازي، فالأول كان للخواص والثاني كان للعوام، وكان الناس في الهند على ثلاث مراتب في ممارسة العبادة: ١ - للعوام عبادة الأوثان. ٢ - للخواص عبادة الإله مباشرة. ٣ - ولأخص الخواص نظرية وحدة الوجود. ومثله كانت فلسفة اليونان، وكانوا يظنون أن تصور حول الإله الغير المجسم وغير المرئي يمكن لأهل العلم والحكمة، وللعوام يكفي عبادة الأوثان وأن يشغلوا فيها.

ولكن القرآن الكريم لم يفرق بين العوام والخواص، ولا الحقيقة والمجاز، بل أرشد جميع الناس إلى عبادة الله تعالى وحده، وقدم للجميع صورة واحدة للعبادة، فمن العلماء والحكماء إلى الجهال والعوام فتح للجميع باباً واحداً وهو باب الإيمان والتوحيد.

١ - أحرجه المحاري في صحيحه، برقم ٣٦٦٧، باب قول النبي صلى الله عليه وسلم لو كنت متحداً لحيلاً، ج ٥، ص -

٦.

أم الكتاب لمولانا آزاد، ص -٢٣٤- ٢٣٥.

والديانات الأخرى في الهند واليونان كانت عبادتهم مبنية على أساس المصلحة والتفاهم والتحالف، فإذا كانت مصلحتهم في عبادة إله واحد فكانوا يعبدون إلهاً واحداً، وإذا كانت مصلحتهم في عبادة الأوثان والأصنام فكانوا يعبدون الأصنام والأوثان حفاظاً على وحدتهم ومكانتهم في الناس، وأعطوا الحرية للناس يعبدون شجراً أو حجراً فهم أحرار.

إن ديانة "ويدانت" تعتقد بأن الحقيقة الأصلية (التوحيد) أعلى من الشرك والوثنية لكن بالرغم من هذا الإقرار لا ينكرون لأتباعها لعبادة الأوثان، لأنهم يظنون بأن هذه الديانة ستصبح ديانة مقبولة في الناس، والمقصود الأصلي واحد للجميع في كل حال.

فعلوا هذه الأشياء وأشركوا مع الله لأجل التسامح حتى يكون لهم القبول بين الناس، وبهذا التسامح أصبح الهند خليطاً بين الشرك والوثنية في الآرية وغيرها، ولكن أحياناً ترك التسامح يكون أفضل من التسامح.

وعندما تجتمعت عقيدتان متضادتان فالسيطرة تكون للغالبة، والعقيدة المغلوبة تصبح معطلة تماماً، فالمسألة مسألة القوة والضعف ليست الحق والباطل. وهذا ليس في أي شيء من تعاليم الإسلام بل الإسلام يعلمنا أن نتبع الحق حيثما كان، ولم يقبل الإسلام المصالحة والتسامح في مسائل عقدية، وكان الإسلام مستقلاً في تصوره وتربيته لله سبحانه من الأنداد، وسد الإسلام المصالحة في مسألة الاعتقاد^(١).

(١) أم الكتاب لمولانا آزاد. ص- ٢٣٥ إلى ٢٤٠.

المطلب الخامس: التفكير في خلق الله سبحانه، ومراتب الدين.

أساس التفكير في القرآن الكريم:

القرآن الكريم وضع أساساً للتفكير وهو أن يفكر الإنسان في الكون وأن هذا الكون ما وُجد بنفسه، لأن وجود الكون بدون الصانع غير ممكن فلا بد له الصانع والصانع هو الله تعالى، وقد أرشدنا القرآن الكريم إلى الجهد والطلب في هذا السبيل، قال الله تعالى: [وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ] (١) . [وَفِي الْأَرْضِ آيَاتٌ لِلْمُوقِنِينَ (٢٠) وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ] (٢).

الآيات الكونية موجودة في الأرض وفي أنفسنا فعلياً أن نجتهد في معرفتها وأن نفكر فيها.

مراتب الدين في الإسلام:

كما ذكرنا قبل ذلك أن الديانات الهندية جعلت للعوام والخواص تصورات مختلفة، لكن الإسلام لم يفرق بين العوام والخواص في العبادات فإنه يقدم تصوراً واحداً لجميع الإنسانية.

ولكن الناس ليسوا سواء في الطلب والجهد، فمن حيث الجماعة لهم مزايا مختلفة وحوائج خاصة كذلك من حيث الفرد لهم مراتب مختلفة في الطلب والاستعداد، فالإسلام وإن لم يفرق بين الناس في مسألة العقائد لكن بإعتبار الاستعداد عنده مراتب مختلفة بحسب اليقين والعرفان.

ووضح هذا الفرق بأسلوب جامع في رواية الذي أخرجهما الحارثي ومسلم (في صحيحهما) والمعروفة بحديث جبرئيل، فهد الحديث يذكر ثلاث مراتب: المرتبة الأولى الإسلام: المراد بالإسلام هو الاستمرار في العقيدة الإسلامية، والعمل بأركان الإسلام الخمسة الظاهرة وهي: الإقرار بالشهادتين، الصلاة، والزكاة، والصوم، والحج .

المرتبة الثانية الإيمان: المراد بالإيمان التقدم من مرتبة الإقرار إلى مرتبة اليقين في عقائد الأساسية للإسلام.

١ - سورة العنكبوت، الآية: ٦٩ .

٢ - سورة الداريات، الآيتان: ٢٠، ٢١ . أم الكتاب لمولانا آزاد. ص-٢٤٠-٢٤١.

المرتبة الثالثة الإحسان: والمراد بالإحسان كما ذكر في الحديث: {أَنْ تَعْبُدَ اللَّهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ. فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ} (١)

فمن حيث عرفان الحقيقة أصبحت ثلاث مراتب، فالمرتبة الأولى هي مرتبة الاعتقاد العامة، فكل من أقر بعقيدة الإسلام وعمل بأركان الإسلام فقد دخل في هذه المرتبة، ولكن بهذه المرتبة لم يحصل على مراتب العلم واليقين فهناك مرتبة أخرى التي بها يخرج الإنسان من العوام ويدخل في الخواص والتي عبر عنها بالإيمان، وهذه مرتبة الازدعان واليقين القلبي والعقلي، ثم يليه المرتبة الثالثة التي تتعلق بالتجربة الذاتية ليست بالاعتقاد واليقين ويحصل هذه المرتبة بالكشف والمراقبة والسلوك وليست مجالا للبحث والنظر، وعبر عن هذه المرتبة بالإحسان. فالمرتبة الأولى للعوام والثانية للخواص والثالثة لأخص الخواص، فالفطرة واحدة والأوعية مختلفة حسب الطلب والاستعداد.

هناك آيات كريمة في القرآن الكريم يستدل بها القائلون بوحدة الوجود لإثبات مسألة وحدة الوجود، وهذه الآيات الكريمة هي: [فَأَيْنَمَا تُولَّوْا فَتَمَّ وَجْهُ اللَّهِ] (٢)، [وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ] (٣)، [كُلُّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ] (٤). حتى إن الإمام شاه ولي الله الدهلوي (٥) - رحمه الله - كتب: "بأنه إن أراد إثبات مسألة وحدة الوجود من جميع نصوص وظواهر الكتاب والسنة فإنه يستطيع ذلك،

١ - أخرجه البخاري في صحيحه عن رواية أبي هريرة، برقم (٥٠)، في كتاب الإيمان، باب: سؤال حبريل عن النبي صلى الله عليه وسلم. ١٩١١. كذلك أخرجه مسلم في صحيحه عن رواية ابن عمر عن عمر بن الخطاب - رضي الله عنهما - برقم (٨)، في كتاب الإيمان، باب: معرفة الإيمان، والإسلام، والقدر وعلامة الساعة. ٣٦١١.

٢ - سورة البقرة، الآية: ١١٥.

٣ - سورة ق، الآية: ١٦.

٤ - سورة الرحمن، الآية: ٢٩.

(٥) أبو عبد العزيز أحمد بن عبد الرحيم الفاروقي الدهلوي الهندي، الملقب بـ شاه ولي الله: فقيه حنفي من المحدثين. من أهل دهلئى بالهند. رار الحجار سنة (١١٤٥ هـ). أحيأ الله له وبأولاده وأولاد سته وتلاميذهم الحديث والسنة بالهند بعد مواهبنا. وعلى كتبه وأسابيده المنار في تلك الديار) وقيل في وفاته: سنة ١١٧٩ هـ. من كتبه (الغور الكبير في أصول التفسير - ط) - ألّفه بالفارسية، وترجم بعد وفاته إلى العربية والأردية وبسترهما، و (فتح الخير بما لاند من حفظه في علم التفسير - ط) و (حجة الله البالغة - ط) مجلدان: و (إزالة الحفاء عن حلافة الخلفاء - ط) وغيرها، وترجم القرآن إلى الفارسية على شاكلة العظم العرنى، وسمى بـ فتح الرحمن في ترجمة القرآن. الأعلام للركلي. ٤٩١١.

لكن القول الحق في هذا الشأن بالأنا نحمل هذه الآيات بعيدا عن محاملها القريبة، وأن لا نتجاوز عن تلك المعاني التي فهمها المخاطبون من الصدر الأول.

أما مسألة "السلوك والعرفان"^(١) فليست بمخالف للعقيدة الإسلامية وإن كان موافقا لروح الإيمان، لأن تصور القرآن حول الإله هو تصور جامع يتسع فيه جميع تصورات التوحيدية^(٢).

منازل الفكر الإنساني في الطلب والمعرفة:

الصفات التي ذكرت في سورة الفاتحة منها: الربوبية، الرحمة، العدالة، فهي في الحقيقة المنازل الطبيعية للطلب والمعرفة للفكر الإنساني، وعند التأمل يتبين بأنها ترد بحسب هذا الترتيب.

أولا الربوبية: ذكر الربوبية لأنها أظهر صفات الله في هذا الكون، وكل كائن أشد حاجة إليها.

ثانيا الرحمة: ذكر بعد الربوبية الرحمة، لأن الرحمة تحتاج إلى المطالعة والتفكير مقارنة بالربوبية، وبعد مشاهدات الربوبية يكون ظهور الرحمة.

ثالثا العدل: وفي الآخر ذكر العدل، لأن هذا هو المنزل الأخير في السفر، لما تتقدم خطوات الإنسان في منازل مشاهدات الرحمة فإنه يعلم بأنه يوحد هنالك العدل في كل مكان، والسبب في وجود العدل بأنه مقتضى الربوبية والرحمة^(٣).

(١) "السلوك" هو السير السالك إلى الله في طريق الإيمان؛ بالترقي من الأدنى إلى الأعلى، و"العرفان" هو التعرف على الله والوصول إلى رصده. ويقسم الصوفية الدين إلى ثلاثة أركان رئيسية: هي الشريعة، والطريقة، والحقيقة، ويستدلون بحديث حريث، حيث يقولون عن أقسام الدين كما يلي: ركن الإسلام: وهو الجانب العملي؛ من عبادات ومعاملات وأمور تعبدية، ومحل الأعضاء الطاهرة الحسماوية. وقد اصطلح العلماء على تسميته بالشريعة، واحتص بدراسته الفقهاء. ركن الإيمان: وهو الجانب الاعتقادي القلبي؛ من إيمان بالله، وملائكته، وكتبه، ورسوله، واليوم الآخر، والقضاء والقدر. وقد احتص بدراسته علماء التوحيد. ركن الإحسان: وهو الجانب الروحي القلبي؛ وهو أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك، وما ينتج عن ذلك من أحوال وأدواق وجدانية، ومقامات عرفانية، وعلوم وهبية، وقد اصطلح العلماء على تسميته بالحقيقة، واحتص سحته الصوفية. وللوصول إلى هذا المقام، والإيمان الكامل. لابد من سلوك الطريقة والعرفان. أنظر: معراج السوف إلى حقائق التصوف، تأليف: أحمد بن عحية الحسي. ص: ٤.

(٢) أم الكتاب لمولانا آزاد. ص-٢٤٢-٢٤٣.

(٣) أم الكتاب لمولانا آزاد. ص-٢٤٤.

الفصل الرابع : بيان مفهوم الهداية والصراط المستقيم في ضوء
دعوة القرآن الكريم. ويشتمل على ثلاثة مباحث الآتية:
المبحث الأول: أقسام الهداية، والفرق بين الدين والشرع
في ضوء القرآن الكريم.
المبحث الثاني: التحزب والتفرق بين أهل الكتاب،
وأساس السعادة في القرآن الكريم.
المبحث الثالث: أسباب عداوة المنكرين للقرآن والصراط
المستقيم.

المبحث الأول: أقسام الهداية، والفرق بين الدين والشرع في ضوء القرآن الكريم. ويشتمل على ثلاثة مطالب الآتية:

المطلب الأول: بيان الهداية ومراتبها.

المطلب الثاني: أصل وحدة الدين، والقرآن الحكيم.

المطلب الثالث: الفرق بين الدين والشرع، ومنع التحزب في الأديان.

المطلب الأول: بيان الهداية ومراتبها:

معنى الهداية هي إراءة الطريق^(١) كما أن الله تعالى أعطى لجميع المخلوقات الأجسام والقوات المختلفة حسب أحوالهم هكذا منحهم هداية المظرة وهذه الهداية يهديه إلى جميع طرق المعيشة وضروريات الحياة، والقرآن الكريم ركز على هذه الحقيقة في أماكن مختلفة ويقول إن لكل موجود مراتب مختلفة من التكوين تصل إلى درجة الكمال، والمرتبة الأخيرة هي مرتبة الهداية، وفي سورة الأعلى ذكرت أربعة مراتب للتكوين على الترتيب فيقول: [الَّذِي خَلَقَ فَسْوَى (٢) وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَى] ^(٣). يعني: التكوين، التسوية، التقدير، الهداية.

١- التكوين: ظهور مادة خلق الحيوان هو "تكوينها".

٢- التسوية: خلق قوات أعمالها الظاهرة والباطنة في حالة الاعتدال والتقويم هي "التسوية".

٣- التقدير: إنه قدر لكل حيوان تقديراً خاصاً الذي لا يخرج عنه، فالطير تطير في الهواء ولا تسبح في الماء كالأسماك.

٤- الهداية: فييجاد ضياء الوجدان والحواس الذي يهدي الإنسان إلى طرق الحياة والمقاء في الدنيا، ويرشده إلى طلب وحصول أسباب الحياة.

(١) الفرق بين الهداية والإرشاد: أن الإرشاد على الشيء هو التطريق اليه والتبشيره له والهداية هي التمكين من الوصول اليه وقد جاءت الهداية للمهتدي في قوله تعالى (اهدنا الصراط المستقيم). وذكر أنهم دعوا بالهداية وهم مهتدون لا بحالة وم ينبغي مثل ذلك في الإرشاد ونقال أيضا هداه إلى المكروه كما قال الله تعالى (واهدوهم إلى صراط الحليم) وقال تعالى (إني لعلي هدى مستقيم) واهدى الدلالة فإذا كان مسبقا فهو دلالة إلى الصواب والایمان هدى لانه دلالة إلى الجنة. أنظر: معجم الفروع اللغوية، لأبو هلال الحسن بن عبد الله بن مهراڤ العسكري (المتوفى: نحو ٣٩٥هـ). ط: مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بـ"قم". ج-١١ ص-٤٢.

(٢) سورة الأعلى الآية: ٢-٣.

فالقرآن يقول: وهذا من مقتضى الربوبية بأن الله تعالى كما خلق كل شيء حيث وجد قوات أعماله الظاهرة والباطنة في حالة الاعتدال والتقويم، وقدر له تقديراً معيناً حيث لا يخرج منه، كذلك أرشده إلى طرق الهداية، قال الله تعالى: [رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى] ^(١).

والقرآن الكريم نقل حوار سيدنا إبراهيم -عليه السلام- مع قومه، في أكثر من موطن، ففيه أعلن إبراهيم -عليه السلام- عن عقيدته وقال: [وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ إِنَّنِي بَرَاءٌ مِمَّا تَعْبُدُونَ (٢٦) إِلَّا الَّذِي فَطَرَنِي فَإِنَّهُ سَمِيعٌ] ^(٢). أي الذي خلقتني ومنحني الجسم والوجود فلازم أنه هياً لي طرق الهداية، ففي سورة الشعراء ذكر هذا الكلام بمزيد من الوضوح: [الَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِينِ (٧٨) وَالَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ (٧٩) وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ] ^(٣). وفي سورة الصافات ذكر هذا المقصد باللفاظ أخرى قال عز وجل: [إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَى رَبِّي سَمِيعٌ] ^(٤). تأمل في لفظ "ربي" فإذا كان هو "رب" فإنه يلزم أن يفتح على طرق العمل ^(٥).

مراتب الهداية:

للهداية ثلاث مراتب: ١- هداية الوجدان، ٢- هداية الحواس، ٣- هداية العقل.

المرتبة الأولى - هداية الوجدان: هداية طبيعي لكل حيوان وإنسان، مثلاً الولد لما يمس ثدي الأم بدون أي مرب والأستاذ، فهذه هداية الوجدان.

المرتبة الثانية - هداية الحواس: وهي المرتبة الأعلى من الوجدان، وهذه الهداية تسمح لنا قوات البصر والسمع واللمس والذوق والشم وغيرها، وبهذه القوات نحصل على علم الخارجي.

(١) سورة طه، الآية: ٥٠.

(٢) سورة الزحرف، الآيات: ٢٦ - ٢٧.

(٣) سورة الشعراء، الآيات: ٧٨ - ٧٩ - ٨٠.

(٤) سورة الصافات، الآية: ٩٩.

(٥) أم الكتاب لمولانا أراد ص-٢٤٥-٢٤٧.

المرتبة الثالثة - هداية العقل: في هاتين المرتبتين من الهداية الإنسان والحيوان سواء، والإنسان له هناك مرتبة ثالثة أخرى أيضا التي هي خاصة بالإنسان، وهي هداية العقل، هذه الهداية هي التي فتحت أمام الإنسان طرق التقدم والتطور .

الوجدان ينشئ عن السعي والطلب، والحواس يجمع المعلومات، والعقل يرتب الأحكام والنتائج، فالحيوانات الأخرى (غير الإنسان) ليست محتاجة إلى هداية العقل فلم يركب فيها العقل، والإنسان جمعت فيه هذه المراتب كلها، وجسم الإنسان أشرف الأجسام في المخلوقات الأرضية، وقوته المعنوي (الباطني) ممتاز من جميع القوات المعنوية.

لكل مرتبة من المراتب الهداية مجال خاص لا يمكن أن يتقدم منه :

لكل مرتبة من المراتب الهداية مجال خاص لا يمكن أن يتقدم على هذا المجال، فمجال مرتبة الوجدان السعي والطلب إلى ضروريات الحياة، لكن لا يستطيع الوجدان أن يدرك المعلومات الخارجية، لأن هذه وظيفة هداية الحواس، فإذا عجزت هداية الوجدان فتأتي دور هداية الحواس، فالعين ترى والأذن تسمع واليد تلمس وغيرها، كذلك ندرك بها الأشياء التي هي خارج عن أجسادنا، لكن لمرتبة الحواس أيضا مجالها المحصوص لا يتقدم عليه مثل العين ترى عند وجود الشروط مثل وجود الصياء، ووجود الشيء في دائرة الأبصار، فإذا لم يوجد الضوء أو كان الشيء خارجا عن دائرة العين لا نستطيع أن نراه. ومجرد الاحساس لا يكفي بل لابد أن نرتب عليه الاحكام أو نستنبط منها شيئا، وهذا لا يمكن بدون العقل، فترتيب الأشياء واستنباط النتيجة منها مجالها هداية العقل .

والمرتبة الأدنى تحتاج في تصحيحها ومراقبتها إلى المرتبة الأعلى، فالوجدان يحتاج في مراقبته إلى الحواس، والحواس تحتاج في تصحيحها إلى العقل لأن ذرائع هداية الحواس محدودة، ومع هذا في بعض الأحيان هو يخطئ ويصل مثلا نحن نرى شيئا من البعيد ونظن أنه شيء صغير ليس له حجم كبير ولكن الحقيقة يكون شيئا كبيرا، مثل المارة الطويلة نراها من البعيد شيئا صغيرا وفي الحقيقة تكون كبيرة، هكذا في حالة المرض نحن ندوق شيئا حلوا مثل العسل ونحسه مرًا، لكن الحقيقة عكس ذلك هو حلو جدا، وهذه من غلط الحواس.

في جميع الأحوال إذا عجزت الحواس بأي دور هداية العقل، فالعقل يهدي ويبين لنا أن العسل ليس فيه مرارة بل هو عذب وحلو حذا والمشكلة في ذوقنا بسبب المرض، كذلك في المغالطات الأخرى فإن العقل يرشدنا إلى الطريق الصحيح^(١).

مرتبة هداية الفطرة:

كما عرفنا أن لكل مرتبة مجال خاص ودائرة محدودة وكل مرتبة تحتاج في المراقبة والتصحيح إلى المرتبة الأعلى وعرفنا أن الوجدان إذا عجز في دائرته تأتي الحواس ثم إذا عجزت الحواس تأتي هداية العقل فلا بد أن تكون هناك مرتبة أخرى بعد هداية العقل، لأن العقل أيضا محدود في دائرة المحسوسات، فإذا عجزت الحواس الخمسة يعجز العقل أيضا، لأنه لا يدرك وراء المحسوسات شيئا.

هكذا في الحياة العملية الإنسان فهداية العقل لا تكفي في كل حالة ولا يؤثر لأنه توجد الشهوات والميول المختلفة في نفس الإنسان، فإذا وقع التعارض بين العقل والشهوة تفوز الشهوات عالما، والعقل وإن كان يؤكد بأن هذا الفعل ضار ولكن الرغبة يحنثنا على فعله، ونحن لا نستطيع الابتعاد عنها مهما كان مضرا، فلا بد أن تكون هناك هداية أخرى تراقبنا وتصوبنا عندما يعجز العقل، ألا وهي هداية الوحي والنبوة، ونحن نرى أن القرآن الكريم ذكر هذه المرتبة في أماكن مختلفة وجعلها منحة ربانية عظيمة، قال الله عز وجل: [إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا (٢) إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا]^(٣). [أَلَمْ نَجْعَلْ لَهُ عَيْنَيْنِ (٨) وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ (٩) وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ]^(٤). [وَجَعَلْ لَكُمْ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ]^(٥).

في هذه الآيات الكريمة إيماء إلى هداية العقل والحواس والفكر لكن الأماكن الذي ذكرت فيها سعادة الإنسان وشقاوته جميعا متعلقة بهداية الوحي والنبوة، قال عز وجل: [إِنَّ عَلَيْنَا لَلْهُدَى (١٢) وَإِنَّ

(١) أم الكتاب لمولانا آزاد ص-٢٤٨-٢٥٠.

(٢) سورة الإنسان، الآيات: ٢-٣.

(٣) سورة البلد، الآيات: ٨-٩-١٠.

(٤) سورة النحل، الآية: ٧٨.

لَنَا لِلْآخِرَةِ وَالْأُولَى^(١) . [وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ فَاسْتَحَبُّوا الْعَمَى عَلَى الْهُدَى]^(٢) . [وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ]^(٣) ^(٤)
 كلمة "الهُدَى":

يذكر القرآن الكريم الهداية المخصوصة لله تعالى ويعبر عنها باسم "الهدى" (معرف بالألف واللام)، قال تعالى: [قُلْ إِنْ هَدَى اللَّهُ هُوَ الْهُدَى وَأَمِرْنَا لِنُسَلِّمَ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ]^(٥) . [وَلَنْ تَرْضَى عَنْكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَى حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ قُلْ إِنْ هَدَى اللَّهُ هُوَ الْهُدَى]^(٦) .

فهذه الهداية هي الهداية الحقيقية والعالمية التي توجد في الكون من أول يوم وهذه الهداية كانت لجميع نوع الإنسان مثل هداية الحواس والعقل دون تمييز بين القوم والجنس، والزمان والمكان، وجميع طرق الهداية غير تلك الهداية التي اعتقدها الإنسان هي زائفة، وطريق الهداية الإلهية هو الوحي فقط.

والقرآن يرفض جميع طرق التي انحرفت عن الأصل وقسمت الناس إلى الفرق والديانات المختلفة الذين جعلوا السعادة والسجاة للفرق المخصوصة، ولكن هداية الوحي هداية عالمية لجميع الإنسانية التي عبر عنها القرآن باسم "الدين" (الإسلام)^(٧) .

(١) سورة الليل، الآيتان: ١٢-١٣.

(٢) سورة فصلت، الآية: ١٧.

(٣) سورة العنكبوت، الآية: ٦٩.

(٤) أم الكتاب لمولانا أراد ص-٢٥٠-٢٥٢.

(٥) سورة الأعمام، الآية: ٧١.

(٦) سورة البقرة، الآية: ١٢٠.

(٧) أم الكتاب لمولانا أراد ص-٢٥٢-٢٥٣.

المطلب الثاني: أصل وحدة الدين والقرآن الحكيم:

هذا الأصل العظيم أساس لدعوة القرآن، فجميع أخبار القرآن الكريم مبنية على هذا الأصل، لكن رغم تركيز القرآن الكريم على هذا الأصل أعرض عنه الناس وليس أخفى شيء عن أعين الناس قدر هذا الأصل، ولكن الشخص مع خلو ذهن لما يطالع القرآن وينظر الإعلانات القطعية والواضحة حول هذا الأصل ثم ينظر إلى الديانات الأخرى في الدنيا الذين يعتقدون عن القرآن بأنه (القرآن) فرقة مذهبية مثل الفرق الأخرى سيفهم أن أهل الدنيا يخدعونه أم أهل الدنيا يحكمون بدون التحقيق، وقبل بيان هذا الأصل لابد أن نوضح دعوة القرآن حول الوحي والنبوة.

في البداية كان الناس يعيشون حياة طبيعية ليس بينهم النزاع والمخاصمة فحياتهم كانت مستوية وكانوا مقتنعين بهذه الوحدة ثم وجدت فيهم خلافات بسبب كثرة الحوائج والضرورات المعيشية واختاروا التفرق والظلم والفساد، وكان البعض يكرهون البعض على الحور والفساد، وقد انتهكت حقوق المظلومين بأيدي الظالمين، ففي هذه الحالة ظهر نور الوحي لهداية نوع الإنسان ولقيام العدل والصدق والمساواة، وشرعت دعوة الأنبياء والرسل، والقرآن يعبر عن هذه قيادة الهداية باسم الرسل لأنهم يلعبون رسالة صدق الإله، قال الله عز وجل: [وَمَا كَانَ النَّاسُ إِلَّا أُمَّةً وَاحِدَةً فَاخْتَلَفُوا وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ لَفُضِّي بَيْنَهُمْ فِيمَا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ] ^(١). [كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنْزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيُخَكِّمَ بَيْنَ النَّاسِ فِيمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ] ^(٢).

وهذه الهداية ليست مخصوصة بأي قوم أو عهد بل هي لجميع النوع الإنساني ولذا فظهرت هذه السلسلة في جميع العهود، ولا توجد قطعة من الأرض يعيش فيه الناس إلا بعث الله فيهم رسولا، قال الله

(١) سورة يونس، الآية: ١٩.

(٢) سورة البقرة، الآية: ٢١٣.

تعالى: [وَأِنْ مِنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ]^(١). [إِنَّمَا أَنْتَ مُنذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ]^(٢)، [وَلِكُلِّ أُمَّةٍ رَسُولٌ فَإِذَا جَاءَ رَسُولُهُمْ قُضِيَ بَيْنَهُمْ بِالْقِسْطِ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ]^(٣).

هكذا في عهود القديمة للنوع الإنساني بعثت أنبياء كثيرون على التوالي الذين بلغوا قومهم رسالة الحق، قال الله عز وجل: [وَكَمْ أَرْسَلْنَا مِنْ نَبِيٍّ فِي الْأَوَّلِينَ]^(٤).

عدل الإلهية وبعثة الرسل:

وليس من عدل الإله أن يجعل القوم مسؤولاً لأعمالهم السيئة ولم يبعث فيهم رسولا، لذا قال الله تعالى: [وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولًا]^(٥). [وَمَا كَانَ رَبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرَى حَتَّى يَبْعَثَ فِي أُمَمَةٍ رَسُولًا يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا، وَمَا كُنَّا مُهْلِكِي الْقُرَى إِلَّا وَأَهْلُهَا ظَالِمُونَ]^(٦).

وذكر بعض تلك الرسل ودعاة الدين الإلهي في القرآن وبعضهم لم يذكر، قال تعالى [وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِنْ قَبْلِكَ مِنْهُمْ مَنْ قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُمْ مَنْ لَمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ]^(٧).

وقد مرت أقوام كثيرة من لدن قوم نوح وعاد وثمود وبعثت فيهم كثيرا من الرسل الذي لا يعلمهم إلا الله، قال عز وجل: [أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَأُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَالَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ لَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا اللَّهُ جَاءَهُمْ رَسُولُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَرَدُّوا أَيْدِيَهُمْ فِي أَفْوَاهِهِمْ]^(٨). ^(٩)

(١) سورة فاطر، الآية: ٢٤.

(٢) سورة الرعد، الآية: ٧.

(٣) سورة يونس، الآية: ٤٧.

(٤) سورة الرحمن، الآية: ٦.

(٥) سورة الإسراء، الآية: ١٥.

(٦) سورة القصص، الآية: ٥٩.

(٧) سورة غافر، الآية: ٧٨.

(٨) سورة ابراهيم، الآية: ٩.

(٩) أم الكتاب لمولانا أراد ص - ٢٥٤-٢٥٦.

الهداية تكون واحدة دائما وهي دعوة الإيمان والعمل الصالح:

إن القانون الإلهي واحد في جميع أنحاء العالم والهداية أيضا واحدة، ومن أول يوم يخاطب به جميع الناس، لذا يقول القرآن الكريم بأن جميع الأنبياء والرسل الذين بعثوا في أي زمان أو مكان كلهم على طريقة واحدة وهي دعوة قانون السعادة، وقانون السعادة هو الإيمان والعمل الصالح أما غيرهما فهو ليس من تعليم دين الحق، قال الله تعالى: [وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ] (١)، [وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ] (٢).

وتعليم جميع الأنبياء هو التوحيد والجمع على دين الواحد، والاجتناب عن التفرق والاختلاف، وقالوا بأن الدين الإلهي هو لجميع الناس فاتفقوا في عبادة الرب العالمين واحتراروا المحبة والتراحم بينكم بدل المخاصمة والافتراق، قال عروجي: [إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ] (٣)، (٤).

جعلكم الله أمة واحدة ولكن افترقتم كثيرا بسبب الأوطان والأقوام واللسان، وبسبب الألوان واللغات تنفرون وتكرهون بعضكم بعضا، كذلك يوجد الاختلاف بين الغني والفقير، الحادم والمحدوم، الضعيف والقوي، الأدنى والأعلى وغيرها، في هذه الحالة السيئة ليس هناك شيء يجمعكم ويوحدكم إلا توحيد الإلهي والعبودية لرب العلمين، فإذا عبدتم إلها واحدا وربا واحدا ستسبون الفروق الفردية مثل الجنس والوطن وتصبحون إخوة وعباداً لرب العالمين، وهذه هي دعوة جميع الأنبياء والمرسلين ألا وهو

(١) سورة الحل، الآية: ٣٦.

(٢) سورة الأنبياء، الآية: ٢٥.

(٣) سورة الأنبياء، الآية: ٩٢.

(٤) يقول الدكتور وهبة الرحيلي تحت تفسير هذه الآية [وَإِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاتَّقُونِ] أي وإن دينكم يا معشر الأنبياء دين واحد، وملة واحدة، وهو الدعوة إلى عبادة الله وحده لا شريك له. وهذا يدل على أن الأديان متحدة في أصولها المتعلقة بتوحيد الله ومعرفته. أما اختلاف العروج من شرائع وأحكام بحسب اختلاف الأزمان والأحوال: فلا بأس به ولا يسمى اختلافا في الدين. أنظر: التفسير المير في العقيدة والتريعة والمهجع، للدكتور وهبة بن مصطفى الرحيلي. ط: دار الفكر

المعاصر - دمشق ١٤١٨ هـ. ج-١١٨ ص-٥٨.

هكذا يقول ابن كثير تحت هذه الآية [وإن هذه أمتكم أمة واحدة] أي دينكم يا معشر الأنبياء دين واحد، وملة واحدة. وهو الدعوة إلى عبادة الله وحده لا شريك له، وهذا قال [وأنا ربكم فاتقون]. مختصر تفسير ابن كثير (اختصار وتحقيق) لمحمد علي الصابوني. ط: دار القرآن الكريم، بيروت - لبنان. ج-١٢ ص-٥٦٠.

التمسك بدين الله وقبول دعوة الأنبياء والمرسلين والوحدة بين الأمة والاحتساب عن التفرق والاختلاف، قال الله عز وجل: [شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ] ^(١).

ولا يوجد أي دليل من الكتب السماوية يخالف صدق القرآن وكان أساس جميع الأديان السماوية الوحدة، عدم الفرقة والعبادة لمعبود واحد وهو الله تعالى، قال عز وجل: {وما أرسلنا من رسول إلا نوحى إليه} وقال الله تعالى: [قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ هَذَا ذِكْرٌ مِّنْ مَّعِيَ وَذِكْرٌ مِّنْ قَبْلِي بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ الْحَقَّ فَهُمْ مُّعْرِضُونَ (٢٤) وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ] ^(٢).

والقرآن الكريم يتحدى جمع الناس ويطالبهم بأن يأتوا بالدليل على شركهم واختلافهم وليس هناك دليل، قال الله عز وجل: [اِنتُونِي بِكِتَابٍ مِنْ قَبْلِ هَذَا أَوْ أَثَارَةٍ مِنْ عِلْمٍ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ] ^(٣).

تصديق كتب المقدسة بعضها لبعض واستدلال القرآن به:

هكذا القرآن يذكر الدليل بأن جميع دعوات الديانات الحقّة يصدق بعضها بعضاً ولا يكذبها فإذا كلها يصدق بعضها لبعض فعلم أنها الحقيقة الثابتة والقائمة حيث أن جميع دعوات التي مضت في نواح العالم والأقوام المختلفة وبلغات وطرق مختلفة يركز على مقصد واحد بأن هذا الكلام حق ثابت، وأن الكتب يصدق بعضها بعضاً، وهذه هي الحقيقة الثابتة، قال الله عز وجل: [نَزَّلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنزَلَ التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ (٣) مِنْ قَبْلُ هُدًى لِلنَّاسِ] ^(٤). [وَأَتَيْنَاهُ الْإِنْجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ وَمُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَةِ] ^(٥).

(١) سورة الشورى، الآية: ١٣.

(٢) سورة الأنبياء، الآيات: ٢٤-٢٥.

(٣) سورة الأحقاف، الآية: ٤.

(٤) سورة آل عمران، الآيات: ٣-٤.

(٥) سورة المائدة، الآية: ٤٦.

لذا نجد في القرآن الكريم مواضع كثيرة ذكر فيها الكتب السماوية والأنبياء السابقين، وهذا دليل على صدق الكتب السماوية السابقة والأنبياء السابقين^(١)،^(٢).

(١) الفرق بين وحدة الدين ووحدة الأديان: إن من الضروري أن نفرق بين وحدة الدين ووحدة الأديان، إذ وحدة الأديان دعوة للتلفيق بين الأديان المحرفة بما أضافه إليها البشر، فهو يهدف لصهر الحق في الساطل للوصول إلى صيغة مشتركة تجمع بينهما. وأما وحدة الدين فهي حقيقة لا مناص منها، إذ الدين الذي أرسل الله به جميع رسله دين واحد، هو الاستسلام لله وتوحيده حل وعلا. فهذه لباب دعوة الأسياء ومحورها، وعليه يستطيع القول بأن الإسلام والاستسلام لله هو دين الله الوحيد: ﴿ومن يتبع غير الإسلام ديناً فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين﴾ (آل عمران: ٨٥). والتوحيد بداء الأسياء، سيأ تلو بي، إلى أفوامهم، فهو الأصل العظيم الذي نادى به نوح ودعا إليه هود وصالح وشعيب من بعده: ﴿يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غير﴾ (المؤمنون: ٢٣)، (هود: ٥٠، ٦٠)، (الأعراف: ٨٥). وفي مقابلة حذر الأسياء أفوامهم من الشرك ﴿ولقد أوحى إليك وإلى الدين من قبلك لئن أشركت ليحبط عملك ولتكوس من الخاسرين - بل الله فاعبد وكن من الشاكرين﴾ (المرم: ٦٥ - ٦٦).

فهذا الدين العظيم حقيقته التوحيد والاستسلام لله تعالى، لذا أطبق الأسياء على تسميته بالإسلام، فأبو الأسياء نوح يقول لقومه: ﴿وأمرت أن أكون من المسلمين﴾ (يونس: ٧٢). وقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: ﴿أنا أولى الناس بعيسى ابن مريم في الدنيا والآخرة. والأسياء إحوه لعلات، أمهاتهم شتى، ودينهم واحد﴾ (رواه البخاري برقم - ٣٤٤٣)، قال ابن حجر: "ومعنى الحديث أن أصل دينهم واحد، وهو التوحيد، وإن احتلعت فروع الشرائع". (فتح الباري - ٦ / ٥٦٤). فالدين عند الله واحد، اسمه الإسلام، وحقيقته الاستسلام لله بتوحيده وطاعته حل وعلا، وهذا فقط ما يحى الشريعة عند ناريها: ﴿ومن يتبع غير الإسلام ديناً فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين﴾ (آل عمران: ٨٥). فهذا الاسم اختاره الله بدينه وأوليائه. ﴿هو سناكم المسلمين من قبل﴾ (الحج: ٧٨). أنظر: الحوار مع أتباع الأديان - مشروعيته وآداه - لمقدس محمد السقار. ط: رابطة العالم الإسلامي. ج-١١ ص-٤٣.

(٢) أم الكتاب لمولانا آزاد ص-٢٥٧-٢٦١.

المطلب الثالث: الفرق بين الدين والشرع، وسبب اختلاف الناس في الأديان.

الفرق بين الدين والشرع في ضوء القرآن الكريم:

كما ذكرنا سابقاً أن الدين لجميع الإنسانية واحد ودعوة جميع الرسل واحدة إذاً فلماذا يوجد الاختلاف في المذاهب وأحكامها وأعمالهمها ورسومها، وأشكال عبادتها حيث بعض المسلمين يوجهون في الصلاة إلى بيت الله وبعضهم يوجهون إلى بيت المقدس فلكل جيل منهم توجد قوانين خاصة وأحكام مختلفة ؟ والجواب: أن الاختلاف وقع في الشرائع وليس في الدين وكان ضرورياً.

الاختلاف في الدين على قسمين، الأول: أن ينحرفوا أتباع المذاهب عن التعليم الحقيقي للدين الحق، فهذا ليس باختلاف بل الضلالة لأتباع المذهب، والثاني: الاختلاف في الأحكام والأعمال في المذهب الواحد، مثل اختيار هيئة خاصة في العبادة وغير ذلك، وهذا الاختلاف شكلي ليس حقيقياً، وهو اختلاف في الفرع دون الأصول.

تعليم الديانات مركب من شيئين، الأول: روح الدين وحقيقته. والثاني: الفروع، فالأول يعبر عنه بـ "الدين" والثاني يعبر عنه بـ "الشرع"، أو "النسك" وأحياناً يذكر له اسم "المنهاج"، فمعنى الشرع والمنهاج هو الطريق والمقصود من "النسك" طريقة العبادة. ثم في اصطلاح أستعمل "الشرع" لقانون المذهب و"النسك" اختص للعبادة فاختلاف الديانات يكون في الشرائع والمنهاج ليس في الدين وهذا اختلاف في الفروع دون الأصول^(١).

وهذا الاختلاف ضروري، لأن المقصود من الدين إصلاح الناس وسعادة البشرية وجميع البشرية ليست سواء بل أحوالهم يختلف باختلاف البلاد والعهود، ولكل بيئة خصوصياتها وأحوالها، وكلما جاءت ديانة جديدة ظهر حسب طائع الناس والبيئة، فاختار الشرع والمنهاج حسب تلك البلد، وهذه الخلافات

(١) قال شيخ الإسلام: فدين الأشياء واحد، وهوديين الإسلام. كلهم مسلمون مؤمنون، كما قد بين الله في غير موضع من القرآن، لكن بعض الشرائع تنوع. أنظر: مجموع الفتاوى، لتقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحرابي (المتوفى: ٧٢٨هـ) ط: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة النبوية، المملكة العربية السعودية ١٤١٦هـ. ج- ٣٥/ص- ٣٦٤.

ليست كخلافات الطبيعة والبشرية الأخرى^(١)، قال الله تعالى: [لِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنْسَكًا هُمْ نَاسِكُوهُ فَلَا يُنَازِعُكَ فِي الْأَمْرِ وَاذْعُ إِلَى رَبِّكَ إِنَّكَ لَعَلَىٰ هُدًى مُّسْتَقِيمٍ]^(٢).

مسألة تحويل القبلة وإعلان القرآن عن هذه الحقيقة:

حينما جاء حكم تحويل القبلة بدأ النبي صلى الله عليه وسلم يصلي إلى بيت الله بدل بيت المقدس وكان هذا أصعب على اليهود والنصارى، لأن أساس الديانة عندهم على الفروع والظواهر ويعتقدونها معيارا للحق والباطل، ولكن القرآن نظر إليها من جانب آخر، وقال هذه الأشياء ليست بمعيار للحق والباطل وليس لها أي صلة بأصل الديانة وحقيقتها، بل هذه الطريقة التي اختارها الديانة للعبادة فقط والمقصود الأصلي سواء للجميع هي العبودية والعمل الصالح، فكل من يريد الصدق فليترك على أصل المقصود وليجعل معيار للحق والباطل، ولا يهتم بهذه الفروع فلا يعتقدها معياراً، قال الله تعالى: [وَلِكُلِّ وَجْهَةٌ مَّا مَوْلَاهَا فَأَسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ أَيْنَ مَا تَكُونُوا يَأْتِ بِكُمُ اللَّهُ جَمِيعاً إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ]^(٣).

الأصول الاعتقادية والعملية في القرآن:

القرآن الكريم يذكر بكل وضوح الأشياء التي يحصل بها الإنسان الفلاح والسعادة في الدين، ويقول بأن الدين ليس أن يصلي الرجل إلى المشرق أو المغرب فحسب بل معيار الدين هي العبودية والعمل الصالح، كما قال الله تعالى: [لَيْسَ الْبِرُّ أَنْ تُولُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ]^(٤).^(٥)

(١) أم الكتاب مولانا آزاد ص ٦٢-٦٣.

(٢) سورة الحج، الآية: ٦٧.

(٣) سورة البقرة، الآية: ١٤٨.

(٤) سورة البقرة، الآية: ١٧٧.

(٥) هذه الآية موجودة في القرآن منذ ثلاثة عشر مائة سنة، ولكن رعم هذا لا يعرفون أهل الدنيا مقصد دعوة القرآن فأي

شيء بعد ذلك الذي يفهمه أهل الدنيا؟! أم الكتاب مولانا آزاد ص - ٢٦٥.

الحكمة الإلهية تقتضي لظهور اختلاف الشرائع:

نجد في سورة المائدة ذكر دعوات المختلفة بترتيب خاص، وتبدأ بذكر سيدنا موسى -عليه السلام- والتوراة [إِنَّا أَنْزَلْنَا التَّوْرَةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ^(١)]، ثم يذكر عن سيدنا مسيح -عليه السلام- [وَقَفَّيْنَا عَلَى آثَارِهِم بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ^(٢)]، وبعد المسيح -عليه السلام- ذكر عن سيدنا محمد الرسول الله -صلى الله عليه وسلم- [وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ^(٣)].

ثم بعد ذكر هذه الدعوات المختلفة يخاطب نوعين من الناس كما في الآية: [لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِنْ لِيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ^(٤)].

أتباع المذاهب نسوا وحدة الدين وجعلوا اختلاف الشرائع محل النزاع:

كما ذكرنا قبل ذلك أن الشيء الأساسي هو الدين الذي هي مجموعة من الإيمان والعمل الصالح، لا الفروع والظواهر لكن أتباع الديانات جعلوا هذه الفروع أصل الدين وكانوا يختلفون بسبب هذا مع أهل الديانات الأخرى، لكن القرآن يقول بأن الدين الحقيقي ليس في هذه الأشياء بل هو أعلى من هذا، وهو العمل الصالح فعليكم أن تركزوا عليه، وأن الأعمال والرسوم التي تجعلونها محل نزاع هي ذرائع للعمل الصالح ليس مقصوده بالذات، كما قال الله تعالى: [لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا^(٥)].

أي لكل قوم وجماعة جعلنا طريقة مخصوصة للعبادة ولم يقل "لكل جعلنا منكم ديناً"، لأن الدين هو الواحد للجميع لا يمكن فيه التنوع والتعدد أما الشرع والمهاج فلا يمكن أن يكون سواء للجميع، لأنه لا بد لكل بلد ورمز ومنهج خاص حسب أحواله وظروفه، فاختلاف الشرع ليس اختلاف الأصل بل هو الاختلاف في الفرع فقط، وكما أن جميع الناس ليسوا سواء في الطوائع والعادات فكيف يمكن أن يكونوا

(١) سورة المائدة، الآية: ٤٤ .

(٢) سورة المائدة، الآية: ٢٦ .

(٣) سورة المائدة، الآية: ٤٨ .

(٤) سورة المائدة، الآية: ٤٨ .

(٥) سورة المائدة، الآية: ٤٨ .

سواء في الأحكام والأعمال، فإذا كانوا لا يتعجبون من اختلافات العادات والطبائع فلماذا يتعجبون من اختلاف الأحكام.

وهذا التوسع ليس في الشريعة فقط بل في الأمور المختلفة أعني الفكر والعمل أيضا، وقد خاطب الله النبي - صلى الله عليه وسلم - في القرآن بأنك تريد أن تهدي جميع الناس إلى طريق الحق ولكن يجب أن لاتنسى أن اختلاف الفكر والعمل من خاصية طبيعة الإنسان، قال الله تعالى: [وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَأَمَنَّ مَنْ فِي الْأَرْضِ كُلَّهُمْ جَمِيعًا أَفَأَنْتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّى يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ] ^(١).

وهذا من خاصية طبيعة الإنسان بأن كل جماعة تعتقد أن طريقها حق كما تعتقد أنك على الحق فعليكم بالتسامح والتحمل في هذا الباب ^(٢)، كما قال الله تعالى: [وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ كَذَلِكَ زَيْنًا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلُهُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ مَرْجِعُهُمْ فَيُنَبِّئُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ] ^(٣).

(١) سورة يونس، الآية: ٩٩ .

(٢) أم الكتاب لمولانا آزاد ص-٦٣-٦٨ .

(٣) سورة الأنعام، الآية: ١٠٨ .

المبحث الثاني : التحزب والتفرق بين أهل الكتاب، وأساس
السعادة في القرآن الكريم. ويشتمل على مطلبين :

المطلب الأول : حقيقة التشيع والتحزب في اليهود، والرد
عليهم.

المطلب الثاني : معاملات اليهود مع غير اليهود، وقانون
السعادة في القرآن الكريم.

المطلب الأول: حقيقة التشيع والتحزب في اليهود والرد عليهم:

كما ذكرنا قبل ذلك أن أساس جميع الديانات السابقة على الحق ولكن أتباع الديانات انخرفوا عن الحق، وقد نزل القرآن الكريم كي يبين للناس الحق الذي نسوه، وذكر القرآن عن ضلالات التي كانت من أتباع الديانات، ومن جملة تلك الضلالات التشيع والتحزب. وقد رد عليه القرآن كما في قوله تعالى: [إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيعًا لَسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ إِنَّمَا أَمْرُهُمْ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ] ^(١)، ^(٢) [فَتَقَطَّعُوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ زُبُرًا كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ] ^(٣).

حقيقة التشيع والتحزب:

إن مقصود الدين الإلهي هو فتح طريق العبودية والعمل الصالح للإنسان، لكن الناس تركوا هذا المقصود ونسوه، وجعلوا الدين مجرد قصة الأقوام والبلاد والرسوم، وطريق النجاة والسعادة عندهم ليس مبنيًا على الاعتقاد والعمل، بل هم يعتمدون في هذا السبيل على الفرق والجماعات، فأهل كل فرقة يظنون أنهم على الحق، وأصبح طريق التعبد والديانة طريق البغض والعداوة والتفرق والقتل وغير ذلك ^(٤).

الأمر المهمة في دعوة القرآن ثلاثة :

وهذه المناسبة فإن القرآن الكريم يركز على ثلاثة أمور مهمة:

١- النجاة والسعادة للإنسان مبنيتان على الاعتقاد والعمل، وليس على التشيع والتحزب.

(١) (سورة الأنعام، الآية: ١٥٩ .

(٢) قوله عز وجل: [إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيعًا] فيهم أربعة أقاويل: أحدها: أنهم اليهود خاصة قاله محاهد. والثاني: اليهود والصاري قاله قتادة. والثالث: أنهم جميع المشتركين قاله الحسن. والرابع: أهل الضلالة من هذه الأمة قاله أبو هريرة. وفي تفريقهم الذي فرقوه قولان: أحدهما: أنه الدين الذي أمر الله به، فرقوه لاختلافهم فيه باتباع التبهات. والثاني: أنه الكفر الذي كانوا يعتقده دينا لهم. ومعنى قوله: [وَكَانُوا شِيعًا] يعني فرقا. ويحتمل وحها آخر: أن يكون الشيعة المتفقين على متابعة بعضهم لبعض وهو الأشبه، لأنهم يمالأون على أمر واحد مع اختلافهم في غيره. أنظر: تفسير الماوردي = الكت والعيون، لأبو الحسن على بن محمد البصري البغدادي. الشهير بالماوردي (المتوفى: ٤٥٠هـ). ط: دار الكتب العلمية - بيروت / لبنان.

(٣) سورة المؤمنون، الآية: ٥٣ .

(٤) أم الكتاب لمولانا آزاد ص-٦٩-٧٠ .

٢- الدين الإلهي واحد لجميع الإنسانية، أما أتباع الديانات فرقوا الدين وجعلوه في الأحزاب والفرق وهذه ضلالة صريحة .

٣- إن الدين الحقيقي هو التوحيد، وجميع الأنبياء بعثوا بهذا التعليم، أما العقائد والأعمال التي تخالف التوحيد انحراف عن الأصل .

التحزب في اليهود والنصارى والرد عليه:

هناك أكثر من آية قرآنية التي تركز على هذه الحقيقة، قال الله تعالى: [وَقَالُوا لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ كَانَ هُودًا أَوْ نَصَارَى تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ (١١١) بَلَى مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُ أَجْرُهُ عِنْدَ رَبِّهِ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ] ^(١) .

وفي مقام آخر وضحت هذه الحقيقة بمزيد من الوضوح: [إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالنَّصَارَى وَالصَّابِئِينَ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ] ^(٢) .

فالمقصود من الدين هو التوحيد والعمل الصالح ليس اسم فرقة أو جماعة خاصة، فكل إنسان إذا آمن وعمل صالحاً فهو مؤمن سواء كان من أي فرقة أو قوم أو بلد. لكن اليهود جعلوا فرقة باسم اليهود، والنصارى جعلوا جماعة المسيحية، وكل منهما يعتقد بأنها على الحق فمن خرج من فرقته فهو على الباطل سواء يعمل صالحاً أو لا، فمعيار الهداية عندهم الدخول في اليهودية والنصرانية ليس بالإيمان والعمل الصالح، لذا القرآن يذكر اعتقادهم بأنهم يقولون: [كُونُوا هُودًا أَوْ نَصَارَى تَهْتَدُوا] ^(٣) . أي طريق الهداية اليهودية

(١) سورة البقرة، الآيات: ١١١-١١٢ .

(٢) سورة البقرة، الآية: ٦٢ .

(٣) سورة البقرة، الآية: ١٣٥ .

والنصرانية لا الإيمان والعمل الصالح^(١)، قال الله عز وجل: [بَلَى مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُ أَجْرُهُ عِنْدَ رَبِّهِ]^(٢).

ثم يعلن القرآن بمزيد من الوضوح، قال عروج: [وَقَالَتِ الْيَهُودُ لَيْسَتِ النَّصَارَى عَلَى شَيْءٍ وَقَالَتِ النَّصَارَى لَيْسَتِ الْيَهُودُ عَلَى شَيْءٍ وَهُمْ يَتْلُونَ الْكِتَابَ كَذَلِكَ قَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ مِثْلَ قَوْلِهِمْ فَاللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ]^(٣). فالدين الإلهي واحد وكتاب الهداية مصدره واحد ولكن رغم ذلك كل جماعة تعتقد بأنها على الحق وغيرهم على الباطل.

أتباع الديانات نسوا الحقيقة التي كانت عندهم:

كان الناس جميعاً على الحق وكانت الهداية واحدة للجميع ولكنهم فرقوا واختلّفوا وصاروا فرقا وجماعات شتى، وادعت كل جماعة بأنها على الحق وغيره على الباطل^(٤).

التفرق والاختلاف في المعابد:

قال الله تعالى في سورة البقرة: [وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ مَنَعَ مَسَاجِدَ اللَّهِ أَنْ يُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ وَسَعَى فِي خَرَابِهَا أُولَئِكَ مَا كَانَ لَهُمْ أَنْ يَدْخُلُوهَا إِلَّا خَائِفِينَ لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ]^(٥). بسبب التحزب والتفرق قسمت معابدهم وكان أهل كل ديانة لا يحترمون لمعبد ديانة أخرى، وهكذا أتباع ديانة واحدة كانوا لا يعبدون في معبد ديانة أخرى، كما قال الله تعالى حكاية عنهم: [وَلَا

(١) دعا كل من اليهود والنصارى المسلمين إلى الدخول في دينهم: راعين أنهم هم المهتدون والهداية خاصة بما كانوا عليه وغيرهم صال. قل له مجيباً جواباً شافياً: {نَلْ} تنع {مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفاً} أي: مقلداً على الله، معرضاً عما سواه، قائماً بالتوحيد، تاركاً للشرك والتشديد. فهذا الذي في اتساعه الهداية، وفي الإعراض عن ملته الكفر والعواية. أنظر: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، لعبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي (المتوفى: ١٣٧٦هـ). ط: مؤسسة الرسالة سنة ١٤٢٠هـ. ح-١١ ص-٦٨.

(٢) سورة البقرة، الآية: ١١٢.

(٣) سورة البقرة، الآية: ١١٣.

(٤) أم الكتاب لمولانا آزاد ص-٧٠-٧٣.

(٥) سورة البقرة، الآية: ١١٤.

تُؤْمِنُوا إِلَّا لِمَنْ تَبِعَ دِينَكُمْ قُلْ إِنَّ الْهُدَى هُدَى اللَّهِ أَنْ يُؤْتَى أَحَدٌ مِثْلَ مَا أُوتِيتُمْ أَوْ يُحَاجُّوكُمْ عِنْدَ رَبِّكُمْ قُلْ إِنَّ الْفَضْلَ بِيَدِ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ^(١).

اليهود كانوا يعتقدون بأن الوحي والنبوة التي أعطيت لهم فهي لهم فقط، لذا كانوا يقولون لأهل مذهبهم بأن لا تقبلوا القول المخالف، لكن الله رد عليهم بقوله: [إِنَّ الْهُدَى هُدَى اللَّهِ]^(٢)، وهداية الله وفضله لا يكون للجماعة أو الشخص فقط بل يكون لجميع الناس فكل من يسلك طريق الحق فهو المهتد سواء كان يهوديا أو غير يهودي .

كذلك اليهود يعتقدون بأن جماعتهم هي فرقة ناجية، وحرّم نار جهنم عليهم فمن دخل في النار فلن تمسه النار إلا أياما معدودة ليظهر من الذنوب ثم يدخل الجنة، فرد الله عليهم وقال "هل اتخذتم عند الله عهدا؟ فهذا افتراء على الله، لأن القانون الإلهي سواء للجميع، من عمل سيئة فجزاءه سيئة ومن عمل حسنة فجزاءه حسنة سواء كان من اليهود أو غير اليهود. مثل السم إذا أكله الرجل فيهلك من أي ديانة كانت، هكذا الحليب إذا شربه شخص فيقوى به سواء كان مسلما أو كافرا، يهوديا أو غير اليهود. فكما في الماديات لا ينظر إلى هذه الفرق، كذلك في المعنويات، والمطلوب هي الايمان والعمل الصالح^(٣)، كما قال الله تعالى ردا لاعتقاد اليهود: [وَقَالُوا لَنْ تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَعْدُودَةً قُلْ أَتَّخَذْتُمْ عِنْدَ اللَّهِ عَهْدًا فَلَنْ يُغْلَفَ اللَّهُ عَنْهُ أَمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ (٨٠) بَلَى مَنْ كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَاطَتْ بِهِ خَطِيئَتُهُ فَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ (٨١) وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ]^(٤).

(١) سورة آل عمران، الآية: ٧٣ .

(٢) سورة آل عمران، الآية: ٧٣ .

(٣) أم الكتاب لمولانا آزاد ص-٧٤-٧٦ .

(٤) سورة البقرة، الآيات: ٨٠-٨١-٨٢ .

قانون النجاة والسعادة:

في سورة المائدة أعلل الله تعالى للجميع سواء كان يهوديا أو نصرانيا أو غير ذلك مخاطبهم جميعا بقوله: [لَيْسَ بِأَمَانِيكُمْ وَلَا أَمَانِي أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ وَلَا يَجِدْ لَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا]^(١).

(١) سورة النساء، الآية: ١٢٣ .

المطلب الثاني: معاملات اليهود مع غير اليهود وقانون السعادة في القرآن الكريم.

معاملات اليهود مع غير اليهود:

اليهود كانوا يعتقدون أن أحكام الديانة لليهود فقط وليست لبقية الأقسام فكانوا لا يجوزون يهودي أن يظلم يهوديا آخر في المعاملات ولكن يجوز لليهودي أن يفعل مع غير اليهود كيف شاء، وكانوا يقولون بأن المعاملة الربوية لا تجوز مع اليهود أما مع غير اليهود فهي جائزة^(١)، وكانوا يأكلون أموال الناس ظلما ويعتقدون أن هذا حلال لهم، فالقرآن رد على هذه العقيدة وحلها ضلالة كبيرة بالنسبة لليهود، قال الله عز وجل: [وَأَخْذِهِمُ الرِّبَا وَقَدْ نُهُوا عَنْهُ وَأَكْلِهِمْ أَمْوَالِ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ] ^(٢).

هكذا اليهود الذين كانوا يعيشون في بلاد العرب يعتقدون بأن الديانة في المعاملات غير ضرورية مع العرب (لأنهم وثنيون) ويقولون يجوز لنا أن نأكل أموالهم كيف نشاء، قال الله تعالى: [ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الْأُمِّيِّينَ سَبِيلٌ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ (٧٥) بَلَى مَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ وَاتَّقَى فَإِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ] ^(٣).

وهذه العقائد افتراء على الله لأن الدين الالهي دائما يأمرنا بالخير والإحسان مع الآخرين من أي ملة كان، لأن الحسنة حسنة في كل حال والخيانة خيانة دائما^(٤).

(١) إن الإسلام حرم الربا تحريماً قاطعاً، وقضى رب الإسلام على صاحب الربا بالمحق! ولما كان الإسلام هو دين الرسل أجمعين، كان الربا محرماً في شريعة موسى وعيسى، حتى إنه ورد في بعض الأنجيل عن عيسى أن المرابي إذا مات لا يستحق التكفين، ولكن رغم ذلك النصارى كانوا عاملون بالربا. وأما اليهود، فهم أمة الإفاك والبهتان، والإثم والعدوان، وأكل السحت، فقد شجع بعضهم بعضاً على أكل الربا بافترائهم على الله، حيث رعموا أن تحريم الربا على اليهود من اليهودي فقط، وأنه ليس عليهم حرج في (الخوبيم)؛ يعني: غير اليهود، ومن عقائدهم أنهم يقولون: لا يجوز لليهودي أن يتفق على غير اليهودي ولا أن يرحمه ولا يعينه بل إذا وحده واقعاً في حفرة سدها عليه، ويحرم على اليهودي أن يرد لغير اليهود ما فقد منهم، ويحرم على اليهودي أن يقرض غير اليهودي إلا بالربا، والربا بغير اليهودي دكوراً أو إباناً حائراً ولا عقاب عليه، وعلى اليهودي أن يسعى إلى قتل الصالحين من غير اليهود، ورعموا أن الله أمرهم بذلك، وقد أحرما الله عنهم في القرآن: [لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الْأُمِّيِّينَ سَبِيلٌ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ] [آل عمران: ٧٥]. أنظر: دراسات في الأديان اليهودية والنصرانية، لـ سعود بن عبد العزيز الحلف. ط: مكه أسواء السلف، الرياض، المملكة العربية السعودية. ١٣٨١.

(٢) سورة النساء، الآية: ١٦١

(٣) سورة آل عمران، الآية: ٧٥-٧٦.

(٤) أم الكتاب لمولانا آزاد ص- ٧٦-٧٨.

الاستشهاد بشخصية سيدنا إبراهيم عليه السلام:

كانت توجد في بلاد العرب ثلاث ديانات كبيرة ١-اليهود، ٢-المصارى ٣-المشركون، وهؤلاء الثلاثة كانوا يعظمون شخصية سيدنا إبراهيم عليه السلام ويحترمونها فالقرآن الكريم استشهاد بشخصية إبراهيم عليه السلام في نفي التحزب والتشيع، وقال أنتم تعترفون بصدق إبراهيم -عليه السلام- لكن إبراهيم -عليه السلام- ما كان يهوديا ولا نصرانيا، لأن اليهود والنصارى ما كانوا في ذلك الوقت وكان عليه السلام على الحق، فنعلم أن طريق النجاة ليس كما تزعمون بل هو سواء للجميع، وهو الاقرار بوحدانية الله تعالى وعبادته والعمل الصالح، قال الله تعالى: [وَقَالُوا كُونُوا هُودًا أَوْ نَصَارَى تَهْتَدُوا قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ] ^(١).

وفي سورة آل عمران ذكر هذا الموضوع بمزيد من الوضوح: [يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَحَاجُّونَ فِي إِبْرَاهِيمَ وَمَا أُنزِلَتِ التَّوْرَةُ وَالْإِنْجِيلُ إِلَّا مِنْ بَعْدِهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ] ^(٢).

القرآن يسأل اليهود والمصارى بأن تاريخ جماعاتكم لا يتجاوز عن التوراة والإنجيل، لأن أساس جماعتكم مبني على التوراة والإنجيل فماذا تعتقدون بالناس الذين مصوا قبل التوراة والإنجيل هل هم على الهداية أم لا؟ هكذا ما طريقة أنبياء بني إسرائيل وبأي شيء وصى سيدنا إبراهيم عليه السلام أبناءه؟ وبماذا أمر يعقوب عليه السلام أولاده إذا كان قريب الموت؟.

والواضح أن اليهودية والنصرانية لم تكن ذلك الزمن، فعلم من هذا بأن الدين الحقيقي ليست اليهودية ولا النصرانية كما تزعمون بل طريق الهداية الاعتقاد والعمل الصالح لا التحزب والتعصب، قال الله تعالى مشيرا إلى هذه الحقيقة: [أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنْ بَعْدِي قَالُوا نَعْبُدُ إِلَهَكَ وَإِلَهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِلَهًا وَاحِدًا وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ] ^(٣).

(١) سورة البقرة، الآية: ١٣٥ .

(٢) سورة آل عمران، الآية: ٦٥ .

(٣) سورة البقرة، الآية: ١٣٣ .

الدين الحقيقي مبني على الوحدة والأخوة ليس على التفرقة، والرسل الذين بعثوا إلى الدنيا دعوة جميعهم إلى الاجتماع لا التحزب والتفرق وقالوا للناس: أنتم أمة واحدة ومعبودكم واحد وأن تعيشوا بالمحبة والإخاء لا التعصب، فالدعاة والأنبياء نصحهم لكن اتباع المذاهب لم يقبلوا النصيحة وانحرفوا فكانت النتيجة التحزب والإفراق.

وقد نقل القرآن الكريم نصائح وكلام الأنبياء الأولين وكلها مبنية على هذا الأصل، ففي سورة المؤمنون حكى عز وجل عن دعوة نوح -عليه السلام-: [وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ أَفَلَا تَتَّقُونَ] ^(١). والأنبياء الذين جاءوا بعد نوح -عليه السلام-، قال الله عز وجل: [ثُمَّ أَنْشَأْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ قَرْنًا آخَرِينَ (٣١) فَأَرْسَلْنَا فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ أَنْ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ أَفَلَا تَتَّقُونَ] ^(٢).

ثم ذكر سبحانه دعوة موسى -عليه السلام- فقال: [ثُمَّ أَرْسَلْنَا مُوسَى وَأَخَاهُ هَارُونَ، وبعد موسى -عليه السلام- ظهرت دعوة سيدنا مسيح -عليه السلام- فقال عز وجل: [وَجَعَلْنَا ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ آيَةً] ^(٣). وبعد جميع هذه الدعوات والمواظظ جاء صوت الحق، فقال: [يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُّوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ (٥١) وَإِنَّ هَذِهِ أُمَّةٌ وَاحِدَةٌ وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاتَّقُونِ (٥٢) فَتَقَطَّعُوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ زُبُرًا كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ] ^(٤).

جميع الأنبياء نصحوا وأمروا أممهم بأن يعبدوا الله وحده وأن يعملوا صالحاً، وقالوا لهم: أنتم أمة واحدة لا تفرقوا ولا يكره بعضكم بعضاً، لكن اتباع المذاهب سوا هذه الدعوة، فاختلما وتفرقوا وكونوا الفرق والجماعات، قال الله عز وجل: [فَتَقَطَّعُوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ زُبُرًا] ^(٥). أي جعلوا الفرق المختلفة [كُلَّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ] ^(٦) وكل جماعة يعتقد بأنها على الحق ^(٧).

(١) سورة المؤمنون، الآية: ٢٣.

(٢) سورة المؤمنون، الآية: ٣٢.

(٣) سورة المؤمنون، الآية: ٥٠.

(٤) سورة المؤمنون، الآيات: ٥١-٥٢-٥٣.

(٥) سورة المؤمنون، الآية: ٥٣.

(٦) سورة المؤمنون، الآية: ٥٣.

(٧) أم الكتاب لمولانا أراد ص- ٢٧٨-٢٨١.

دستور المعمودية:

التعميد هو الطقس الذي اختارته كنيسة النصارى يعبر عنه باصطباغ وفي الحقيقة هذا الطقس كان لليهود يفعلونه وقت توبة الناس من الذنوب ولكن ليس له أهمية عند اليهود. أما النصارى فجعلوا هذا الطقس أساسا للنجاة والسعادة، وكانوا يعتقدون بأنه لا يمكن مغفرة الشخص إلا بالتعميد باسم سيدنا مسيح - عليه السلام -^(١).

فالقرآن رد عليهم وقال إن الاصطباغ ليست عبادة الله تعالى كما تزعمون، بل أساس السعادة والنجاة هو إتباع دين الله، قال الله تعالى: [صِبْغَةَ اللَّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ صِبْغَةً وَنَحْنُ لَهُ عَابِدُونَ]^(٢)

قانون العمل:

يقول الله تعالى في سورة البقرة إن قانون دين الالهي مبني على العمل فكل عمل يوجد عند الله جزاءه والعلاقة بالقوم أو الشخص لا يفيدكم في النجاة وبعثة الأنبياء في جماعة أو قوم ليست علامة للسعادة بل الأعمال أساس للسعادة والنجاة^(٣) قال الله تعالى: [تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُمْ مَا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ]^(٤).

(١) المعمودية هي طقس مسيحي يمثل دخول الإنسان الحياة المسيحية. تتمثل المعمودية باعتسال المعمد بالماء بطريقة أو بأخرى، ويعتبر سر المعمودية أحد الأسرار السبعة المقدسة في الكنيسة الأرثوذكسية والكانتوليكية وأحد السريين المقدسين في الكنائس الروتستانتية، أطققت النصارى على اختلاف فرقهم على القول بالمعمودية وصفتها عندهم أن الذي يريد أن يدخل في دينهم أو التائب منه تتقدم الأفسه منه فيمعوه من اللحم والخمر أياما ثم يعلمونه إعتقادهم وإيمانهم فإذا تعلم ذلك اجتماع له القسيسون فتكلم بعقيدة إيمانهم أمامهم ثم يعطسونه في ماء يعمروه وقد احتلفوا هل يعطسونه مرة واحدة أو مرتين أو ثلاثا فإذا هو حرج من ذلك الماء دعى له الأسقف بالبركة ووضع يده على رأسه، هكذا كانت صفة معموديتهم قديما في الأندلس وأما اليوم فلعلمهم قد عبروا بعض أحكامها وربما احتلفوا في بعض تلك الأحوال وهي عندهم عبادة مؤكدة وقاعدة ممهدة ومن لم يقلها عندهم فهو كافر وليس له من دنوبه عاف. أنظر: الإعلام بما في دين النصارى من الفساد والأوهام وإظهار خناس الإسلام، لأبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي، ط: دار التراث العربى - القاهرة. ٤٠٣٨١.

(٢) سورة البقرة، الآية: ١٣٨.

(٣) أم الكتاب لمولانا آزاد ص-٢٨١.

(٤) سورة البقرة، الآية: ١٣٤.

المبحث الثالث: أسباب عداوة المنكرين للقرآن، ومفهوم الصراط المستقيم في ضوء القرآن الكريم. ويشتمل على مطلبين:
المطلب الأول: دعوة القرآن الكريم، وطرق معرفة الله تعالى.

المطلب الثاني: أسباب عداوة المنكرين للقرآن، ومفهوم الصراط المستقيم.

المطلب الأول: دعوة القرآن، الإيمان ببعض الرسل، وطرق معرفة الله تعالى:

نجد في القرآن الكريم بأنه أعلن عن هذه الحقيقة بكل صراحة، وذكر بأن الله تعالى لا يدعوكم إلى الفرق والديانات الجديدة بل يُريد أن يخلصكم عن الخلافات المذهبية وأن يجمعكم على طريق السعادة، وهذا ليس بأمر غريب بل هو دين الله من لدن نوح عليه السلام إلى سيدنا محمد -صلى الله عليه وسلم- ، كما قال الله عز وجل: [شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ] ^(١) .

في سورة النساء قال تعالى: [إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَوْحَيْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَعِيسَى وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَارُونَ وَسُلَيْمَانَ وَآتَيْنَا دَاوُودَ زَبُورًا (١٦٣) وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَاهُمْ عَلَيْكَ مِنْ قَبْلُ وَرُسُلًا لَمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ] ^(٢) .

في سورة الأنعام بعد ذكر الرسل السابقين أمر النبي -صلى الله عليه وسلم- بالاعتقاد بهم، قال عز وجل: [أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فِيمَ هَادَهُمْ اقْتَدِ] ^(٣) . فتصديق جميع الرسل والأمر باتباع دينهم أساس لدعوة القرآن الكريم.

الأساس الأول لدعوة القرآن تصديق جميع الأنبياء والرسل والاعتقاد بأنهم على الحق وكلهم أسياء الله تعالى، وكلهم يبلغون نفس رسالات الله إلى عباد الله ويوضحون للناس طرق السعادة والنجاح، قال الله تعالى: [قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَى وَعِيسَى وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ يَنْبَغٍ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ] ^(٤) .

(١) سورة النور، الآية: ١٣ .

(٢) سورة النساء، الآيات: ١٦٣-١٦٤ .

(٣) سورة الأنعام، الآية: ٩٠ .

(٤) سورة البقرة، الآية: ١٣٦ .

الإيمان ببعض الرسل:

القرآن الكريم أعلًى في هذه الآية بأن التفريق بين الرسل ضلال كبير، والمراد بالتفريق بين الرسل تصديق بعض الرسل وتكذيب بعضهم، فيقال مثلاً: بأن فلان صادق وفلان غير صادق، فالتصديق بالواحد والتكذيب بالباقيين أو تصديق الجميع وتكذيب الواحد على كل حال هذه ضلال مبين، لأن من لوازم الإيمان الإيمان بجميع الأنبياء والمرسلين وكتبهم.

قال الله تعالى: [أَمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ]^(١)

فالإله واحد وجميع الأنبياء بعثوا لحقيقة واحدة (التوحيد والعمل الصالح) الذين يلعون رسالات الله إلى الناس كافة فكيف تؤمنون ببعض الرسل وتكفرون ببعضهم، وكيف تؤمنون ببعض الحقيقة وتكذبون ببعضها وهذا أقبح الإنكار والتكذيب.

نعم الله تعالى دليل إلى معرفته:

نعم الله كثيرة وشاملة، والناس منقسمون في الكون باعتبارات مختلفة مثل القوم والنسل والجغرافية وغيرها لكن الله تعالى ليس له قوم ولا وطن ولا جغرافية، وليس متعلق بأي جماعة ولا مذهب بل نعمه لجميع الناس في العالم، فنعم الله تشمل الكل مثل الشمس إذا طلعت يستفيد من ضياءها الإنسان والحيوان، المؤمن والكافر على حد سواء، فعلياً جميعاً أن تؤمن به وأن تعبده، ونعم الله دليل وعلامة لمعرفته^(٢).

طريق الإيمان والإنكار:

هناك طريقتان فقط أحدها: طريق الإيمان، والثاني: طريق الإنكار، فالمراد بطريق الإيمان تصديق جميع الرسل والديانات الحقّة، والمراد بطريق الإنكار تكذيب بعض الرسل أو جميع الرسل والأديان. فالقرآن الكريم يعبر عن طريق الإنكار بـ "تفريق بين الرسل" وعن طريق الإيمان بـ "تصديق جميع الرسل" وحكم الإنكار عن البعض كالإنكار بالجميع. وليس هناك طريق ثالث سوى الإيمان والإنكار، قال الله

(١) سورة البقرة، الآية: ٢٨٥.

(٢) أم الكتاب لمولانا آزاد ص-٢٨٢-٢٨٥.

تعالى: [إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيُرِيدُونَ أَنْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ اللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَنْ يَتَّخِذُوا بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا (١٥٠) أُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ حَقًّا وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُهِينًا (١٥١) وَالَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَلَمْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ أُولَئِكَ سَوْفَ يُؤْتِيهِمْ أَجُورُهُمْ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا] (١).

وفي سورة البقرة قال الله عز وجل: [وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ (٤) أُولَئِكَ عَلَى هُدًى مِنْ رَبِّهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ] (٢).

إذا كان إله الجميع واحد وكلهم يحزون بأعمالهم فلماذا المحاربة باسم الدين؟ إذا أنتم تعتقدون أن خالق جميع الكون واحد هو رب لجميع المخلوقات فلماذا تنكرون قانونه ودينه الذي جعله للناس أجمعين، وإذا كان قصدكم طلب الحق وابتغاء مرضاته، وجميع الرسل يرشدونكم إلى طريق واحد، وعرض جميعكم واحد فلماذا تفترون؟ وكل طائفة عدوة لطائفة أخرى ويقتل بعضهم بعضا باسم الدين الذي والأخوة، هذا التفريق والاختلاف يدل على موت الحس والعقل، قال الله تعالى: [قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ هَلْ تَنْقِمُونَ مِنَّا إِلَّا أَنْ آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلُ وَأَنَّ أَكْثَرَكُمْ فَاسِقُونَ] (٣). [إِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ] (٤). [قُلْ أَتَحَاجُّونَنَا فِي اللَّهِ وَهُوَ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ وَلَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُخْلِصُونَ] (٥).

وينبغي أن نتذكر أن جميع المواطن في القرآن مثل هذه الآيات: [إِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ]، [إِلَهُنَا وَإِلَهُكُمْ وَاحِدٌ] (٦)، [قُلْ أَتَحَاجُّونَنَا فِي اللَّهِ وَهُوَ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ وَلَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ] وغيرها. فالمقصود منها التذكير بهذه الحقيقة بأنه إذا كان الإله واحد للجميع، ولكل إنسان جزاء أعماله فلماذا تحاربون وتقاتلون باسم الله ودينه، بينما القرآن يقول إني لا ادعوكم إلا إلى عبادة الله والعمل الصالح، إني

(١) سورة النساء، الآيات: ١٥٠-١٥١-١٥٢.

(٢) سورة البقرة، الآيات: ٤-٥.

(٣) سورة المائدة، الآية: ٥٩.

(٤) سورة آل عمران، الآية: ٥١.

(٥) سورة البقرة، الآية: ١٣٩.

(٦) سورة العنكبوت، الآية: ٤٦.

لا أكذب دين الحق ولا رسول بل أنا أصدق الجميع ، وتعليمهم هو قانوني ودستوري، فلماذا أعلنتم الحرب ضدي^(١).

مطالبة القرآن من أتباع الدين:

القرآن الكريم لا يطالب أتباع الديانات بأن يقبلوا ديناً جديداً بل يطالب منهم بأن يرجعوا إلى دينهم الحقيقي، ويقول لهم إذا رجعتم إلى دينكم الحقيقي سيوضح لكم الحق الذي أدعوكم إليه، لأن رسالتي ليست جديدة بل هي الدعوة والرسالة السابقة التي بلغكم الأنبياء والرسل السابقين، قال الله تعالى: [قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَسْتُ عَلَى شَيْءٍ حَتَّى تُفِيمُوا التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ طُغْيَانًا وَكُفْرًا فَلَا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ (٦٨) إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِئُونَ وَالنَّصَارَى مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ] (٢).

وهذا هو السبب في أن القرآن الكريم اعترف بالإيمان والعمل الصالح للناس الموجودين وقت نزول القرآن في الأديان الأخرى الذين لم يضيعوا حقيقة دينهم الحق، لكن هؤلاء الناس قليلون جداً، وأغلب الناس أضاعوا حقيقة الدين الإلهي عملاً واعتقاداً، قال الله تعالى: [لَيْسُوا سَوَاءً مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَانِئَةٌ يَتْلُونَ آيَاتِ اللَّهِ آنَاءَ اللَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ (١١٣) يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَأُولَئِكَ مِنَ الصَّالِحِينَ (١١٤) وَمَا يَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَلَنْ يُكْفَرُوهُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالْمُتَّقِينَ] (٣). [مِنْهُمْ أُمَّةٌ مُقْتَصِدَةٌ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ سَاءٌ مَا يَعْمَلُونَ] (٤).

(١) أم الكتاب لمولانا آزاد ص-٢٨٥-٢٨٧.

(٢) سورة المائدة، الآيات: ٦٨-٦٩.

(٣) سورة آل عمران، الآيات: ١١٣-١١٤-١١٥.

(٤) سورة المائدة، الآية: ٦٦.

القرآن الكريم أكد مرارا وتكرارا على التصديق بجميع الكتب السماوية وعدم تكذيبها، ويقول لأهل الكتاب تكراراً [وَأَمِنُوا بِمَا أُنزِلَتْ مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَكُمْ]^(١) أي إذا كان تعليمي ودعوتي غير مخالف لدعوة كتبكم المقدسة بل يؤيد لها، فلماذا تنازعوننا وتعلنون المحاربة ضدنا^(٢).

المعروف والمنكر في القرآن:

وهذا هو السبب بأننا نرى أن القرآن اختار كلمة المعروف للخير وكلمة المنكر للشر كما قال سبحانه وتعالى: [وَأُمُرٌ بِالْمَعْرُوفِ وَنَهْيٌ عَنِ الْمُنْكَرِ]^(٣). ومقصود القرآن منه بأنه مهما اختلفت الديانات والعقائد فهناك أمور مشتركة بين الجميع من حيث الخير والشر مثل الصدق خير بالاتفاق والكذب شر الاتفاق الحسن والسلوك مع الجيران والإحسان إليهم وخدمة الوالدين كلها أعمال الخير، والظلم والعدوان وسوء الخلق وغيرها كلها أعمال الشر فجميع الديانات والفرق رغم اختلافها متفقون على انكار هذه الأعمال المذكورة^(٤).

فالقرآن يقول بأن جميع الأعمال المعروفة بين الناس أعمال مطلوبة في دين الإلهي، وجميع أعمال المنكر والشر المشهورة بين الناس أعمال ممنوعة في الدين. وهذه الأعمال كانت متفقة بين الناس في جميع العهود والديانات وبما أن هذه الأشياء أصل حقيقة الدين لذا لم يختلف فيها الناس بل اتفقوا، وهذا الاتفاق دليل على أصالة فطرته. فالقرآن في مجال الأعمال يأمر الناس بالمعروف وينهاهم عن المنكر، فإذا كانت دعوته بهذه الصورة فلا يجوز لأي واحد أن يخالف تعاليم القرآن.

فطرة الله والدين القيم:

دين الفطرة هبة من الله للنوع الإنساني ولا تبديل لفطرة الله وهذا الدين القيم الذي لا عوج فيها وهذا الدين الحنيف الذي دعا إليه سيدنا إبراهيم عليه السلام واسمه بحسب ما اصطلاح عليه القرآن

(١) سورة القرة، الآية: ٤١ .

(٢) أم الكتاب لمولانا أراد ص-٢٨٨-٢٨٩ .

(٣) سورة لقمان، الآية: ١٧ .

(٤) أن المعروف هو اسم جامع لكل ما عرف من طاعة الله، والتقرب إليه والإحسان إلى الناس، وكل ما نذب إليه الشرع وهى عنه من المحسات والمفحات والمنكر ضد المعروف وكل ما قبحه الشرع وكرهه فهو منكراً، والمتنادر من المعروف الطاعات ومن المكر المعاصي التي أنكرها الشرع. أنظر: النهاية في عرب الحديث، لاس الأثير. ج-٣ ص-٢١٦ .

"الإسلام"، قال الله تعالى: [فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ (٣٠) مُنِيبِينَ إِلَيْهِ وَاتَّقُوهُ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ (٣١) مِنَ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيعًا كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ^(١)

مفهوم الإسلام:

الإسلام هو الدين الإلهي الذي ارتضاه واختاره لجميع البشر فإذا اتفقت هذا الأصل (عبادة الله والعمل الصالح) فقد تم وظيفتي ودعوتي ولا أريد أكثر من هذا، قال الله تعالى: [إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَعْيًا بَيْنَهُمْ وَمَنْ يَكْفُرْ بِآيَاتِ اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ (١٩) فَإِنْ حَاجُوكَ فَقُلْ أَسْلَمْتُ وَجْهِيَ لِلَّهِ وَمَنِ اتَّبَعَنِ وَقُلْ لِلَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالْأُمِّيِّينَ أَسْلَمْتُمْ فَإِنْ أَسْلَمُوا فَقَدِ اهْتَدَوْا وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ]^(٢).

القرآن الكريم احتار لهذا الدين اسم الإسلام، لأن معنى الإسلام الموافقة والإنقياد والطاعة، وحقيقة الدين أيضا الطاعة والإنقياد الذي جعل الله قانون السعادة للإنسان، وهذا القانون ليس فقط للإنسان بل كان لجميع الكون فإذا كان الكون أعرض عن هذا القانون يفسد نظام الكون، قال الله تعالى: [أَفَغَيْرَ دِينِ اللَّهِ يَبْغُونَ وَلَهُ أَسْلَمَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ]^(٣).

يقول القرآن بأن الله لا يقبل أي دين سوى الإسلام لأن الإسلام هو الدين الحقيقي وتعليم جميع الانبياء والرسل، فلا يقبل أي جماعة وفرقة باسم الدين دون الإسلام، لذا قال الله تعالى في سورة آل عمران: [وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ]^(٤).

ولذا القرآن يسه الناس ويأمر أتباعه بالاحتساب عن التفرقة في الدين، وبسبب دعوة القرآن الكريم أصح الناس إخوانا بعد أن كانوا أعداءً فأنقدهم من النار، وقبل ظهور الإسلام كان اليهودي يكره النصراني،

(١) سورة الروم، الآيات: ٣٠-٣١-٣٢.

(٢) سورة آل عمران، الآيات: ١٩-٢٠.

(٣) سورة آل عمران، الآية: ٨٣.

(٤) سورة آل عمران، الآية: ٨٥.

واليهود والنصارى والمجوس يظنون أن غيرهم نجس وأهم الأتهار، والعرب يعتقدون بأنهم أشرف الناس وأحسها، والصابئون^(١) يعتقدون أن الحق معهم منذ القدم، لكن بسبب بركة نزول القرآن الكريم صار الناس إخوانا ومتحابين يحب بعضهم بعضا، وأصبح المسلمون قادة للعالم^(٢)، كما جاء في قوله عز وجل: [وَاغْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ]^(٣). [وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ]^(٤). [وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ]^(٥).

(١) الصابئون أو ديانة الصائفة هي ديانة إبراهيمية موحدة يؤمن أتباعها بأنها أول وأقدم الديانات والتراث السماوية. وأتباعها من الصائفة يتبعون أسياء الله آدم، شيت، إدريس، نوح، سام بن نوح، يحيى بن زكريا وقد كانوا مستترين في بلاد الرافدين وفلسطين، ولا يزال بعض من أتباعها موحدين في العراق كما أن هناك تواحد للصائفة في الأحوار بإيران. تدعو الديانة الصائفة للإيمان بالله ووحديته مطلقاً، لا شريك له، واحد أحد، وله من الأسماء والصفات عندهم مطلقة، ومن حملة أسمائه الحسنى، والتي لا تحصى ولا تعد عندهم، ويريد عدد الصائفة في العالم اليوم على مائة ألف سمة، يعيش معظمهم في العراق. وقد اختلف العلماء في معنى (الصائفة)، وربما يكون من الأصوب أن يرجع إلى لغتهم المسمّاة المندائية، حيث تلفظ العبري همرة، فبدل أن يقولوا (صع) نخدمهم يقولون صاً. فالصائفة هم إذن الصابغة، وسموا بذلك لأن من أهم طقوسهم الدينية الاصطاع بالماء، أي التعميد بالمفهوم الصبراني". أنظر: الملل والحل، لـ أبو الفتح محمد بن عبد الكريم الشهرستاني. ط ١ مؤسسه الحلبي. ١١٥\٢.

(٢) أم الكتاب مولانا أراد ص- ٢٩٠-٢٩٤.

(٣) سورة آل عمران. الآية: ١٠٣.

(٤) سورة آل عمران. الآية: ١٠٥.

(٥) سورة الأنعام، الآية: ١٥٣.

المطلب الثاني: أسباب عداوة المنكرين للقرآن، مفهوم الصراط المستقيم والحكمة في القصص القرآنية.

الفرق والديانات لماذا تخالف القرآن وما أسبابه؟ :

إذ تدبرنا القرآن الكريم نجد أن القرآن يصدق الأنبياء والأديان السابقة، ولا ينكر أحدا من الأنبياء وقال إن الإنكار من تلك الأنبياء والرسل إنكار من ألوهية الله تعالى، وحث جميع الناس بأن يركزوا على التعليم الحقيقي لمذهبهم لأن التعليم الحقيقي كان مشتركا بين جميع الرسل والقرآن ما جاء بأصول جديدة، وقال لجميع الناس بأن يركزوا على الإيمان والعمل الصالح فإذا فعلتم ذلك فقد قبلتم دعوتي، القرآن لم يرفض مذاهبهم السابقة لم ينكرهم فلماذا كانوا يخالفون القرآن وينازعونه؟

أن كل واحد منهم يريد أن القرآن يصدق دينه فقط والحال أن القرآن كان يصدق جميع الأديان السابقة مثل التوراة والإنجيل، فاليهود يريدون أن يصدق موسى والتوراة والنصارى يريدون أن يُصدق المسيح والإنجيل فقط، والمشركون يريدون أن يصدق إبراهيم والإسماعيل -عليهما السلام- فقط، ولا يصدق الأديان أو الرسل الأخرى مثل موسى وعيسى عليهما السلام.

الغرض أن النزاع كانت ليس بسبب التكذيب بل بسبب عدم التكذيب لجميع المذاهب لأن كل متبع لدين حاص يريد أن يصدق دينه فحسب، وأن يُكذّب المذاهب الأخرى والقرآن لا يفعل ذلك لأن الأصول الحقيقية كانت واحدة ومشتركة بين الجميع المذاهب الحقّة السابقة.

سبب عداوتهم واختلافهم للقرآن ثلاثة أمور:

الأمر الأول - التعصب والفرقة: القرآن الكريم يدعوهم إلى الوحدة، وأن الدين الحق هو للجميع ويشترك فيه الجميع، وهم لا يريدون ذلك لتعصبهم.

الأمر الثاني - حب الرعامنة والرئاسة: ترتب النجاة والسعادة على الاعتقاد، وهذا الأمر الذي يدعو القرآن الكريم إليه الناس، وليست السعادة في القومية والطائفية والعادات، فلو قبل هؤلاء الناس دعوة القرآن الكريم كانت السعادة والنجاح لجميع الناس وهم لا يريدون ذلك لأنهم قبلوا ذلك لرالت زعامتهم ورياستهم.

الأمر الثالث - تقليد الآباء والأجداد: القرآن يأمر الناس بعبادة الله وينهاهم عن الشرك، وهم يشركون معه بأشكال متنوعة، ويقلدون آبائهم وأجدادهم في ذلك^(١).

مفهوم الصراط المستقيم:

سورة الفاتحة ترشدنا إلى هذا الدعاء "اهدنا الصراط المستقيم"، ففيها سؤال الله تعالى بأن يهدينا ويسلكنا على الطريق الصحيح، لأن الصراط هو الطريق والمستقيم هو المباشر فالصراط المستقيم هو الطريق المباشر والصحيح الذي لا عوج فيه، قال الله عز وجل: [صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ]^(٢).

أي طريق منعم عليهم وليس طريق المغضوب عليهم ولاضالين، وفي مقام آخر أشار القرآن الكريم إلى الناس الذي أنعم الله عليهم، قال عز وجل: [وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا]^(٣)، ففي هذه الآية ذكر الله تعالى أربع جماعات على الترتيب وقال بأهم المنعم عليهم، هم الأنبياء، والصديقين، والشهداء، والصالحين.

فُعلم أن المقصود من المنعم عليهم جميع الأنبياء ودعاة الحق الذين سبقوا قبل نزول القرآن الكريم، والمراد بما كل الصديقون والشهداء وكل إنسان صالح سواء كان من أي بلد وقوم وجنس الذين سلكوا صراط المستقيم، وهذا الصراط المستقيم عبر عنها القرآن بالدين الحق وكان دعوة جميع دعاة الحق لإقامة الدين الحق، قال عز وجل [أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ]^(٤) أي لا تتفرقوا في الدين، لأن طريق الحق هو الصراط المستقيم (القويم) الذي لا عوج فيه.

(١) أم الكتاب مولانا آزاد ص-٢٩٥-٢٩٧.

(٢) سورة الفاتحة، الآية: ٧.

(٣) سورة النساء، الآية: ٦٩.

(٤) سورة التوبة، الآية: ١٣.

القرآن عبر عن الدين بالصراط المستقيم في مواطن عديدة، ففي سورة الشورى يقول الله للبي -صلى الله عليه وسلم-: [وَأَنَّكَ لَتَهْدِيَ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ (٥٢) صِرَاطِ اللَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ إِلَّا إِلَى اللَّهِ تَصِيرُ الْأُمُورُ]^(١)، وقد ذكر في القرآن مراراً بأن دعوة جميع الأنبياء والرسل هي الدعوة إلى صراط المستقيم، ففي سورة النحل قال تعالى في حق سيدنا -إبراهيم عليه السلام- [وَهَذَا إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ]^(٢). وفي سورة الزخرف ذكر عن دعوة سيدنا مسيح -عليه السلام- بأنه قال عز وجل: [إِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ]^(٣).

وفي سورة الأنعام ذكر أولاً نوحاً وإبراهيم -عليهما السلام- ثم ذكر الأنبياء المختلفين من سلسلة إبراهيم -عليه السلام- حيث قال: [وَاجْتَبَيْنَاهُمْ وَهَدَيْنَاهُمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ]^(٤).

وفي الحقيقة الصراط المستقيم هو أقرب الطرق للوصول إلى المقصود والهدف، فالمسافر الذي يريد أن يختار الطريق ويصل إلى نعيته لابد أن يسلك الطريق المستقيم، فإذا تركتم هذا الطريق وتفرقتم فلا يمكن الوصول إلى المقصود، فالذي يريد أن يسافر إلى الله تعالى وإلى الدار الآخرة فعليه بالصراط المستقيم، فإنه طريق مستقيم سهل واسع يوصل إلى المقصود، قال الله تعالى: [وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ]^(٥).

والنبي -صلى الله عليه وسلم- وضح وفسر بنفسه الصراط: عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ . قَالَ: [خَطَّ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ . خَطًّا بِيَدِهِ، ثُمَّ قَالَ: " هَذَا سَبِيلُ اللَّهِ مُسْتَقِيمًا "، قَالَ: ثُمَّ خَطَّ عَنْ يَمِينِهِ، وَشِمَالِهِ. ثُمَّ قَالَ: " هَذِهِ السُّبُلُ، لَيْسَ مِنْهَا سَبِيلٌ إِلَّا عَلَيْهِ شَيْطَانٌ يَدْعُو إِلَيْهِ " ثُمَّ قَرَأَ: (وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ)]^(٦).

(١) سورة الشورى، الآيات: ٥٢-٥٣ .

(٢) سورة النحل، الآية: ١٢١ .

(٣) سورة آل عمران، الآية: ٥١ .

(٤) سورة الأنعام، الآية: ٨٧ .

(٥) سورة الأنعام، الآية: ١٥٣ .

(٦) أخرجه أحمد في مسنده برقم (٤٤٣٧) في كتاب مسند الإمام أحمد بن حنبل. ج-١٧/ص-٤٣٦.

فحس نعلم جميعاً أن السبل المتفرقة فيها التعقيد والإعوجاج وتؤدي إلى التفرقة للبشرية جمعاء، والصراط المستقيم فيه الوضوح والسهولة واليسر، وهو الحنفي السمع الذي ليله كنهاره لايزيغ عنه إلا هالك، ويرضى العقل والفطرة بالصراط المستقيم، وخلاصة الصراط المستقيم جملتان فقط، وهما "الإيمان والعمل الصالح" لذا يفهمها كل إنسان لا تحتاج إلى جهد كثير وعلم غزير بل يعرف هذا الطريق كل واحد على سواء، قال الله تعالى: [الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجًا] ^(١)، فالدين الإسلامي فيه اليسر والوضوح ليس فيه الإعوجاج، لأنه يريد عن أتباعه الإيمان والعمل الصالح.

فالقرآن الكريم زاد المسافرين إلى الله تعالى، والذي يريد أن يسلك الطريق المستقيم يجب عليه أن يتبع القرآن ويعبد الله تعالى، وهذا هو الصراط المستقيم لكل شخص في كل زمن لكل بلد فارغة عن قيود الجغرافية والحدود، ليست مثل الطرق للفرق الأخرى (اليهود والنصارى وغيرهم) التي تخص مع قوم وبلد وزمن خاصة، قال الله تعالى: [إِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ] ^(٢).

تعبير المغضوب عليهم والضالين:

المغضوب ضد المعص، لأن الغضب ضد الإنعام، وقانون فطرة الكون هكذا حيث يأتي في حظ الصالح الإنعام وفي حظ العاصي الغضب.

"الصال" الذي لم يعرف الحق وضل في طلبه و"المغضوب" الذي عرف الحق لكن انحرف وتركه واختار طريق الشقاوة، فالضالين الذين لم يعرفوا الحق ويعمهمون في طلبه وحرموها عن سعادة صراط المستقيم، فالمغضوب عليه نتيجة لإكثارهم عن الحق، والضلالة هي نتيجة لجهلهم فكلاهما محرومان ولكن الأول أعظم جرماً، لأنه عرف النعمة ثم رفضها لذا أصبح معضوباً عليه، وأما الثاني لم يعرف الحق فعبر عنه بلفظ الضلالة فقط.

وأخرجه الحاكم برقم (٣٢٤١) من طريق أحمد بن عبد الحار، عن أبي بكر بن عياش، هذا الإسناد. وقال: هذا حديث صحيح الإسناد، ولم يخرجاه. أنظر: استدرک علی الصحیحین، لأبو عبد الله الحاكم محمد بن عبد الله البياصوري المعروف بابن البيع (المتوفى: ٤٠٥هـ). ت: مصطفى عبد القادر عطا. ط: دار الكتب العلمية - بيروت. ح-٢/ص-٣٤٨.

(١) سورة الكهف، الآية: ١.

(٢) سورة آل عمران. الآية: ٥١.

المحرومين عن السعادة تكون على قسمين: الأول الجاهل، والثاني الجاهل، فالجاهل الذي عرف الحق ثم رفضه، والجاهل الذي لم يعرف الحق وغفل عنه واقتنع بجهله، والقرآن مع دعوته لسلوك على الطريق المستقيم علمنا الاجتناب عن المعصوب عليهم والضالين، حتى نفور بالفلاح وسعادة الدارين، ونحن نجد في التاريخ أمثلة كثيرة لأناس وأقوام عرفوا الحق وانحرفوا عنه، وأمثلة كثيرة لأناس اختاروا الجهل بدل المعرفة والحق والنور، وهذا يدل على صدق القرآن الكريم.

حديث مشهور عن النبي -صلى الله عليه وسلم- حيث قال: {إِنَّ الْمَغْضُوبَ عَلَيْهِمُ الْيَهُودُ، وَإِنَّ الضَّالِّينَ النَّصَارَى} ^(١). فالغرض من هذا التفسير ليس هذا بأن المقصود من المغضوب والضالين اليهود والنصارى فحسب بل ذكر اليهود والنصارى للوضوح والبيان ^(٢)، كي نرى حالة الحرمان في اليهود والنصارى، وإلا مفهوم الآية عام أي كل من فعل هذا نتيجته كذلك ^(٣).

الحكمة في القصص القرآنية:

الأصول التي ركز عليها القرآن للمهداية وتذكير الأمم منها التذكير بالأيام ووقائع الأقوام السابقة ونتائجها، لأن القانون الإلهي للسعادة والشقاوة سواء لجميع الأقوام والبلاد وفي العهود، ولا بد أن تتحقق نتائجها في كل حالة، فحلاوة العسل وتأثير السم لا يتغير بتغيير الأحوال والأرمان كذلك هذه الوقائع

(١) أخرجه أحمد في مسنده برقم (١٩٣٨١) في كتاب مسند الإمام أحمد بن حنبل. ح-١٣٢/ص-١٢٤.

(٢) قال الإمام فخر الدين الرازي: المسهور أن المعصوب عليهم هم اليهود، لقوله تعالى: {مَنْ لَعَنَ اللَّهُ وَعَصِبَ عَلَيْهِ} [المائدة: ٦٠] والضالين: هم النصارى لقوله تعالى: {قَدْ ضَلُّوا مِنْ قَبْلُ وَأَصْلُوا كَثِيرًا وَضَلُّوا عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ} [المائدة: ٧٧] وقيل: هذا ضعيف؛ لأن مكري الصانع والمتركيين أحسن دليلاً من اليهود والنصارى، فكان الاحتراز عن ذمهم أولى، بل الأولى أن يحمل المعصوب عليهم على كل من أخطأ في الأعمال الطاهرة وهم الفساق، ويحمل الصالحون على كل من أخطأ في الاعتقاد لأن اللفظ عام والتقييد خلاف الأصل، ويحتمل أن يقال: المعصوب عليهم هم الكفار، والصالحون هم المنافقون، وذلك لأنه تعالى بدأ بذكر المؤمنين والتناء عليهم في خمس آيات من أول البقرة، ثم أتبعه بذكر الكفار وهو قوله: {إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا} [البقرة: ٦] ثم أتبعه بذكر المنافقين وهو قوله: {وَمَنْ لَاسَ مَنْ يَقُولُ آمَنًا} [البقرة: ٨] فكذا هاهنا بدأ بذكر المؤمنين وهو قوله: {أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ} ثم أتبعه بذكر الكفار وهو قوله: {غَيْرِ الْمَعْصُوبِ عَلَيْهِمْ} ثم أتبعه بذكر المنافقين وهو قوله: {وَلَا الضَّالِّينَ} أنصر. مقابيح الغيب (التفسير الكبير)، لأبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن؛ الملقب بفخر الدين الرازي حطيط الري. ط: دار إحياء التراث العربي - بيروت. ٢٢٢/١.

(٣) أم الكتاب لمولانا آزاد ص-٣٠٧-٣٠٩.

وقعت في الماضي ونتائجها ظهرت في تلك الأقوام كذلك تقع في المستقبل وتظهر نفس النتائج، حيث قال الله تعالى مشيراً إلى هذه الحقيقة: [سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا]^(١) . [فَمَنْ يَنْظُرُونَ إِلَّا سُنَّتَ الْأَوَّلِينَ فَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَبْدِيلًا وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَخْوِيلًا]^(٢) . [سُنَّةَ مَنْ قَدْ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنْ رُسُلِنَا وَلَا تَجِدَ لِسُنَّتِنَا تَخْوِيلًا]^(٣) .

فالقرآن الكريم من جانب يذكر فلاح جماعة المنعم عليهم ومن جانب آخر يذكر حرمان المغضوب عليهم والجماعات الضالة ويأخذ منها النتائج المثالية التي عليها عروج الأقوام وزوالها، ويذكر بكل وضوح بأن فلاح جماعة المنعم عليهم نتيجة وجائزة لأعمالها، وشقاوة جماعات الضالة هي نتيجة لمعاصيها . فالنتائج الخيرة يقال لها الإنعام والحائزة، ونتائج الشر يقال لها الغضب، فإذا كان من الأسباب والعلل وقع المعلول الخاص عشر مرات فكيف لا يمكن أن لا يقع نفس المعلول مرة الحادية عشرة، قال الله تعالى: [قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكْذِبِينَ]^(٤) . فكثير من سور القرآنية مشتملة على نفس المطلب لذا يمكن أن يقال إن جميع القصص والوقائع الأقوام السابقة في القرآن تفصيل للآية التي في الفاتحة.

الروح التعليمية لسورة الفاتحة:

لو تأملنا في مطالب الفاتحة من حيث الجملة نجد بأن هذه الآيات السبعة روح للعقائد الدينية، فالإنسان العابد يحمد ويثني الإله الذي هو للجميع ليس لبلد أو قوم مخصوص، هو رب العالمين وحالق لجميع الكون ومربيه، ورحمته لجميع النوع الإنساني على حد سواء. وهذا الإنسان عليه أن يدعو ربه بصفاته المخصوصة، يذكر صفة الرحمة والعدل، لأنه يعرف أن ربه موصوف بالرحمة والعدل وكل شيء في الكون نتيجة لرحمته وعدله. ثم يخضع أمامه ويعترف بعبوديته ويقول "إياك نعبد"^(٥) أي نعبدك ولا نعبد غيرك، و"إياك نستعين" أي منك الاستعانة في جميع حوائجنا، وهو يربط استعانتة وعبادته بالذات الواحد أي برب العلمين،

(١) سورة الأحراب، الآية: ٦٢ .

(٢) سورة فاطر، الآية: ٤٣ .

(٣) سورة الإسراء، الآية: ٧٧ .

(٤) سورة آل عمران، الآية: ١٣٧ .

(٥) وقد ينبغي المفعول قبل الفعل إلى أن المفعول قد يتقدم على الفعل وتحت هذا قسمان: أحدهما: ما يجب تقديمه وذلك كما إذا كان المفعول اسم شرط نحو أيا تصرف أصرت أو اسم استفهام نحو أي رحل صيرت أو ضميراً مفصلاً لو تأخر لزم اتصاله نحو "إياك نعبد" فلو أحر المفعول لزم الاتصال وكان يقال نعبدك فيحب التقديم، قدم المفعول به لقصر العادة والاستعانة على

ويستغني عن جميع المخلوقين، وعن جميع القوات المادية ولا يركع عند أي عتبة دون رب العلمين. ويطلب منه الهداية والسلوك على الطريق المستقيم الذي ليس لجماعة مخصوصة أو قوم مخصوص بل هو طريق جميع الصالحين من أي بلد أو قوم أو عهد أو جنس، كانوا يستعيذ ربه بأن يحفظه من الضلال، فالمؤمن الموحد يطلب الخير ويستعيذ من الشر، ولا يهتم ولا يركز على الأقوام والجماعات، والديانات المخصوصة. فالشخص الذي عنده هذه العقيدة وهذه النظرية يتوفر فيه صفتان:

الأولى: أن عبادته تكون مبنية على الرحمة والجمال الإلهي.

الثانية: هذا الإنسان العابد الذي يعبد رب العلمين يكون بعيداً عن التعصبات القومية والحزبية،

ويكون فرداً من الإنسانية جمعاء، وهذا هو الروح الحقيقي للدعوة القرآنية^(١).

الله وحده، ولو ذكرت - في غير القرآن - (بعد إياك ويستعين إياك) لهبط المعنى إلى إمكانية عبادة غيرك والاستعانة بغيرك، بيد أن تقديم المفعول به حقق الحصر والعصر عليه وحده - عرّ وجلّ - بخلاف قولك "الدرهم إياه أعطيتك"، فإنه لا يجب تقديم إياه لأنك لو أخرته خار انصائه واعتصاله على ما تقدم في باب المصمرات، فكسب تقول الدرهم أعطيتك وأعطيتك إياه. والتأني: ما يخور تقديمه وتأخيرته نحو صرت ريد عمراً فتقول عمراً صرت ريد. أنظر: شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك، لـ ابن عقيل، عند الله بن عبد الرحمن العقيلي الهمداني المصري. ط: دار التراث - القاهرة، دار مصر للطباعة، سعيد حودة السحار وشركاه. ٩٢/٢.

(١) أم الكتاب لمولانا آزاد ص - ٣١١ - ٣١٢.

الخاتمة

الحمد لله الذي لولاه ما جرى قلم، ولا تكلم لسان، والصلاة والسلام على سيدنا محمد (صلى الله عليه وسلم) كان أفصح الناس لساناً وأوضحهم بياناً.

ثم أما بعد:

لقد عشت مع الشيخ أبي الكلام آزاد - رحمه الله تعالى - من خلال تفسيره بعنوان "تفسير أم الكتاب" أجمل أيام حياتي، وأعطيته أنفاس أوقاتي، وأكثر ساعات ليلي ونهاري، وشغفت به حباً، فأودّ في خاتمة البحث أن أسجل أهم النتائج التي وصلت إليها وهي كالتالي:

١- الشيخ أبو الكلام آزاد كان مفسراً بارعاً من ناحية، ومن جهة أخرى كان قائداً للحركة الوطنية لتحرير شبه القارة الهندية من سيطرة الاستعمار، لذا قد غلب على تفسيره لون الدعوة العامة على مستوى البشرية بدون التفرقة بين طائفة وأخرى.

٢- الشيخ يدعو كافة مواطنيه (الهندوس والبوذية والنصارى وغيرهم) إلى وصول المشتركة بين جميع الديانات؛ منها الإطاعة للذات الواحد، والتجنب عن الطاغوت، وبذل الجهد لقيام العدل، والقضاء على الظلم، وأداء حقوق الناس، ومخالفة السيطرة على الآخرين والظلم عليهم.

٣- يعتبر الشيخ القرآن الكريم كتاب هداية وإرشاد للناس جميعاً، ويخالف من أصرّ على كونه كتاباً للمسلمين فقط، ولذلك قد تكلم في تفسيره على مظاهر الربوبية مفصلاً تحت قول الله تعالى "الحمد لله رب العالمين" وعلى عموم رحمته تعالى للناس عامة.

٤- يركز صاحب التفسير على القضايا الاجتماعية، والعلمية، والتاريخية، وخاصة القضايا المعاصرة التي يواجهها المسلمون في المجتمعات الهندية والغربية والبلدان الإسلامية، لأنه ألف تفسيره في عصر قد أصب المسلمون

بالإنحطاط، وعدم التحضر، والضعف الديني، وفي مثل تلك الأحوال برز لهم تفسير يحل مشكلات أهل عصره وبين لهم جزور الفتن ومنهج التعامل معها.

٥- ينتقد الشيخ المذاهب الوضعية؛ مثل المجوسية، والنهدوسية، والمذاهب البوذية، وأبرز دلائله في إثبات الاعتقاد الحق، وتضنيذ الأديان والمذاهب المنحرفة بحواش طويلة، فهي على سبيل المثال، وضع الشيخ "تصور الأبنشد" للهندوسية ورفع أساس هذه العمارة (أي توضيح ذلك الديانات) على تحقيق دقيق حيث يبرز لنا مآخذ ومصادر بعض الأفكار والمعتقدات كذلك.

٦- تكلم الشيخ عن أصل وحدة الدين بأن الدين واحد منذ أول يوم إلى يوم القيامة، وأن الاختلاف وقع في الشرائع والفروع، وجميع الرسل والأنبياء قد أرسلوا بتلقين ذلك لأنه اختلف الشرائع في عهودها المختلفة ولم يختلف الدين لأنه واحد، ودين لا يتعدد لأن أصل الدين توحيد والتوحيد عقيدة مستقلة واحدة. وفي هذه المسئلة استعجل بعض الناقدين بالنقد على الشيخ آزاد بدون تحقيق ولا تدقيق، ولعلهم لم يراجعوا تفسيره جدياً، وأخلطوا الرطب واليابس، وحولوا موقف آزاد من وحدة الدين إلى وحدة الأديان وشتان بينهما. وقد نجد بعض الشخصيات الكبار في الهند الذين قالوا عن أصل وحدة الدين بأنها أساس العقيدة والدين، ومن أبرزها الإمام شاه ولي الله الدهلوي -رحمه الله- الذي بَوَّبَ باباً في كتابه القيم "حجة الله البالغة" بعنوان "باب في بيان أن أصل الدين واحد والشرائع والمناهج مختلفة"، وقد استدلل الإمام ولي الله الدهلوي في توضيح هذا الباب بأربع آيات قرآنية على أن الدين واحد ولا تعدد فيه (١). وكذلك نجد مولانا أبوالأعلى المودودي صاحب تفسير "تفهيم القرآن"، الذي كان من معاصري آزاد، هو حينما يفسر قوله عز وجل: [إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ]، فقال: "أيها الناس أنتم أمة واحدة في الحقيقة، وكنتم كذلك أمة واحدة منذ أول يوم، وأن جميع الأنبياء والرسل كانوا على دين واحد، وأصل الدين هو أن رب العباد واحد، أما القول بأن النبي أو الرسول كان مؤسس دين جديد فهو باطل.

(١) حجة الله البالغة للإمام شاه ولي الله الدهلوي. ٨٦/١.

(٢) سررة الأساء، الآية: ٩٢.

٧- ربط الشيخ أبو الكلام آزاد العلاقة بين الآيات القرآنية وواقعنا اليوم، وحاول تطبيق تلك الآيات على قضايانا المعاصرة، وهذا يزيد من ثقتنا ويقيننا في القرآن من ناحية، ومن ناحية أخرى ثابتة أن القرآن كلام الله وأنه صالح لكل زمان ومكان.

٨- الشيخ ينقل بعض الأحيان عن كتب أهل الكتاب عبارات لتأييد بيانه وتوضيح المعنى، كما فعل في اثبات حقيقة دعوة المسيح -عليه السلام-.

٩- يرد الشيخ على التقليد الأعمى والجامد من غير دليل ولا علم ويتشدد في هذا الأمر.

١٠- يرد الشيخ أبو الكلام آزاد على الأفكار الجديدة من المستشرقين والمنكري الحديث وأهل البدعة والهواء، الذين فسروا الآيات القرآنية جريا مع أهوائهم.

١١- يستخدم الشيخ الأدلة العقلية والنقلية لإثبات وجود الله تعالى.

١٢- أثبت الشيخ من خلال المقارنات بين الأديان المختلفة قديما وحديثا بأن التصور الوحدانية تصور قديم خلال جميع العصور القديمة، وأثبت من كتب الفلاسفة الغربيون بأن نظرية الارتقاء فشلت أصبحت غير فعالة.

١٣- تكلم الشيخ عن منهج القرآن الكريم في بيان صفات الله تعالى بأنه مبني على التنزيه الكامل من التشبيه والتجسيم، بخلاف التصورات الأخرى التي مبنية على التجسيم كاليهودية، وعلى التشبيه كالنصرانية، أو التعطيل كالهندوسية وغيرها من الديانات.

١٤- يرد الشيخ على التحزب والتفرق بين أهل الكتاب، وخاصة تكلم عن معاملات اليهود مع غير اليهود، وذكر عن استشهاد القرآن بشخصية إبراهيم عليه السلام حيث قال تعالى: "ما كان إبراهيم ولا نصرانيا..." وأثبت أن أساس السعادة هو الإيمان والعمل الصالح دون التحزب والتفرق.

١٥- الشيخ لا يذكر المسائل الفقهية ولا يخوض في الخلافات المذهبية أبدا.

١٦- يرد الشيخ على التفاسير التي ملئت بالفلسفات والآراء المنطقية وذكر التفسير الكبير للرازي نموذجا.

١٧- لا يذكر الشيخ الأحاديث إلا نادرا، ويركز على الآيات القرآنية في معالجة قضايا عصره.

١٨- لا يحيل إلى المصادر والمراجع إلا نادرا كما ذكر في مناقشة عقائد الهندوسية عن كتاب "البيروني" و"رادها كرشنا" نموذجاً.

١٩- لا يستهدف الشيخ من خلال استعراض قضايا عقيدة ومباحثها إعطاء رأي لتأييد مذهب على آخر، وإنما له أهداف عملية تربوية وحركية يلفت نظر الدعاة إليها، وقد ذكرت من أهدافه ما يلي:

أولاً: تركيزه على نصوص هذا الدين وجمال عقيدته التي تعرضها النصوص القرآنية التي تتناولها ببساطة والوضوح من غير تعقيد، ويرد من خلاله على أصحاب الأفكار والعقائد المنحرفة.

ثانياً: يوجه أنظار الدعاة إلى أهمية هذه العقيدة في بناء الفرد الصالح، الذي هو بؤرة المجتمع الصالح، ويستعين على تصوير أهميتها بتصوير اهتمام السلف واقتنائهم للعقيدة في حياتهم ونظرتهم إلى دقائقها.

٢٠- إن تفسير الشيخ جدير بالإقتناء، وذلك لما فيه من الدرر والجواهر التي وفق الله المفسر لجمعها، فكانت مشاعل هدى تنير الدرب، وتكشف الغمة، وترفع الهمة، وتدفع القارئ إلى امتثال أمر القرآن الكريم، وهذا التفسير فيه نوع من الاستقلالية عن مدارس السابقين لأنه ليس تفسير تقليدي؛ بل جمع المفسر في هذا الجزء من التفسير مقاصد جميع السور القرآن على سبيل الإجمال وسماه "بأم الكتاب".

٢١- وفي النهاية لا أملك إلا أن أقول أنني قد عرضت رأيي وأدليت بفكرتي في هذا الموضوع لعلني أكون قد وفقت في كتابته والتعبير عنه، وما أنا إلا بشر أصيب وأخطئ، فإن وفقت للصواب فذلك أرجوه من الله الكريم، وإن أخطأت فذلك مني ومن الشيطان، وأوصي نفسي وإخواني الطلاب وجميع المسلمين بالعمل بما جاء في كتاب الله تعالى وسنة نبيه محمد -صلى الله عليه وسلم- للفوز بالسعادة في الدارين، والدخول بإذنه تعالى إلى جنة نعيم. وأدعو الله سبحانه وتعالى أن يتقبل من الشيخ أبو الكلام آزاد -رحمه الله تعالى- جهوده في خدمة كتاب الله العزيز، وأن يتقبل الله هذا الجهد المتواضع في ميزان حسناتي وحسنات والدي وأسائرتي وكذلك كل من شارك في إخراج هذا البحث إلى النور إنه سميع مجيب، وصلى الله على خير خلقه محمد وآله وأصحابه أجمعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

محمد بشير "فرقاني"

كلية أصول الدين - قسم التفسير وعلوم القرآن
الجامعة الإسلامية العالمية - إسلام آباد

أ) فهرس الآيات

رقم	رقم الآية	الآيات القرآنية	رقم
سورة البقرة			
٧٧	٢١	يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ	١
٢٢٩	٦٢	إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالنَّصَارَى وَالصَّابِئِينَ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ	٢
٢٣١	٨٠	وَقَالُوا لَنْ تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَعْدُودَةً قُلْ أَتَّخَذْتُمْ عِنْدَ اللَّهِ عَهْدًا فَلَنْ يُخْلِفَ اللَّهُ عَهْدَهُ أَمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ	٣
٢٢٩	١١١	تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ	٤
٢٣٠	١١٢	بَلَى مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُ أَجْرُهُ عِنْدَ رَبِّهِ	٥
١٦٥	٢١٣	كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنْزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيُخَكِّمَ بَيْنَ النَّاسِ فِيمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ	٦
٢٣٠	١١٤	وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ مَنَعَ مَسَاجِدَ اللَّهِ أَنْ يُذَكَّرَ فِيهَا اسْمُهُ وَسَعَى فِي خَرَابِهَا أُولَئِكَ مَا كَانَ لَهُمْ أَنْ يَدْخُلُوهَا إِلَّا خَائِفِينَ	٧
٢١٧	١٢٠	وَلَنْ تَرْضَى عَنْكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَى حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ قُلْ إِنَّ هُدَى اللَّهِ هُوَ الْهُدَى	٨
٢٣٤	١٣٣	أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنْ بَعْدِي	٩
٢٣٨	١٣٦	قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ	١٠
٢٣٦	١٣٨	صِبْغَةَ اللَّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ صِبْغَةً وَنَحْنُ لَهُ عَابِدُونَ	١١
٢٤٠	١٣٩	قُلْ أَتَحَاجُّونَنَا فِي اللَّهِ وَهُوَ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ وَلَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُخْلِصُونَ	١٢
٢٢٤	١٤٨	وَلِكُلِّ وَجْهَةٌ هُوَ مُوَلِّهَا فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ أَيْنَ مَا تَكُونُوا يَأْتِ بِكُمْ اللَّهُ جَمِيعًا إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ	١٣

١٤	٢٥١	١١٢	وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ وَلَكِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ
١٥	١٦٥	١١٦	وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْدَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ
١٦	١٧٧	١١٧	وَأَتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ
١٧	١٨٦	١٩٧	وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ
١٨	٢١٣	٢١٨	كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنْزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيُخَكِّمَ بَيْنَ النَّاسِ فِيمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ
١٩	٢٥٥	١٩٧	وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ
٢٠	٢٥٨	١١١	وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ
٢١	٢٨٦	١٣٧	[لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ
سورة آل عمران			
٢٢	٧	٢٠١	هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ
٢٣	١٤	١٠٠	زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْخَرْبِ
٢٤	٢٠	٢٤٣	وَقُلْ لِلَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالْأُمِّيِّينَ أَأَسْلَمْتُمْ فَإِنْ أَسْلَمُوا فَقَدِ اهْتَدَوْا وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ
٢٥	٥١	٧٧	إِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ
٢٦	٧٥	٢٣٣	ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الْأُمِّيِّينَ سَبِيلٌ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ
٢٧	٨٣	٢٤٣	أَفَغَيْرَ دِينِ اللَّهِ يَبْغُونَ وَلَهُ أَسْلَمَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ

٢٨	وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ	١٠٣	٢٤٤
٢٩	إِذْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكْذِبِينَ	١٣٧	٢٥٠
٣٠	الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ	١٩١	٤٦
سورة النساء			
٣١	يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا	١	٩٩
٣٢	لَيْسَ بِأَمَانِيكُمْ وَلَا أَمَانِي أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ وَلَا يَجِدْ لَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا	٢٣	٢٣٢
٣٣	إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيُرِيدُونَ أَنْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ اللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَنْ يَتَّخِذُوا بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا	١٥٠	٢٤٠
٣٤	وَأَخْذِهِمُ الرِّبَا وَقَدْ نُهُوا عَنْهُ وَأَكْلِهِمْ أَمْوَالِ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ	١٦١	٢٣٣
٣٥	إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَىٰ نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ	١٦٣	٢٣٨
سورة المائدة			
٣٦	وَأَتَيْنَاهُ الْإِنْجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ وَمُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَةِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ	٤٦	١٢٢
٣٧	وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ	٤٨	٢٢٥
٣٨	يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ	٥٤	١١٧
٣٩	إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِئُونَ وَالنَّصَارَىٰ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ	٦٩	٢٤١
سورة الأنعام			
٤٠	قُلْ لِمَنْ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلْ لِلَّهِ كَتَبَ عَلَىٰ نَفْسِهِ الرَّحْمَةُ	١٢	٨٢

٢١٧	٧١	قُلْ إِنَّ هُدَى اللَّهِ هُوَ الْهُدَى وَأَمْرًا لِنُسْلِمَ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ	٤١
٢٤٧	٨٧	وَاجْتَنِبْنَاهُمْ وَهَدَيْنَاهُمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ	٤٢
٧٣	٩٥	وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِذْ قَالُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَى بَشَرٍ مِنْ شَيْءٍ	٤٣
١٩٦	١٠٣	لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ	٤٤
٢٢٦	١٠٨	وَلَا تَسْبُوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَيَسْبُوا اللَّهَ عَدُوًّا بِغَيْرِ عِلْمٍ كَذَلِكَ زَيَّنَّا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلَهُمْ ثُمَّ إِلَى	٤٥
١١٣	١٣١	وَرَبِّكَ الْغَنِيِّ ذُو الرَّحْمَةِ إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَسْتَخْلِفْ مِنْ بَعْدِكُمْ مَا يَشَاءُ	٤٦
١١١	١٣٥	قُلْ يَاقَوْمِ اعْمَلُوا عَلَى مَكَانَتِكُمْ إِنِّي عَامِلٌ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ	٤٧
٨٥	٣٨	وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّا أُمَمٌ أَمْثَالُكُمْ	٤٨
٩٦	١٤١	وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَ جَنَّاتٍ مَعْرُوشَاتٍ وَغَيْرَ مَعْرُوشَاتٍ وَالنَّخْلَ وَالزَّرْعَ مُخْتَلِفًا أَكْلُهُ	٤٩
٢٢٨	١٥٩	إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا لَسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ إِنَّمَا أَمْرُهُمْ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُمْ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ	٥٠
١٠٠	١٦٥	وَهُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ الْأَرْضِ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ	٥١
سورة الأعراف			
٨٣	١٠	وَلَقَدْ مَكَّنَّاكُمْ فِي الْأَرْضِ وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَايِشَ قَلِيلًا مَا تَشْكُرُونَ	٥٢
١٤٣	٣١	وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ	٥٣
١١٣	٣٤	وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ فَإِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ	٥٤
٤٨	١٨٠	وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا	٥٥
٨٠	١٥٦	وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ	
١١٢	١٦٨	وَقَطَّعْنَاهُمْ فِي الْأَرْضِ أُمَمًا مِنْهُمْ الصَّالِحُونَ وَمِنْهُمْ دُونَ ذَلِكَ	٥٦

٥٧	لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَا يَسْمَعُونَ	١٧٩	١٣٠
سورة الأنفال			
٥٨	لِيُحَقِّقَ الْحَقَّ وَيُبْطِلَ الْبَاطِلَ	٨	١٠٦
سورة التوبة			
٥٩	أَوَلَا يَرَوْنَ أَنَّهُمْ يُفْتَنُونَ فِي كُلِّ عَامٍ مَرَّةً أَوْ مَرَّتَيْنِ ثُمَّ لَا يَتُوبُونَ وَلَا هُمْ يَذْكُرُونَ	١٢٦	١١٢
سورة يونس			
٦٠	خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ يُكَوِّرُ اللَّيْلَ عَلَى النَّهَارِ	٥	٦٦
٦١	وَلَوْ يَعْلَمُ اللَّهُ لِلنَّاسِ الشَّرَّ اسْتَعْجَلَهُمْ بِالْخَيْرِ لَفُضِّي إِلَيْهِمْ أَجْلُهُمْ	١١	١٠٩
٦٢	[وَمَا كَانَ النَّاسُ إِلَّا أُمَّةً وَاحِدَةً فَاخْتَلَفُوا]	١٩	١٦٥
٦٣	قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَمَّنْ يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ	٣١	٧٠
٦٤	وَلِكُلِّ أُمَّةٍ رَسُولٌ فَإِذَا جَاءَ رَسُولُهُمْ قُضِيَ بَيْنَهُمْ بِالْقِسْطِ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ	٤٧	٢١٩
٦٥	وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَأَمَنَّ مَنْ فِي الْأَرْضِ كُلَّهُمْ جَمِيعًا أَفَأَنْتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّى يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ	٩٩	٢٢٦
٦٦	قُلْ فَانْتَظِرُوا إِنِّي مَعَكُمْ مِنَ الْمُنْتَظِرِينَ	١٠٢	١٠٨
٦٧	وَاتَّبِعْ مَا يُوحَىٰ إِلَيْكَ وَاصْبِرْ حَتَّىٰ يَحْكُمَ اللَّهُ وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ	١٠٩	١٠٧
سورة يوسف			
٦٨	وَكَايْنِ مِنْ آيَةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ	١٠٥	٦٥
سورة الرعد			
٦٩	اللَّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَاوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا	٢	١٤١
٧٠	نَصِ الْأَوْكُلُ شَيْءٍ عِنْدَهُ بِمِقْدَارٍ	٨	٥٦

٧١	أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌ بِقَدَرِهَا فَاحْتَمَلَ السَّيْلُ زَبَدًا رَابِيًا	١٧	٨٩
٧٢	وَالَّذِينَ يَصِلُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوءَ الْحِسَابِ	٢٠	١٠٦
سورة إبراهيم			
٧٣	أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَأُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَالَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ	٩	٢١٩
	وَأَتَاكُمْ مِنْ كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تَحْصُوهَا إِنَّ الْإِنْسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ	٣٤	٨٢
سورة الحجر			
٧٤	وَلَقَدْ جَعَلْنَا فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا وَزَيَّنَّاهَا لِلنَّاظِرِينَ	١٦	١٠٢
٧٥	وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنْزِلُهُ إِلَّا بِقَدَرٍ مَعْلُومٍ	٢١	٥٦
٧٦	وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِنَ الْمَثَانِي وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ	٨٧	٣٨
سورة النحل			
٧٧	وَالْأَنْعَامَ خَلَقْنَا لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنَافِعُ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ	٥	٨٤
٧٨	وَهُوَ الَّذِي سَخَّرَ الْبَحْرَ لِتَأْكُلُوا مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُوا مِنْهُ حَلِيبًا تَلْبَسُونَهَا	١٤	٨٤
٧٩	وَإِنَّ لَكُمْ فِي الْأَنْعَامِ لَعِبْرَةً نُسْقِيكُمْ مِمَّا فِي بُطُونِهِ مِنْ بَيْنِ فَرْثٍ وَدَمٍ لَبَنًا خَالِصًا سَائِغًا لِلشَّارِبِينَ	٦٦	٨٤
٨٠	قَالَ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى	٥٠	٦٣
٨١	فَلَا تَضُرُّوهُ بِالْأَمْثَالِ	٧٤	١٩٨
٨٢	وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمْ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ	٧٨	٨٨
٨٣	وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ بُيُوتِكُمْ سَكَنًا وَجَعَلَ لَكُمْ مِنْ جُلُودِ الْأَنْعَامِ بُيُوتًا تَسْتَخِفُّونَهَا	٨٠	٨٤
٨٤	وَهَدَاهُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ	١٢١	٢٤٧
سورة الإسراء			

٢١٩	١٥	وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولًا	٨٥
٩٣	٢٠	كُلًّا نُمِدُّ هَؤُلَاءِ وَهَؤُلَاءِ مِنْ عَطَاءِ رَبِّكَ وَمَا كَانَ عَطَاءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا]	٨٦
٦٥	٣٦	إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا	٨٧
٨٦	٤٤	تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَاوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ	٨٨
٢٥٠	٧٧	سُنَّةَ مَنْ قَدْ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنْ رُسُلِنَا وَلَا تَجِدُ لِسُنَّتِنَا تَحْوِيلًا	٨٩
١٠٤	٨٦	وَلَئِنْ سَأَلْنَا لَنَذْهَبَنَّ بِالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ بِهِ عَلَيْنَا وَكِيلًا	٩٠
١٠٤	١٠٠	قُلْ لَوْ أَنْتُمْ تَمْلِكُونَ خَزَائِنَ رَحْمَةِ رَبِّي إِذَا لَأَمْسَكْتُمْ خَشْيَةَ الْإِنْفَاقِ	٩١
٢٠٢	١١٠	قُلْ اادْعُوا اللَّهَ أَوْ اادْعُوا الرَّحْمَنَ أَيًّا مَا تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى	٩٢
سورة الكهف			
٢٤٨	١	الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجًا	٩٣
١١٣	٥٨	وَرَبُّكَ الْغَفُورُ ذُو الرَّحْمَةِ لَوْ يُؤَاخِذُهُمْ بِمَا كَسَبُوا لَعَجَّلَ لَهُمُ	٩٤
سورة مريم			
١٢٢	٢١	وَلَنَجْعَلُهَا آيَةً لِلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِنَّا وَكَانَ أَمْرًا مَقْضِيًّا	٩٥
سورة طه			
٢١٤	٥٠	رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى	٩٦
١٠٧	١١٤	فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ	٩٧
سور الأنبياء			
٢٢٠	٢٥	وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ	٩٨
٧٧	٩٢١	إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ	٩٩
١٠٤	١٠٧	وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ	١٠٠

١٠٩	١٠٩	١٠٩ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُلْ آذَنْتُكُمْ عَلَى سَوَاءٍ وَإِنْ أُدْرِيَ أَقْرَبُ أَمْ بَعِيدُ مَا تُوعِدُونَ	١٠١
سورة الحج			
٩٢	٤٧	وَأَنَّ يَوْمًا عِنْدَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ	١٠٢
٢٢٤	٦٧	لِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنْسَكًا هُمْ نَاسِكُوهُ فَلَا يُنَازِعُونَكَ فِي الْأَمْرِ وَاذْعُ إِلَى رَبِّكَ إِنَّكَ لَعَلَى هُدًى مُسْتَقِيمٍ	١٠٣
سورة المؤمنون			
٢٣٥	٣٢	فَأَرْسَلْنَا فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ أَنْ ااعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ أَفَلَا تَتَّقُونَ	١٠٤
٢٣٥	٥٠	وَجَعَلْنَا ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ آيَةً	١٠٥
٢٢٨	٥٣	فَتَقَطَّعُوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ زُبُرًا كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ	١٠٦
١٠٨	٧١	وَلَوْ اتَّبَعَ الْحَقُّ أَهْوَاءَهُمْ لَفَسَدَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ	١٠٧
٧٤	١١٥	أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ	١٠٨
١١١	١١٧	إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ	١٠٩
سورة الفرقان			
٦١	٢	وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقْدَرَهُ تَفْدِيرًا	١١٠
٧٢	٢١	يَا أَيُّهَا النَّاسُ ااعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ	١١١
٩٨	٥٤	وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ مِنَ الْمَاءِ بَشَرًا فَجَعَلَهُ نَسَبًا وَصِهْرًا وَكَانَ رَبُّكَ قَدِيرًا	١١٢
سورة الشعراء			
٢١٤	٨٠	وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ	١١٣
سورة النمل			
٨٦	٣٣	صُنِعَ اللَّهُ الَّذِي أَتَقَنَ كُلَّ شَيْءٍ	١١٤
٧٠	٦٠	أَمَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَتْنَا بِهِ حَدَائِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ	١١٥
١١٠	٧٢	وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَشْكُرُونَ	١١٦

١١٧	وَمِنْ رَحْمَتِهِ جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلِعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ	٧٣	٩٥
سورة القصص			
١١٨	وَلَا تَبْغِ الْفُسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ	٧٧	١٤٣
سورة العنكبوت			
١١٩	خَلَقَ اللَّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً	٤٤	٦٥
١٢٠	إِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ	٤٨	٢٤٠
١٢١	وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ وَلَوْلَا أَجَلٌ مُسَمًّى لَجَاءَهُمُ الْعَذَابُ	٥٣	١١٠
١٢٢	وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ	٦٩	٢٠٨
سورة الروم			
١٢٣	وَلَهُ الْحَمْدُ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَعَشِيًّا وَحِينَ تُظْهِرُونَ	١٨	٩٥
١٢٤	اللَّهُ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَّاحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَيَبْسُطُهُ فِي السَّمَاءِ كَيْفَ يَشَاءُ	٤٨	٥٧
١٢٥	وَمِنْ آيَاتِهِ يُرِيكُمُ الْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ	٢٤	٨٥
١٢٦	فِطْرَتِ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ	٣٠	١٣١
١٢٧	مَنْ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ	٣٢	٢٤٣
١٢٨	اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً	٥٤	٥٩
سورة لقمان			
١٢٩	خَلَقَ السَّمَاوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا	٢	١٤١
١٣٠	إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ	١٣	١٤٢
١٣١	أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمَاوَاتِ	٢٠	٨٧
سورة السجدة			
١٣٢	ذَلِكَ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ	٦	٨٦
١٣٣	ثُمَّ سَوَّاهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِنْ رُوحِهِ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلًا مَا تَشْكُرُونَ	٩	١١٩
سورة الأحزاب			

١٣٤	سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا	٦٢	٢٥٠
سورة الفاطر			
١٣٥	يَا أَيُّهَا النَّاسُ اذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ هَلْ مِنْ خَالِقٍ غَيْرُ اللَّهِ	٣	٧٢
١٣٦	وَإِنْ مِنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ	٢٤	٢١٩
١٣٧	وَمِنَ الْجِبَالِ جُدَدٌ بَيضٌ وَحُمْرٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ	٢٧	٩٦
١٣٨	وَمِنَ النَّاسِ وَالدَّوَابِّ وَأَلْأَنْعَامِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ	٢٨	٩٥
١٣٩	فَهَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا سُنَّتَ الْأَوَّلِينَ فَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَبْدِيلًا وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَحْوِيلًا	٤٣	٢٥٠
سورة يس			
١٤٠	وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ	٣٨	٦١
١٤١	الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ مِنَ الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَا أَنْتُمْ مِنْهُ تُوقِدُونَ	٨٠	٨٤
سورة الصافات			
١٤٢	إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَى رَبِّي سَمْعِدِينَ	٩٩	٢١٤
سورة الزمر			
١٤٣	مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى	٣	
١٤٤	خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ يَكُونُ اللَّيْلُ عَلَى النَّهَارِ وَيُكَوِّرُ النَّهَارَ عَلَى اللَّيْلِ	٥	٩٢
١٤٥	أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَلَكَهُ يَنَابِيعَ	٢١	٥٩
١٤٦	قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا	٥٣	١١٤
سورة الغافر			
١٤٧	هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ يُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ ثُمَّ لِتَكُونُوا شُيُوخًا	٦٧	٩٩
١٤٨	وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِنْ قَبْلِكَ مِنْهُمْ مَنْ قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُمْ مَنْ لَمْ نَقْصِصْ عَلَيْكَ	٧٨	٢١٩
سورة فصلت			

١٤٩	٣٥	١٢٠	وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ
سورة الشورى			
١٥٠	١١	١٩٦	لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ
١٥١	١٣	٢٢١	شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ
١٥٢	٤٠	١٢٠	وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ
١٥٣	٤٣	١٢٠	وَلَمَنْ صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ
١٥٤	٥٣	٢٤٧	٢٤٧ صِرَاطِ اللَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ أَلَا إِلَى اللَّهِ تَصِيرُ الْأُمُورُ
سورة الزخرف			
١٥٥	٦	٢١٩	وَكَمْ أَرْسَلْنَا مِنْ نَبِيٍّ فِي الْأَوَّلِينَ
١٥٦	١٠	٨٣	الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ مَهْدًا وَجَعَلَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ
١٥٧	٢٦	٢١٤	وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ إِنَّنِي بَرَاءٌ مِمَّا تَعْبُدُونَ
سورة الدخان			
١٥٨	٣٨	٦٦	وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَاعِبِينَ
سورة الجاثية			
١٥٩	٢	٧٣	إِنَّ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِلْمُؤْمِنِينَ
١٦٠	١٣	٥٨	وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مِنْهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ
١٦١	٢٠	١٠٤	يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ
سورة ق			
١٦٢	١٦	٢٠٩	وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ
١٦٣	٢٩	٩١	مَا يُبْدِلُ الْقَوْلَ لَدَيَّ
سورة الذاريات			
١٦٤	٢٠١	٥٥	وَفِي الْأَرْضِ آيَاتٌ لِلْمُوقِنِينَ ، وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ

١٦٥	فَوَرَبِّ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ لَحَقٌّ مِثْلَ مَا أَنَّكُمْ تَنْطِقُونَ	٢٣	٧٦
سورة الرحمن			
١٦٦	وَالسَّمَاءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ الْمِيزَانَ	٧	١٤١
١٦٧	كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ	٢٩١	٢٠٩
سورة الواقعة			
١٦٨	أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَحْرَثُونَ ، أَأَنْتُمْ تَزْرَعُونَهُ أَمْ نَحْنُ الزَّارِعُونَ	٦٣	٧١
سورة الحديد			
١٦٩	وَجَعَلْنَا فِي قُلُوبِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ رَأْفَةً وَرَحْمَةً	٢٧	١٢٢
سورة المجادلة			
١٧٠	فَلَا تَتَنَجَّجُوا بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ	٩	١٤٤
سورة الحشر			
١٧١	لَا يَسْتَوِي أَصْحَابُ النَّارِ وَأَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمُ الْفَائِزُونَ	٢٠	١٣٦
١٧٢	هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ	٢٣	٢٠٢
سورة التغابن			
١٧٣	خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُورَكُمْ	٣	٦٦
سورة الملك			
١٧٤	ثُمَّ ارْجِعِ الْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ يَنْقَلِبْ إِلَيْكَ الْبَصَرُ خَاسِئًا وَهُوَ حَسِيرٌ	٤	١٠٣
١٧٥	وَلَقَدْ زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ	٥	١٠٢
سورة الحاقة			
١٧٦	إِنَّا لَمَّا طَغَى الْمَاءُ حَمَلْنَاكُمْ فِي الْجَارِيَةِ	١١	١٤٢
سورة الم نشر			
١٧٧	وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ	٣١	٨٤
سورة القيام			
١٧٨	بَلِ الْإِنْسَانُ عَلَى نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ. وَلَوْ أَلْقَى مَعَاذِيرَهُ	١٤	٦٩
سورة الدهر			

١٨٩	يُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا	٨	١١٧
سورة عبس			
١٩٠	أَمَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَتْنَا بِهِ حَدَائِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ	٢٤	٧٠
سورة الأعلى			
١٩١	الَّذِي خَلَقَ فَسَوَّى وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَى	٣	١٠٣
سورة البلد			
١٩٢	لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي كَبَدٍ	٤	٩٣
١٩٣	وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ	١٠	٢١٦

(ب) فهرس الأحاديث النبوية

رقم	أطراف الحديث	رقم الصفحة
١	ارْحَمُوا مَنْ فِي الْأَرْضِ يَرْحَمَكُم مِّنْ فِي السَّمَاءِ	١١٨
٢	إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يَقُولُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ: يَا ابْنَ آدَمَ مَرِضْتُ فَلَمْ تَعُدْنِي	١١٧
٣	{أَنْ تَعْبُدَ اللَّهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ، فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ}	٢٠٩
٤	إِنَّمَا يَرْحَمُ اللَّهُ مَنْ عِبَادِهِ الرَّحَمَاءَ	١١٨
٥	{فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ يَعْبُدُ مُحَمَّدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَإِنَّ مُحَمَّدًا}	٢٠٦
٦	لَا صَلَاةَ لِمَنْ لَمْ يَقْرَأْ بِفَاتِحَةِ الْكِتَابِ	٤٠
٧	مَنْ رَحِمَ، وَلَوْ ذَبِيحَةً عُصْفُورٍ رَحِمَهُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ	١١٩
٨	هَذِهِ السَّبِيلُ، لَيْسَ مِنْهَا سَبِيلٌ إِلَّا عَلَيْهِ شَيْطَانٌ يَدْعُو إِلَيْهِ	٢٤٧
٩	وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَوْ لَمْ تُذْنِبُوا لَذَهَبَ اللَّهُ بِكُمْ، وَلَجَاءَ بِقَوْمٍ يُذْنِبُونَ، فَيَسْتَغْفِرُونَ اللَّهَ فَيَغْفِرُ لَهُمْ: {لَوْلَا أَنَّكُمْ تُذْنِبُونَ لَخَلَقَ اللَّهُ خَلْقًا يُذْنِبُونَ يَغْفِرُ لَهُمْ}	١٢٧
١٠	إِنَّا عِبَادِي لَوْ أَنَّ أُولَئِكَمْ وَأَخْرَكُمْ وَإِنْسَكُمْ وَجَنَّتْكُمْ كَانُوا عَلَى أَتَقَى قَلْبِ رَجُلٍ وَاحِدٍ مِنْكُمْ،	١٣٨

(ج) فهرس الأعلام

رقم	الأعلام	رقم الصفحة
١	أوزيريس (Osiris)	١٦٠
٢	أبو الريحان محمد بن أحمد البيروني	١٧٣
٣	إدوارد بيرنت تايلور (Edward Burennett Tylor)	١٥١
٤	إدوين سيدني هارتلاند (Edwin Sidney Hartland)	١٥٥
٥	أرسطو	١٩١
٦	أفلاطون	١٩٤
٧	امونيس السقاص (Ammonius Saccas)	١٩٣
٨	إميل دوركايم (Durkheim)	١٥٥
٩	أوغست كونت	١٤٩
١٠	أولريش (K. Preus)	١٥٥
١١	جمال الدين محمد بن صفدر الحسيني الأفغاني	٢٠
١٢	جيمس جورج فريزر (James George Frazer)	١٥٤
١٣	الحسن إسحاق بن سالم بن إسماعيل الأشعري	٢٠٠
١٤	خير الدين	١٤
١٥	روبرت رانولف ماريت	١٠٥
١٦	روبرت هوبرت (Hubert Robert)	١٥٥
١٧	سقراط	١٨٩
١٨	سر سيد أحمد خان	١٧
١٩	السير جون لوبوك	١٥٠
٢٠	شاهجهان	١٤

٢١٠	أحمد بن عبدالرحيم الدهلوي الملقب بـ شاه ولي الله	٢١
١٣٤	عبدالله محمد بن عمر الأشعري الملقب بـ فخر الدين الرازي	٢٢
٢٠٠	عبدالمملك بن عبدالله بن يوسف الجويني	٢٣
١٩٤	موسى بن ميمون بن عبيدالله القرطبي	٢٤
١٥٧	كارل جورج بوشنر (Karl Georg Buchner)	٢٥
١٦٥	كريتياس (Critias)	٢٦
١٧٢	كونفوشيوس (Confucius)	٢٧
١٥٥	لارس أولف ناثان سود بريلوم (Nathan Soderblom)	٢٨
٢٠	محمد رشيد بن علي رضا	٢٩
٢٠	محمد عبده بن حسن خيرالله	٣٠
٢٤	محمد علي جناح	٣١
٢٢	محمد علي جوهر	٣٢
٢١	محمود حسن الديوبندي ابن الشيخ ذوالفقار علي الملقب بـ شيخ الهند	٣٣
١٥٥	مرسيل موس (Marcel Mauss)	٣٤
١٤	منور الدين	٣٧
١٥٠	هربرت سبنسر (Herbert Spencer)	٣٨
١٠٧	ويلهلم شميت (Wighelm Schmidt)	٣٩
١٥٣	ويليام روبرتسون سميث (William Robertson Smith)	٤٠

(د) فهرس الأماكن

رقم المسلسل	اسم المكان	رقم الصفحة
١.	آشور	١٤٦
٢.	آغرا	١٦
٣.	البابل	١٤٦
٤.	دجلة والفرات	١٤٦
٥.	دهلي	١٦
٦.	صحراء جوبي	١٥٧
٧.	كلكتا	١٥
٨.	موهنجودارو	١٥٥
٩.	نهر النيل	١٤٦
١٠.	هرات	١٦
١١.	ويسالي	١٧٤

(هـ) فهرس المصادر والمراجع

القرآن الكريم

١. أبو الكلام آزاد "ادبي و شخصي مطالعة"، لـ أفضل حق قريشي. طبع ١٩٩٦ م.
٢. أبو الكلام آزاد وتشكّل الأمة الهندية (في مناهضة الاستعمار والسياسات الطائفية)، للباحث والأكاديمي الهندي د. رضوان قيصر، أستاذ التاريخ في الجامعة المليّة الإسلامية في نيودلهي. ط: مؤسسة الفكر العربي بيروت.
٣. سنن ابن ماجة لمحمد بن يزيد القروي. ط: دار إحياء الكتب العربية - الحلب.
٤. معجم الطبراني. ط: مكتبة ابن تيمية، القاهرة - مصر.
٥. الأديان العالمية والإسلام (دراسة مقارنة)، للدكتور حامد نسيم رافي ابادي.
٦. أديان الهد الكبرى، دكتور أحمد شلي. ط: مكتبة النهضة - المصرية - ١٩٨١ م.
٧. ارسطو كتاب الاخلاق ترجمه: حنا مينا، الطبعة الاولى، القاهرة ١٩٩٣ .
٨. آزاد كي كهائي (حود نوشت سوانح) لمولانا آزاد. طبع: مكتبة جمال لاهور، سنة "١٩٢١م- و ٢٠٠٥م".
٩. آزادي هند (India Wins Freedom - الهند تظفر بالحرية) لمولانا أبي الكلام آزاد. الناشر: مكتبة الجمال اردو بازار لاهور. الطبع: تايا ستر لاهور. سنة الطبع: ٢٠١٦ء. الأصول الجمالية في النقد العربي، لاسماعيل عز الدين. ط: دار الفكر العربي.
١٠. أصول مسائل العقيدة عند السلف وعند المبتدعة، لسعود بن عبد العزيز الخلف. ط: ١٤٢٠هـ.
١١. أطلس تاريخ الإسلام (موسوعة تاريخية جغرافية مصرية) بإشراف الدكتور حسين مؤنس. ط: دار الرهراء للإعلام العربي - مصر.
١٢. أعلام الفلاسفة (كيف نفهمهم؟) للدكتور هري توماس.

- ١٣- الإعلام بما في دين النصارى من الفساد والأوهام وإظهار محاسن الإسلام، لأبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي. ط: دار التراث العربي - القاهرة.
- ١٤- الإعلام بما في تاريخ الهند من الأعلام، لعبد الحى بن فخر الدين الحسى الطالبي. ط: دار اس حزم - بيروت، لبنان (١٩٩٩م).
- ١٥- الأعلام، لخير الدين بن محمود الزركلي الدمشقي. ط: دار العلم للملايين (٢٠٠٢م).
- ١٦- أكام المرجان في ذكر المدائن المشهورة في كل مكان. لإسحاق بن الحسين المعجم. الناشر: عالم الكتب، بيروت. الطبعة: الأولى، ١٤٠٨ هـ.
- ١٧- إمام أهل الحق أبو الحسن الأشعري، لعبد القادر محمد الحسين. ط: دار المشرق للكتاب.
- ١٨- إنجيل متى: ٣٩/٥.
- ١٩- انديس فلاسفي، (١ Indian Philosophy, Vol.) لأستاذ اس - رادها كرشنا (Radhakrishnan S).
- ٢٠- أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك، لـ جمال الدين عبد الله بن يوسف ابن هشام. بتحقيق: يوسف الشيخ محمد البقاعي؟ ط: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع.
- ٢١- بين الإسلام والمسيحية، لأبي عبيدة الحزرجي. بتحقيق: الدكتور محمد شامة. ط: مكتبة وهبة.
- ٢٢- التاريخ الإسلامي، للدكتور أحمد شلبي.
- ٢٣- تاريخ الفكر الديني الجاهلي، لمحمد إبراهيم الفيومي. ط: دار الفكر العربي.
- ٢٤- تاريخ الفلسفة الحديثة، لـيوسف مكرم. ط: مكتبة الدراسات الفلسفية.
- ٢٥- تاريخ الفلسفة، لـ يوهان توتنكهام. الطبعة الثانية، بيروت - لبنان ١٩٩٦.
- ٢٦- تاريخ اللغات السامية، د. إسرائيل ولفسون. ط: لجنة التأليف والترجمة والنشر، مطبعة الاعتماد - مصر.

- ٢٧- تاريخ حضارات الهند للدكتور غوستاف لوبون.
- ٢٨- التحرير والتنوير (تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد)،
لمحمد الطاهر بن عاشور التونسي. ط: الدار التونسية للنشر - تونس.
- ٢٩- تحقيق ما للهد من مقولة، لأبو الريحان البيروني. ط: عالم الكتب، بيروت ٢٠١١م.
- ٣٠- تزيين الأسواق في أخبار العشاق، لداود بن عمر الأنطاكي، المعروف بالأكمه.
- ٣١- تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار)، لمحمد رشيد رضا. ط: الهيئة المصرية العامة للكتاب.
- ٣٢- تفسير القرآن العظيم (ان كثير) — إسماعيل بن عمر بن كثير. ط: دار الكتب العلمية، بيروت. (الأولى) - ١٤١٩ هـ.
- ٣٣- تفسير المراغي، لأحمد بن مصطفى المراغي. ط: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر.
- ٣٤- التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج. للدكتور وهبة بن مصطفى الزحيلي. ط: دار الفكر المعاصر - دمشق.
- ٣٥- التنبيه والإشراف، لأبو الحسن علي بن الحسين المسعودي. بتحقيق: عبد الله إسماعيل الصاوي. ط: دار الصاوي - القاهرة.
- ٣٦- تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، لعبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي (المتوفى: ١٣٧٦ هـ). ط: مؤسسة الرسالة سنة ١٤٢٠ هـ.
- ٣٧- جامع البيان في تأويل القرآن، لأبي جعفر محمد بن حرير الطبري. ط: مؤسسة الرسالة.
- ٣٨- الجامع السنن، لمحمد بن عيسى الترمذي، (المتوفى: ٢٧٩ هـ).
- ٣٩- الجامع الصحيح لمحمد بن إسماعيل أبو عبد الله البخاري الجعفي. ط: الأولى، ١٤٢٢ هـ.
- ٤٠- الجامع لأحكام القرآن، لـ محمد بن أحمد القرطبي. ط: دار الكتب المصرية - القاهرة.

- ٤١- جوهر التصوف، ليحيى ابن معاذ. ط: مكتبة الآداب القاهرة - مصر.
- ٤٢- حجة الله البالغة للإمام شاه ولي الله الدهلوي.
- ٤٣- الحوار مع أتباع الأديان - مشروعيته وآدابه - لمنقذ بن محمود السقار. ط: رابطة العالم الإسلامي.
- ٤٤- خطوط آزاد، مرتبة: مالك رام. ط: ١٩٨٨م دهلي.
- ٤٥- خَلَقُ الْكَوْنِ مِنَ الْعَدَمِ فِي ضَوْءِ الدِّرَاسَاتِ الْفَلَكِيَّةِ، د/ رياض عيديروس عبد الله. مراجعة: د/ قسطاس إبراهيم النعيمي. الناشر: مركز البحوث - جامعة الإيمان.
- ٤٦- دراسات في الأديان اليهودية والنصرانية، لسعود بن عبد العزيز الخلف. ط: مكتبة أضواء السلف، الرياض، المملكة العربية السعودية.
- ٤٧- دراسات في الديانات الهندية، لمحمد صياء الرحمن الأعظمي. ط: مجلة الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة.
- ٤٨- دراسات في تاريخ الدين الشرقي.
- ٤٩- دراسات في تاريخ الدين الشرقي. ط: لندن: ماميلان، ١٩٠٧.
- ٥٠- ديوان لبید بن ربیعۃ العامري، لـ لبید بن ربیعۃ بن مالک، أبو عقيل العامري (المتوفى ٤١هـ) الشاعر معدود من الصحابة. ط: دار المعرفة.
- ٥١- الجامع الصحيح لمسلم ط: دار إحياء التراث العربي، بيروت - لبنان.
- ٥٢- سر سيد احمد حان، لزاهد جوهدي. ط: مكتبة مطالعة لاهور، تاريخ الطبعة: ١٩٩٩م.
- ٥٣- سفر الخروج الإصحاح العشرين فقرة ٣-٥، وسفر التثنية الإصحاح ٥ فقرة ٦.
- ٥٤- شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك، لـ ابن عقيل، عبد الله بن عبد الرحمن العقيلي الحمداي المصري. ط: دار التراث - القاهرة. دار مصر للطباعة، سعيد حودة السحار وشركاه.

- ٥٥- شرح العقيدة الطحاوية، لعلي بن علي بن محمد الدمشقي. ط: مؤسسة الرسالة سنة ١٤١٧هـ.
- ٥٦- شرح كتاب الإيمان الأوسط لابن تيمية، لعبد العزيز بن عبد الله الراجحي. الناشر: موقع الشبكة الإسلامية.
- ٥٧- طبائع الاستعداد ومضارع الاستعداد، عبد الرحمن بن أحمد الكواكبي يلقب بالسيد الفراقى . ط: المطبعة العصرية - حلب.
- ٥٨- عصور الأدب الألماني (تحولات الواقع ومسارات التحديد)، تأليف: "باربارا باومان"، و"بريجيتا أوبرله". ط: منشورات عالم المعرفة، فبراير ٢٠٠٢.
- ٥٩- علم الأخلاق الإسلامية، لمقداد يالجن محمد علي. ط: دار عالم الكتب للطباعة والنشر - الرياض (١٩٩٢م).
- ٦٠- علم التفسير كيف نشأ وتطور حتى انتهى إلى عصرنا الحاضر، للدكتور عبد المنعم النمر. ط: دار الكتب الإسلامية - القاهرة-١٤٠٥ هـ.
- ٦١- علم اللغة العربية، للدكتور محمود فهمى حجارى. الناشر: دار عريب للطباعة والنشر والتوزيع.
- ٦٢- علم اللغة مقدمة للقارئ العربي، لمحمود السعران. الناشر: دار الفكر العربي. الطبعة: طبعة ٢ - القاهرة ١٩٩٧.
- ٦٣- العواصم من القواصم، للقاصي محمد بن عبد الله أبو بكر المالكي. ط: دار الجليل بيروت - لبنان.
- ٦٤- عيار الشعر، لأبو الحسن محمد بن أحمد (المعروف بابن طباطبا). بتحقيق: عبد العزيز بن ناصر المناع. ط: مكتبة الخانجي - القاهرة.
- ٦٥- فتح البيان في مقاصد القرآن، لأبو الطيب محمد صديق حان القمّوحى. ط: المكتبة العصرية للطباعة والنشر، صيدا - بيروت.

- ٦٦- الفرق الكلامية الإسلامية مدخل ودراسة، للدكتور علي عبد الفتاح المغربي. ط: مكتبة الوهبة، السراغ لجمهوريّة - القاهرة مصر.
- ٦٧- الفرق بين الفرق وبيان الفرق الناجية، لـ أبو مصور عبد القاهر بن طاهر البغدادي التميمي. ط: دار الآفاق الجديدة - بيروت.
- ٦٨- فيتش العباد، لـ بيليروسي. ط: طبقات سيزلر.
- ٦٩- قاموس علم الاجتماع الحديث. توتاوا، يو جيرسي، الولايات المتحدة.
- ٧٠- القرن العشرون، لعاس محمود العقاد.
- ٧١- قصة الحضارة، لول ديورانت = ويليام جيمس ديورانت ترجمة: الدكتور ركي نجيب محمود وآخرين. ط: دار الجليل، بيروت - لبنان. المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، تونس. عام النشر: ١٩٨٨ م.
- ٧٢- الكامل في التاريخ، لابن الأثير.
- ٧٣- كتاب "أقسام اللذات" (مقالة في اللذة) للإمام فخر الدين الرازي.
- ٧٤- كتاب التعريفات في اللغة، لـ علي بن محمد الشريف الجرجاني. ط: دار الكتب العلمية بيروت - لبنان.
- ٧٥- كتاب الديانة المحوسية، لأحمد الكايد. ط: المطبعة الشرقية البحرين - الطبعة الأولى ٢٠١٢.
- ٧٦- كتاب العين، للخليل بن أحمد الفراهيدي.
- ٧٧- الكشف عن حقائق غوامض التزويل، لمحمود بن عمرو الزمخشري جار الله. ط: دار الكتاب العربي - بيروت.
- ٧٨- الكشكول، لمحمد بن حسين بن عبد الصمد الحارثي العاملي الحمداي، بماء الدين (المتوفى: ١٠٣١هـ). ط: دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان. الطبعة: الأولى، ١٩٩٨ م.

- ٧٩- الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، لأيوب بن موسى الحسيني الكفوي.
ط: مؤسسة الرسالة - بيروت.
- ٨٠- لسان العرب، لمحمد بن مكرم ابن منظور الإفريقي. ط: دار صادر - بيروت.
- ٨١- اللغة القديمة وآداب إيران، لـ همايون فرخ. ط: مكتب الدراسات الثقافية - إيران.
- ٨٢- ماذا خسر العالم بالخطاط المسلمين، لعلي أبو الحسن بن عبد الحي بن فخر الدين
الندوي (المتوفى: ١٤٢٠هـ). ط: مكتبة الإيمان، المنصورة - مصر.
- ٨٣- المبسوط، لمحمد بن أحمد بن أبي سهل شمس الأئمة السرحسي (المتوفى: ٤٨٣هـ).
ط: دار المعرفة - بيروت.
- ٨٤- مجلة المنار (كاملة ٣٥ مجلدا)، لمجموعة من المؤلفين، محمد رشيد بن علي رضا وغيره
من كتاب المجلة.
- ٨٥- مجموع الرسائل باسم "غبار خاطر" الذي رتبها استاد "مالك رام". ط: ساهتية
اكادمي، نيو دهلي - (طبعة الرابعة) سنة ١٩٩١.
- ٨٦- مجموع الفتاوى، لتقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحلیم بن تیمية الحرابي (المتوفى:
٧٢٨هـ) ط: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة النبوية، المملكة العربية
السعودية ١٤١٦هـ.
- ٨٧- محاضرات في الفلسفة اليونانية، عبد الرحمن می .
- ٨٨- مختصر تفسير ابن كثير (اختصار وتحقيق) لمحمد علي الصابوي. ط: دار القرآن الكريم،
بيروت - لبنان.
- ٨٩- مختصر دراسة للتاريخ لأرنولد توينبي. ترجمة: لفؤاد محمد شبل.
- ٩٠- المزهري في علوم اللغة وأنواعها، لعبد الرحمن بن أبي بكر، حلال الدين السيوطي.
بتحقيق: فؤاد علي مصور. ط: دار الكتب العلمية - بيروت.

- ٩١- المسالك والممالك، لأبو القاسم عبيد الله بن عبد الله المعروف بابن خرداذبة. ط: دار صادر أفست ليدن، بيروت.
- ٩٢- المستدرك على الصحيحين، لأبو عبد الله الحاكم محمد بن عبد الله النيسابوري المعروف بابن البيع (المتوفى: ٤٠٥هـ). ت: مصطفى عبد القادر عطا. ط: دار الكتب العلمية - بيروت.
- ٩٣- مصرع التصوف وهو كتابان: تنبيه الغي إلى تكفير ابن عربي، وتحذير العباد من أهل العناد ببدعة الاتحاد، لإبراهيم بن عمر بن أبي بكر البقاعي. ط: عباس أحمد البار - مكة المكرمة.
- ٩٤- و مجموعة الرسائل والمسائل، لتقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحلیم بن تيمية الحراي. ط: لجنة التراث العربي.
- ٩٥- معالم تاريخ الشرق الأدبي القدم، لمحمد أبو المحاسن عصفور. ط: دار النهضة العربية - بيروت - لبنان.
- ٩٦- معالي القرآن وإعرابه، لأبو إسحاق إبراهيم بن السري الزجاج. ط: عالم الكتب - بيروت.
- ٩٧- معجم الفروق اللغوية، لأبو هلال الحسن بن عبد الله بن مهران العسكري (المتوفى: نحو ٣٩٥هـ). ط: مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بـ "قسم".
- ٩٨- معجم الفلاسفة، لجورج طرايشي. ط: دار الطليعة - بيروت.
- ٩٩- معجم مقاييس اللغة، لأبو الحسين أحمد بن فارس القزويني. بتحقيق: عبد السلام محمد هارون. ط: دار الفكر - بيروت.
- ١٠٠- معراج التشوف إلى حقائق التصوف، لـ أحمد بن عحية الحسني.
- ١٠١- مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، لعبد الله بن يوسف أبو محمد، جمال الدين، ابن هشام. ت: د. مازن المبارك / محمد علي حمد الله. ط: دار الفكر - دمشق.

- ١٠٢- المعني في تصريف الأفعال، لمحمد بن عبد الخالق بن علي بن عزيمة. ط: دار الحديث- القاهرة (١٩٩٩م).
- ١٠٣- مفاتيح العيب (التفسير الكبير)، لأبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن، الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري. ط: دار إحياء التراث العربي - بيروت.
- ١٠٤- المفردات في غريب القرآن، لأبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني ط: دار القلم، الدار الشامية - دمشق بيروت.
- ١٠٥- المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، للدكتور جواد علي (المتوفى: ١٤٠٨هـ). ط: دار الساقى (الطبعة الرابعة) ١٤٢٢هـ / ٢٠٠١م.
- ١٠٦- مقالات منشورة في مجلة "الأبعاد الخفية" (قسم الأتباع) للدكتور سند راشد.
- ١٠٧- تفسير ترجمان القرآن لمولانا أبو الكلام آزاد. ط: اسلامي اكادمي، اردو نازار لاهور.
- ١٠٨- الملل والنحل، لـ أبو الفتح محمد بن عبد الكريم الشهرستاني. ط: مؤسسة الحلبي.
- ١٠٩- مباحث الفلسفة، لـ ول ديورانت. ترجمة: أحمد فؤاد الأهواني. ط: مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة ١٩٥٦.
- ١١٠- موجز التاريخ الإسلامي منذ عهد آدم عليه السلام (تاريخ ما قبل الإسلام) إلى عصرنا الحاضر، لأحمد معمور العسيري. ط: مكتبة الملك فهد الوطنية-الرياض (١٤١٧هـ).
- ١١١- الموسوعة الثقافية، للدكتور حسين سعيد. ط: مؤسسة فراكلين للطباعة والنشر، القاهرة- نيويورك، ١٩٧٢م.
- ١١٢- موسوعة السياسة. ط: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، (الطبعة الثالثة، ١٩٩٠).
- ١١٣- الموسوعة العربية الميسرة، (تايلور إدوارد بيرنت). تحت إشراف: محمد شفيق غربال. ط: مؤسسة فراكلين للطباعة والنشر.

- ١١٤- الموسوعة الفلسفية، لمجموعة من العلماء السوفياتيين. إشراف: م. روزنتال، تحقيق. يودين. ترجمة: سمير كرم. ط: دار الطليعة. بيروت. (الطبعة الخامسة ١٩٨٣).
- ١١٥- موسوعة الكتب (قاموس نقدي للتاريخ الأدبي والسياسي والديني والأثار والجغرافية والتاريخ الطبيعي للكتاب المقدس). لمجموعة من الأساتذة من أساتذة جامعات عربية من لندن ودبلين وأكسفورد.
- ١١٦- موسوعة اللغة الأردنية (جامع اردو انسايكلو بيدا). تحت إشراف: المجلس الوطني للتاريخ وتعزيز اللغة الأردنية دهلي - الهند، (قومي كونسيل برائى فروغ اردو زبان، حكومت هـد - دهلي).
- ١١٧- الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة، للندوة العالمية للشباب الإسلامي. بإشراف ومراجعة: د. مانع بن حماد الجهني. ط: دار الندوة العالمية للطباعة والنشر والتوزيع.
- ١١٨- موسوعة حضارة العالم، لأحمد محمد عوف.
- ١١٩- موسوعة علماء العرب والمسلمين، للدكتور محمد فارس. ط: مطبعة جمعية دائرة المعارف العثمانية ١٩٤٨.
- ١٢٠- مولانا محمد على جوهر، شخصيت اور خدمات، للدكتور نظر بري. ط: أدبي سنكم ٢٠٠٢م.
- ١٢١- نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، لمحمد بن إدريس الطالبي، المعروف بالشريف الإدريسي. ط: عالم الكتب، بيروت.
- ١٢٢- نشأة الأبراع الحية عن طريق الانتفاء الطبيعي أو الانحطاط بالأعراق المفضلة في أثناء الكفاح من أجل الحياة. تأليف: تشارلز داروين. ترجمة: محمّد المليحي. ط: المجلس الأعلى للثقافة القاهرة، ٢٠٠٤م.
- ١٢٣- نقش حيات للشيخ حسين أحمد المدي. ط: مكتبة الديونند - اتربرديش.

١٢٤- النكت والعيون، لأبو الحسن علي بن محمد البغدادي، الشهير بالماوردي. بتحقيق:

السيد ابن عبد المقصود بن عبد الرحيم. ط: دار الكتب العلمية - بيروت / لبنان.

١٢٥- النهاية في غرب الحديث، لابن الأثير.

١٢٦- الهلال، ٢٢- سبتمبر ١٩١٢م.

المراجع بالإنجليزية:

- " البحث في ديدروت والموسوعة " (Research on Diderot and the Encyclopedia). لـ "فرانك A. كافكر".
- "The Nature of Religion" (محنة للدراسة العلمية للدين) لـ " J. Paul Williams and Horace L. Friess".
- (الافلاطونية المحدثه والفكر المسيحي) Neoplatonism and Christian thought
- [An Introduction To Cytology] (مقدمة لعلم الخلايا)، لشارب، ليستر دبليو (by Sharp, Lester W.). الناشر: شركة ماكجرو هيل بوك كومباني (Book Company Inc, McGraw Hill).
- تجاربي مع الحياة، لـ غاندي. "THE STORY OF MY EXPERIMENTS WITH TRUTH", by Mohandas K. Gandhi ط: كلمات عربية للنشر والترجمة. مكان الطبع: شارع ابن قتيبة ٤٣، القاهرة مصر (طبع الأولى).
- ألف (١٠٠٠) شخصية عظيمة، ترجمة للدكتور مازن طليمات. ط: دار طلاس للدراسات ، دمشق.
- The Origin and Growth of Religion by: Wilhelm Schmidt الترجمة: Herbert Jennings Rose. الطبع: Mark S. Times (٣٦٨٥٠). London. ١٩ Phillips Publishing, ٢٠١٤ .August ١٩٠٢

(و) فهرس المحتويات

١٢	مقدمة
١٢	في التعريف بالشيخ أبي الكلام آزاد وتفسيره "أم الكتاب". ويشتمل على المباحث التالية:
	المبحث الأول: التعريف بالمفسر مولانا أبو الكلام آزاد، حياته وعصره، آثاره، وجهوده العلمية والعملية.
١٢	
٢٥	ي- وفاته:
٢٧	ثانيا: التفسير
٢٧	ثالثا: المجالات والجرائد
٢٨	رابعا: الرسائل والخطوط:
٢٨	خامسا: مقالات:
٢٩	المبحث الثاني: تعريف لتفسير أم الكتاب وأهم خصائصه. وفيه مطلبان:
٢٩	المطلب الأول: التعريف لتفسير أم الكتاب
٣١	أم الكتاب كتجربة عملية للشيخ أبي الكلام آزاد
٣٢	إنتساب الكتاب:
٣٣	المطلب الثاني: أهم المزايا والخصائص لتفسير أم الكتاب
٣٤	المطلب الثالث: منهج الشيخ أبي الكلام آزاد في "أم الكتاب".
٣٦	المطلب الرابع: ثناء العلماء على كتابه.
٣٧	الفصل الأول:
٣٧	في بيان خصائص سورة الفاتحة، ومظاهر الربوبية. ويشتمل على:
٣٨	المطلب الأول: بيان أهمية سورة الفاتحة.
٤٠	المطلب الثاني: تناول السورة لمقاصد الدين على سبيل الإجمال.

- المطلب الثالث: بيان أسلوب سورة الفاتحة ٤١
- المطلب الرابع: مهام دين الحق ٤٣
- المبحث الثاني : نظام الربوبية، وأنظمة الكون، وعناصره. ٤٥
- المطلب الأول: الكلام في كلمة "الحمد" : ٤٦
- المطلب الثاني: الكلام في لفظ الجلالة "الله" ٤٨
- المطلب الثالث: الكلام في تحقيق الربوبية، وأنظمة الكون وعناصرها ٥٢
- النموذج الناقص للربوبية : ٥٤
- منح المياه ونظام توزيعها : ٥٦
- نظام التربية : ٥٨
- المطلب الرابع: الكلام في الربوبية المعنوية و التقدير و الهداية ٦١
- الربوبية المعنوية أو الروحية : ٦١
- التقدير : ٦١
- المرتبة الأولى للهداية الوجدان : ٦٢
- المرتبة الثانية للهداية "الحواس" : ٦٢
- المبحث الثالث : مبدأ الاستدلال للبراهين القرآنية ٦٤
- المطلب الأول: مبدأ الاستدلال ٦٥
- أولاً- الدعوة إلى العقل : ٦٥
- ثانياً : التكوين بالحق ٦٥
- خلاصة مبدأ الاستدلال : ٦٧
- المطلب الثالث: الاستدلال بنظام الربوبية على التوحيد. ٧٢
- أولاً: الاستدلال بنظام الربوبية على التوحيد : ٧٢

- ٧٢..... ثانيا: الاستدلال بنظام الربوبية على ضرورة الوحي والرسالة :
- ٧٣..... ثالثا: الاستدلال بنظام الربوبية على وجود المعاد :
- ٧٨..... الفصل الثاني: مظاهر الرحمة الإلهية في الكون، وحقيقة اختلاف الشرائع.
- ٧٨..... ويشتمل على أربعة مباحث وهي كالتالي:
- ٧٩..... المبحث الأول: مظاهر الرحمة في الكون، وقانون بقاء الأنفع. وفيه مطلبان:
- ٨٠..... المطلب الأول: مفهوم الرحمة، ومظاهرها في الكون.
- ٨٠..... مظاهر الرحمة الإلهية في عمارة الكون .
- ٨١..... عمارة الكون وحسنها نتيجة لرحمة الإلهية.
- ٨٢..... الإفادة ومنافع الطبيعة.
- ٨٥..... تدمير الكون أيضا لبناء الكون وتحسينه.
- ٨٦..... جمال الفطري أو الطبيعي :
- ٨٦..... أغنية البلبل وضوء الطيور :
- ٨٧..... إعطاء الراحة والسرور من جانب الفطرة وكفران الإنسان.
- ٨٩..... قانون بقاء الأنفع.
- ٩٠..... المبحث الثاني: بيان التدرج والإمهال، والحكمة في تغيير الكون. وفيه مطلبان:
- ٩١..... المطلب الأول: التدرج والإمهال، ومفهوم الأجل.
- ٩١..... الأجل في اصطلاح القرآن.
- ٩٣..... الترويح للحياة.
- ٩٤..... المطلب الثاني: تغيير الأيام والأشياء في الكون والحكمة في تغييرها.
- ٩٤..... اختلاف الأشياء والمناظر راحة الحياة.
- ٩٤..... اختلاف الليل والنهار.

- ٩٥..... التنوع في النباتات
- ٩٦..... الاختلاف في الجمادات
- ٩٦..... قانون الأزواج
- ٩٧..... الرجل والمرأة
- ٩٨..... النسب والصهر^(١)
- ٩٨..... تكوين علاقة جيدة مع الأقارب ونظام العائلة
- ٩٩..... التغير أيام الحياة وتنوعها
- ١٠٠..... اختلاف المعاش وتزاحم الحياة
- ١٠١..... المبحث الثالث: برهان الرحمة والاستدلال به في القضايا بين الحق والباطل
- ١٠٢..... المطلب الأول: برهان الفضل والرحمة والإستدلال به
- ١٠٢..... التوازن والتناسب في الأشياء
- ١٠٣..... التسوية
- ١٠٣..... الإتيقان
- ١٠٣..... الاستدلال بالرحمة على المعاد
- ١٠٤..... الاستدلال بالرحمة على ضرورة الوحي والتزويل
- ١٠٥..... الاستدلال بالرحمة على قوانين المعنوية للأعمال الإنسانية وبقاء الأنفع
- ١٠٦..... المطلب الثاني: قانون القضاء بين الحق والباطل، والاستعجال بالعذاب
- ١٠٦..... الحق والباطل
- ١٠٦..... قانون القضاء بالحق
- ١٠٧..... الوحي والتزويل أيضا الحق
- ١٠٧..... الحق في اصطلاح القرآن الكريم

- ١٠٧..... شهادة الله تعالى
- ١٠٨..... القضاء بالحق هو قانون عالمي للماديات والمعنويات
- ١٠٨..... الانتظار والتربص
- ١٠٨..... التدريج والإمهال وقضاء بالحق
- ١٠٩..... التأجيل
- ١٠٩..... معيار التوقيت لقوانين الفطرة
- ١١٠..... استعجال بالعذاب
- ١١١..... العقابة للمتقين
- ١١١..... التمتع
- ١١٢..... قانون قضاء بالحق وأحوال الأقوام والجماعات
- ١١٤..... التوبة والإنابة وتأجيل القوانين المعنوية
- ١١٤..... سعة الرحمة الإلهية ومغفرتها
- ١١٥..... المبحث الرابع: مفهوم العقائد الدينية وحقيقة اختلاف الشرائع
- ١١٦..... المطلب الأول: مفهوم العقائد الدينية في ضوء الرحمة
- ١١٦..... العلاقة بين الله وعباده علاقة المحبة
- ١١٨..... الأعمال والعبادات والأخلاق
- ١١٨..... القرآن رسالة لرحمة الإلهية
- ١١٩..... خلق خاصية صفات الله في نفس الإنسان
- ١٢٠..... المطلب الثاني: اختلاف الشرائع وحقيقة دعوة المسيح -عليه السلام-
- ١٢١..... تعاليم الإنجيل والقرآن
- ١٢٢..... الاعتقاد بأن دعوة المسيح خلاف فطرة الإنسان هو تفريق بين الرسل

- ١٢٣..... حقيقة دعوة المسيح عليه السلام.
- ١٢٤..... الاعتقاد عن مجازات مواعظ المسيح بالتشريع خطأ.
- ١٢٥..... التمييز بين "العمل" و"العامل".
- ١٢٥..... المرض والمريض.
- ١٢٦..... اكرهوا المعاصي ولكن ارحموا على العصاة.
- ١٢٦..... القرآن دعوة رحمة للعباد العصاة.
- ١٢٧..... لا يوجد أي اختلاف بين تعاليم القرآن والإنجيل حقيقة.
- ١٢٩..... زواج القرآن وقوارعه.
- ١٣٠..... الكفر اللازم والمتعدي.
- الفصل الثالث: بيان العدل الإلهي، مع ذكر الأديان المختلفة قديما وحديثا، والأفكار العامة عند نزول القرآن.
- ١٣٢.....
- ١٣٣..... المبحث الأول: في بيان العدل الإلهي وقانون الجزاء والعقاب.
- ١٣٤..... المطلب الأول: تحقيق كلمة "الدين" وحقيقة الجزاء والعقاب.
- ١٣٤..... تحقيق كلمة "الدين":
- ١٣٥..... توضيح كلمة الدين وحقيقة الجزاء والعقاب.
- ١٣٦..... الجزاء والعقاب جزء لقانون الفطرة العالمية.
- ١٣٧..... الكسب في اصطلاح القرآن الكريم.
- ١٣٨..... الدين بمعنى القانون والمذهب.
- ١٣٩..... العناصر المعنوية في الكون.
- ١٤٠..... التعمير والتحسين في الكون نتيجة للعدل والتوازن.
- ١٤١..... المطلب الثالث: وضع الميزان والعمل الصالح في اصطلاح القرآن.
- ١٤١..... العمل الصالح في اصطلاح القرآن.

- الاختلاف اللغوي في مصطلحات القرآن للعمل السيء..... ١٤٢
- توضيح هذه المصطلحات المذكورة آنفا على الترتيب..... ١٤٢
- المبحث الثاني: تصور الإله في الديانات المختلفة القديمة، والدراسات المعاصرة..... ١٤٥
- المطلب الأول: ارتقاء الديانة والدراسات الحديثة..... ١٤٦
- نظريات القرن التاسع عشر وارتقاء الدين..... ١٤٧
- المطلب الثاني: تصورات القبائل المختلفة قديما وحديثا حول الإله والدراسات المعاصرة..... ١٥٩
- السكان القديم على واد الدجلة والفرات وتصور الإله الواحد..... ١٥٩
- المنهجودارو والمهم الواحد..... ١٦٠
- تصور السامية القديم حول ذات (الله) الواحد..... ١٦١
- المطلب الثالث: التصور البدائي للإنسان وشهادة القرآن الكريم..... ١٦٤
- شهادة كتب الدين وتصریح القرآن..... ١٦٤
- نظرية الارتقاء لا يساعدنا في اعتقاد وجود الله بل يساعد في معرفة صفات الله تعالى..... ١٦٥
- العقل الإنساني وتصوره في الصفات الإلهي..... ١٦٦
- النقاط الثلاثة لتصور الارتقاء..... ١٦٦
- لماذا التصور الإنسان يبدأ من الصفات الغضبية..... ١٦٦
- إشتمال صفات الرحمة والجمال..... ١٦٧
- المبحث الثالث: الديانات والأفكار العامة عند نزول القرآن الكريم..... ١٦٩
- المطلب الأول : ديانة أهل الصين، ونظرية الشمسية في الصين..... ١٧٠
- عقائد أهل الصين..... ١٧٠
- أفكار لاوتزو وكونفوشيوس..... ١٧١
- الشمسية في الصين..... ١٧٢

- المطلب الثاني: تصور الديانة في الهند ونظريات الهندوس..... ١٧٣
- تصور الديانة في الهند..... ١٧٣
- نظرية وحدة الوجود لـ "أبانيشاد"..... ١٧٣
- عقيدة الهندوس في صفات الله..... ١٧٦
- الديانة الشمسية وتصوراتها..... ١٨٠
- المطلب الثالث: الديانة المجسوسة ونظريات الزرادشتية..... ١٨٣
- عقيدة المجسوس الإيراني..... ١٨٣
- الزرادشتية..... ١٨٣
- المطلب الرابع: التصورات اليهودية والمسيحية..... ١٨٦
- المطلب الخامس: فكرة فلاسفة اليونان والاسكندرية، وتوضيح فلسفة الأفلاطونية المحدثة..... ١٨٨
- فكرة فلاسفة اليونان وتصور الاسكندرية..... ١٨٨
- نظرية الأفلاطونية المحدثة..... ١٩٢
- المبحث الرابع: خصائص القرآن الكريم وبيانه لصفات الإلهية..... ١٩٥
- المطلب الأول: التزيه الكامل والفرق بين التزيه والتعطيل..... ١٩٦
- التزيه الكامل..... ١٩٦
- الفرق بين التزيه والتعطيل..... ١٩٧
- المطلب الثاني: بيان الصفات الإلهية، ومفهوم المحكم والمتشابه..... ٢٠١
- بيان الحكمة في الصفات الإلهية..... ٢٠١
- المحكمات والمتشابهات..... ٢٠١
- صفات الرحمة والجلال..... ٢٠٢
- المطلب الثالث: منع جميع الصور الشركية، وبيان التوحيد في الصفات..... ٢٠٤

- ٢٠٤..... المكافحة الكاملة لجميع التصورات الشركية :
- ٢٠٥..... التوحيد في الصفات :
- ٢٠٦..... المطلب الرابع: بيان مقام النبوة، وتصور الواحد للعوام والخواص.
- ٢٠٦..... بيان مقام النبوة:
- ٢٠٦..... التصور الموحد لعامة الناس وخاصته:
- ٢٠٨..... المطلب الخامس: التفكير في خلق الله سبحانه، ومراتب الدين.
- ٢٠٨..... أساس التفكير في القرآن الكريم:
- ٢٠٨..... مراتب الدين في الإسلام.
- ٢١٠..... منازل الفكر الإنساني في الطلب والمعرفة.
- ٢١١..... الفصل الرابع: بيان مفهوم الهداية والصراط المستقيم في ضوء دعوة القرآن الكريم.
- ٢١٢..... المبحث الأول: أقسام الهداية، والفرق بين الدين والشرع في ضوء القرآن الكريم.
- ٢١٣..... المطلب الأول: بيان الهداية ومراتبها.
- ٢١٤..... مراتب الهداية.
- ٢١٦..... مرتبة هداية الفطرة.
- ٢١٨..... المطلب الثاني: أصل وحدة الدين والقرآن الحكيم.
- ٢٢٠..... الهداية تكون واحدة دائما وهي دعوة الإيمان والعمل الصالح.
- ٢٢١..... تصديق كتب المقدسة بعضها لبعض واستدلال القرآن به.
- ٢٢٣..... المطلب الثالث: الفرق بين الدين والشرع، وسبب اختلاف الناس في الأديان.
- ٢٢٣..... الفرق بين الدين والشرع في ضوء القرآن الكريم.
- ٢٢٤..... مسألة تحويل القبلة وإعلان القرآن عن هذه الحقيقة.
- ٢٢٤..... الأصول الاعتقادية والعملية في القرآن.

- الحكمة الإلهية تقتضي الظهور اختلاف الشرائع. ٢٢٥
- أتباع المذاهب نسوا وحدة الدين وجعلوا اختلاف الشرائع محل النزاع. ٢٢٥
- المطلب الأول: حقيقة التشيع والتحزب في اليهود والرد عليهم. ٢٢٨
- الأمر المهمة في دعوة القرآن ثلاثة : ٢٢٨
- التحزب في اليهود والنصارى والرد عليه. ٢٢٩
- التفرق والاختلاف في المعابد. ٢٣٠
- المطلب الثاني: معاملات اليهود مع غير اليهود وقانون السعادة في القرآن الكريم. ٢٣٣
- معاملات اليهود مع غير اليهود. ٢٣٣
- الاستشهاد بشخصية سيدنا إبراهيم عليه السلام ٢٣٤
- دستور المعمودية. ٢٣٦
- قانون العمل. ٢٣٦
- المبحث الثالث: أسباب عداوة المنكرين للقرآن، ومفهوم الصراط المستقيم في ضوء القرآن الكريم. ٢٣٧
- المطلب الأول: دعوة القرآن. الإيمان ببعض الرسل، وطرق معرفة الله تعالى. ٢٣٨
- الإيمان ببعض الرسل. ٢٣٩
- نعم الله تعالى دليل إلى معرفته. ٢٣٩
- طريق الإيمان والإنكار. ٢٣٩
- مطالبة القرآن من أتباع الدين. ٢٤١
- المعروف والمنكر لدى القرآن. ٢٤٢
- فطرة الله والدين القيم ٢٤٢
- الإسلام. ٢٤٣
- المطلب الثاني: أسباب عداوة المنكرين للقرآن، مفهوم الصراط المستقيم والحكمة في القصص القرآنية. ٢٤٥

- ٢٤٥..... الفرق والديانات لما ذا تخالف القرآن وما أسبابه؟
- ٢٤٥..... سبب عداوتهم واختلافهم للقرآن ثلاثة أمور
- ٢٤٨..... تعبير المغضوب عليهم والضالين
- ٢٤٩..... الحكمة في القصص القرآنية
- ٢٥٠..... الروح التعليمية لسورة الفاتحة
- ٢٥٢..... الخاتمة
- ٢٧٣..... (هـ) فهرس المحتويات

